جامعـة اليرموك
كليـــــة الآداب
قسم اللغة العربية

صورة الحيوان في القرآن الكريم
دراسة فنية وأسلوبية

Animal Image In The Holy Qura'an:
A stylistic And Artistic Study

إعـــــداد
طاهر قاسم عبده صالح العشاري

إشراف الأستاذ الدكتور
حسين يوسف خريوش

التخصص: أدب ونقد

٢٠٠٥م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صورة الحيوان في القرآن الكريم
دراسة فنية وأسلوبية

Animal Image In The Holy Qura'an
A stylistic And Artistic Study

إعداد

طاهر قاسم عبده صالح العشاري

بكالوريوس لغة عربية، جامعة تعز، ١٩٩٧م

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية تخصص أدب ونقد في جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وافق عليـــــها:

الأستاذ الدكتور: حسين يوسف خريوش.....مشرفاً ورئيساً

الأستاذ الدكتور: عبد القادر الرباعي .....عضواً

الأستاذ الدكتور: سمير شريف استيتية .....عضواً

الدكتور: أمين يوسف عودة .....عضواً

تاريخ تقديم الرسالة

١٢/ ١٢ / ٢٠٠٥م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهـــداء:

إلى روح أبي الطاهرة طيب الله ثراه

إلى الصابرة المحتسبة أمي، وقد حرمني طول الغياب وعناء البحث الوفاء بحقها

إلى من تمثلت فيه معاني الأبوة...الدكتور عباس الجنيد رحمه الله

إلى من أشدد بهم أزري..إخواني ومن بوصلهن أُوصل... أخواتي

إلى من تسامى إلى مصاف الأشقاء... الدكتور أحمد الأميري.

إلى من تقاسمت معي الهموم وكانت مثالاً للصبر والعطاء....زوجتي

إلى قرة العين ونبع الإلهام...الزهراء (فاطمة)

إلى كل من له حق علي...

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكر وتقدير:

إلى أستاذي القدير، الأستاذ الدكتور: **حسين يوسف خريـــوش**،علـــى تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما قدمه من تـــشجيع، ومـــا أبداه من توجيه وتسديد أثناء إعداد هذه الرسالة، فكان له الفضل بعد الله فـــي إنجازها، فمن الله نسأل له خير الثواب.

إلى كل من:

- **الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي.**
- **الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية.**
- **الدكتـــــور أمين يوسف عودة.**

على تكرمهم بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما بذلوه من جهد في قراءتها، وتقويم ما اعوج منها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

محتويات الرسالة

الموضـــــوع	الصفحة
عنوان الرسالة ولجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
محتويات الرسالة	هـ
الملخص	و
المقدمة	١
مدخل	٣
الفصل الأول : صورة الحيوان في التراث الإنساني	١١
- صورة الحيوان من العصر الحجري إلى التوحيد	١١
- صورة الحيوان عند العرب قبل الإسلام	١٥
- صورة الحيوان في ظل الإسلام	١٩
الفصل الثاني:المجالات الدلالية لصورة الحيوان	٢٢
المجال الدلالي العام (دابة)	٢٤
أ- المجال الدلالي الفرعي الأول (ذوات القوائم الأربع)	٢٧
ب- المجال الدلالي الفرعي الثاني (الطير)	٥٩
ج- المجال الدلالي الفرعي الثالث (الحشرات)	٦٦
د- المجال الدلالي الفرعي الرابع (الزواحف)	٦٧
ه- المجال الدلالي الفرعي الخامس (البحرية)	٧٢
الفصل الثالث: التحولات الأسلوبية	٧٧
المبحث الأول: التحولات الصوتية	٧٧
المبحث الثاني: التحولات السياقية	٩٢
الفصل الرابع: أبعاد الصورة البيانية والدلالية	١١٢
أ -- التشبيـــــه	١١٤
ب- الاستـــعارة	١٢٤
ج- المجاز المرسل	١٣١
د- الكنـــــــاية	١٣٥
الخاتمة والنتائج	١٤٠
قائمة المصادر والمراجع	١٤١
الملاحق	١٥٣
ملخص باللغة الإنجليزية	١٥٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ملخص

صورة الحيوان في القران الكريم
دراسة فنية و أسلوبية

إعداد
طاهر قاسم عبده صالح العشاري
إشراف الأستاذ الدكتور
حسين يوسف خريوش

تأتي صورة الحيوان في القرآن الكريم متعددة الأبعاد والدلالات، سعت الدراسة لإبراز ذلك، فاتخذت من الأسلوبية منهجاً، لتظهر تفرد الأسلوب القرآني في التعبير عن تلك الأبعاد والدلالات، وتعليل أبرز الظواهر الأسلوبية، وبيان قيمتها التعبيرية، وذلك ضمن ثلاثة مباحث أساسية. شكلت الفصل الثاني والثالث والرابع من البحث، وهي على الترتيب:

المجالات الدلالية لصورة الحيوان في القرآن؛ أبرزت فيه المجال الدلالي العام للصورة،تمثله لفظة(دابة)، وخمسة حقول دلالية تفرعت عنه:ذوات الأربع، والطيور، والحشرات، والزواحف، والمائية. فتحدد مساحة كل مجال، بأبعاده الدلالية.إضافة إلى إبراز جمالية الأسلوب القرآني في تنوع الوحدات التي تنتمي إلى فضاء دلالي واحد، وتوظيفها بما يناسب السياق ويتفاعل معه لإبراز الفكرة المستهدفة.

والتحولات الأسلوبية؛ ووقفت فيه على مظهرين: الأول، التحولات الصوتية بينت فيه أبرز مظاهر التحول الصوتي، ومحاكاة الصوت للمعنى، وأثر ذلك في التشكيل الدلالي. والآخر، التحولات السياقية، أبرزت فيه تعدد صور هذا التحول في

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بنية الصورة، والبعد البلاغي والدلالي له، وأن كل تحول في المبنى يتبعه تحول في المعنى.

وأبعاد الصورة البيانية؛ ووقفت فيه على تقنيتها التصورية: التشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والكناية.وبينت فيه أبعادها الدلالية، والخاصية التعبيرية لكل منها، وأنها لم تكن حلية للزينة، بل جاءت ضرورة فنية وفكرية.

وقد وجدت من المناسب عقد فصل لبحث صورة الحيوان في التراث، لما له من دور في فهم البنية العميقة للتصور القرآني لصورة الحيوان، فبينت فيه أن صورة الحيوان تشكلت في ذهن الإنسان مليئة بالمعتقدات الخرافية، وصل الأمر إلى تقديس الحيوان واتخاذه إلهاً يعبد، فهدم القرآن تلك التصورات وعمل على إحلال التصور القرآني بدلاً منها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة:

الحمد لله الذي علم القرآن، وخلق الإنسان، وعلمه البيان، وأصلي وأسلم على أفصح الخلق لساناً، وأبلغهم بياناً، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين. وبعد.

فإن القرآن الكريم كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وكلما أنعم المتأملون النظر فيه والفكر، أدهشهم أسلوبه وبيانه، وتكون الدهشة أكبر وأعجب ممن لهم باع طويلة في أسرار اللغة وخصائصها، وكلما حاولوا الإبحار فيه أذهلهم اتساع مداه، ولم يصلوا إلى منتهاه، وكلما تعمقوه، وجدوا أنفسهم، يحيط بهم درر من معانيه ولآلئه، ليس بالوسع حصرها وعدها، إذ ــ مهما بلغ العادون ــ تفوق الحصر والعد؛ ذلك أنها حية متجددة تتجدد بتجدد الزمان والمكان.

شاءت الأقدار أن يكون موضوع رسالتي في كتابه الكريم، وهذا توفيق من الله، ونعمة كبيرة أن أصحب كتابه الكريم خلال رحلتي هذه، أتعبده، وألتمس إعجازه، بدراستي لـ(صورة الحيوان في القرآن الكريم).

وتأتي أهمية هذه الدراسة من جانبين: الأول كونها في كتاب الله تعالي، والآخر احتفال القرآن الكريم بالحيوان؛ ذلك أن القرآن أورد ثلاثاً وأربعين مفردة تشير إلى عدد من أنواع الحيوان، ذكرت في مائة وخمسة وخمسين موضعاً، بأبعاد ودلالات متعددة، ولم يكتف بذكره في ثناياه، حتى أن سوراً سميت باسمه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن صورة الحيوان ــ في حدود علمي ــ لم تتناول بأبعادها الدلالية: بلاغة وأسلوباً. وهو ما ستنهض به هذه الدراسة لتظهر حقائق الخطاب الإعجازي في هذا الكتاب الكريم.

ويعمد منهجي في دراسة صورة الحيوان إلى السياق اللغوي الذي جاء الحيوان ضمن مكوناته اللغوية، في ضوء الفكرة الموجهة للسياق، فيلتزم بمنطوق النص ومفهومه، مستفيداً من الدراسات المختلفة السابقة للقرآن الكريم، وكذا الإفادة من بعض الأبعاد العلمية المتعلقة بصفات الحيوان وخصائصه، في حدود ما يفيد هذه الدراسة. ولا نكتفي بالوقوف عند حدود الظاهرة، وشكلها، ولكن نعللها ونبين وظيفتها وأثرها في السياق الذي وردت فيه. ومع هذا فإنه ليس بمقدور الدراسة الإلمام بكل جزئيات الأسلوب، ذلك أن النص القرآني أكبر من أن يحيط به دارس متمرس، فكيف بي وأنا لم أتجاوز عتبات أبواب العلم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتوزعت مادة الدراسة في مدخل وأربعة فصول، وخاتمة بأهم النتائج:

المدخل: وفيه بيان لمحددات المصطلح، والدراسات السابقة، وطبيعة الدراسة ومنهجها.

وخصص الفصل الأول (التمهيدي)، لصورة الحيوان في التراث الإنساني، وذلك للكشف عن الصورة الحيوانية التي تشكلت في ذهن الإنسان، والبعد الفلسفي والعقدي لهذه الصورة ومقابلتها بالتصور القرآني للحيوان.

وأما الفصل الثاني، فتناولت فيه: المجالات الدلالية لصورة الحيوان، بأبعادها الدلالية، فتضمن المجال الدلالي العام للصورة، وخمسة مجالات تفرعت عنه، محققاً من هذا التناول تحديد مساحة كل صنف من أصناف الحيوان، وكذا الأثر البلاغي لتنوع المفردات الدالة على الحقل الدلالي الواحد، وتناسبها للسياق الذي وردت فيه، والفكرة الموجهة.

وفي الفصل الثالث تناولت التحولات الأسلوبية في بنية الصورة، وضمنته مبحثين: الأول: تحولات صوتية، وفيه تم تناول هذه الظواهر: حذف صوت وإثباته ، وإبدال صوت بصوت، وزيادة صوت، في بنية المفردة، والتحول الصوتي على مستوى الحركات، وكذا محاكاة الصوت للمعنى، وأثر ذلك في إنتاج الدلالة. والآخر: تحولات سياقية،نعرض فيه صور العدول في بنية الصورة، وقيمته الفنية والدلالية.

وفي الفصل الرابع، تناولت فيه الصورة البيانية، من خلال الوسائل التي تتشكل منها، وهي: (التشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والكناية) والأبعاد الدلالية والبلاغية التي دعت للتعبير بها.

وفي الخاتمة سجلت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، ثم ذكرت أهم المصادر والمراجع.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مدخـــــــل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولاً: تحديد المصطلح

الصورة:

لفظ الصورة اسم مصدر من (ص و ر)، وفي القاموس المحيط" الصورة بالضم الشكل والجمع صُوَرٌ، وصورٌ، وقد صوّره فتصور، وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة"[١]. وترد في لسان العرب" على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته"[٢].

ترد كلمة(الصورة) في القرآن الكريم ست مرات بصيغ مختلفة[٣].عنى المفسرون في تفسيرها بالشكل الخارجي لها، قال ابن كثير في قوله تعالى: (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ).[٤] أي أحسن أشكالكم.[٥]، وقال القرطبي: خلقكم في أحسن صورة[٦]. والزمخشري يفسرها، بأن الله خلق الإنسان على هيئة ميزته عن سائر المخلوقات[٧].

والصورة في الحقيقة ــ إذا ما دققنا في الاستعمال القرآني لها ــ لا تعني الشكل الخارجي وحده، كما ذهب المفسرون، ولكنها تعني الشكل والمضمون معاً[٨].

هذا المفهوم (للصورة) عند علماء التفسير واللغة إضافة إلى الأثر الفلسفي، أثر في مفهوم علماء النقد قديما، فجاءت نظراتهم النقدية للصورة جزئية" لا تتعدى ما ذكر لها من مداليل لغوية، وإن توسع فيه إلى ما يشمل الصورة المتخيلة في أقسام التشبيه، إنما أراد بذلك الشكل كما أراد اللغويون"[٩]. ويعد الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)، أول من لفت الانتباه إلى الصورة في العمل الأدبي بقوله:" فإنما الشعر صناعة من النسج، وجنس من التصوير"[١٠].

---

[١] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط٤ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤، مادة(صور).
[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠، مادة (صور).
[٣] انظر: غافر: ٦٤، و الأعراف: ١١، وآل عمران:٦، والحشر:٢٤، والانفطار:٨.
[٤] غافر:٦٤.
[٥] ابن كثير، إسماعيل،: تفسير القرآن العظيم، ج٤،دار المعرفة بيروت،١٩٨٤،ص،١٠٦.
[٦] القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د ت)، ص٣٢٨.
[٧] الزمخشري، جار الله محمود: الكشاف،ج٣،رتبه وصححه، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٥، ص٤٣٥.
[٨] الراغب، عبد السلام أحمد: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ط١،فصلت للنشر،٢٠٠١، ص١٩.
[٩] الصغير، محمد حسين علي: الصورة الفنية في المثل القرآني،ط١، دار الهادي، بيروت، بيروت،١٩٩٢، ص٢٤.
[١٠] الجاحظ : الحيوان، ج٣، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت،١٩٦٩، ص١٣١ ــ ١٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويخطو الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) بمفهوم الصورة " فيعتبر الشعر تصويراً كله لأن التصوير عند الجرجاني هو الهيئة التي تتشكل فيها المعاني حقيقة أو مجازية"[١]، ويتجاوز ثنائية اللفظ والمعنى بتبديلهما (بصورة المعاني) ــ التي تتردد في كتابته ــ ويعني بها الصورة التي تتشكل فيها المعاني" فسبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار"[٢]، فلم يفصل بين مضمون النص وشكله، إذ يقرر بهذا الصدد قائلاً"، فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصفة وكذلك محالاً إذا أنت أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر مجرد معناه"[٣].فيفهم من كلامه" أن الصياغة ــ عنده ــ تعني الصورة، والصورة تعني الصياغة أو النظم، ومعيار الجودة ليس في المادة المكونة للصورة وإنما في التشكيل الفني للصورة، لأن الصورة هي التي تجعل الفضة خاتماً أو سواراً"[٤].

ويضع الجرجاني ــ أيضاً ــ مقياساً لطبيعة الصورة في قوله: " واعلم أن قولنا صورة إنما هي تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بإبصارنا"[٥].

ويأتي (التهانوي) ــ من علماء القرن الثاني عشر الهجري ــ يحدد الصورة بإنها ذات طبيعتين خارجية وذهنية، وأعطى الأهمية للصورة الذهنية، واعتبر الصورة الخارجية من الأعيان[٦]، فقال: " الصورة : ما به يتميز الشيء في الذهن، فإن الأشياء في الخارج أعيان وفي الذهن صور"[٧].

ويولي النقد الحديث الصورة اهتماماً كبيراً إذ تعد من القضايا الأساسية، غير أن تحديد مفهومها مختلف فيه، ويرجع هذا الاختلاف إلى تعدد دلالات مصطلح الصورة بين دلالة لغوية وذهنية ونفسية، ورمزية، وبلاغية، أو فنية، وتعدد مناهج دراستها نتيجة لتعدد هذه الدلالات[٨].فمفهومها، في الفلسفة غير مفهومها في النقد الأدبي أو الشعر، بل إن مفهوم الصورة،

---

١ الراغب، عبد السلام: وظيفة الصورة الفنية في القران، ص٢٦.

[٢] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٥٥.

[٣] (المرجع نفسه)، ص٢٥٥.

[٤] دهمان، أحمد علي: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجر جاني منهجاً وتطبيقاً، ج١، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦، ص٣٨٩-٣٩٠.

[٥] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، ص٥٠٨.

[٦] الصغير، محمد حسين علي: الصورة الفنية في المثل القرآني، ص٢٣.

[٧] التهانوي، محمد علي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢، تح رفيق العجم، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٦، ص ١١٠٠.

[٨] اليافي، نعيم: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٢، ص٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" في الشعر ليس واحداً دائماً وإنما هو في تحوير وتبديل مستمرين حتى إن كل مدرسة فنية تعطيه المفهوم الذي يتفق وفلسفتها العامة. حتى أن البعض يرى أن أية محاولة لإيجاد تحديد نهائي مستقر للصورة غير منطقية إن لم تكن ضرباً من المحال"[1].

ويحاول ــ رغم ذلك ــ كامل حسن البصير ــ من خلال منهجه الموازن بين الدراسات البلاغية والنقدية العربية والنقد الأدبي ــ تحديد مفهوم الصورة ، بإنها " ما يتمثل بواسطة الكلام للمتلقي من مدركات حساً، ومعقولات فهماً، ومتخيلات تصوراً، وموهومات تخميناً، وأحاسيس وجداناً، وما إلى ذلك من الأشياء والأمور التي تفضي إليها هذه القوة أو تلك من القوى المركبة في الإنسان وعياً ومن غير وعي"[2].

ويبدو أن جميع مفاهيم الصورة المختلفة في زاوية الرؤية، لا تشكل تناقضاً في مفهومها بل تعطي تصوراً تكاملياً لماهيتها، وجميع هذه التصورات للمفهوم يشكل ماهية مركبة للصورة في أبعاد ثلاثة " البعد الخارجي (الشكل)، والبعد العميق(الفكري والنفسي)، والبعد الثالث: هو الإشعاع الإيجابي الموجه للمتلقي، فالصورة، ليست شكلاً فقط، ولا فكرة جامدة، ولكنها التقاء هذين البعدين، عنهما ينبثق البعد الثالث، وهو ما يمثل بؤرة التكثيف الفني والأدبي وبدونه يفقد النص روعته"[3].

وتتحدد الصورة التي تتناولها الدراسة بأنها كل سياق يتضمن مفردة دالة على الحيوان ، بأبعاده الدلالية، سواء أكان الحيوان العنصر الرئيس الموجه للصورة أم ثانوياً. وأن التناول للظواهر الأسلوبية يمتد بامتداد السياق في ضوء الفكرة الموجهة.

ب ــ الفن:

تعددت الآراء وتوالت في تحديد ماهية الفن غيرأن الفن لا يخرج عن كونه نتاجاً بشرياً، يعبر عن عاطفة نحو الوجود تعبيراً منظماً مقصوداً يثير في متلقيه عواطف ومواقف خاصة[4]، ونقصد به ــ هنا ــ " ذلك النتاج الواعي الذي يمتاز بالمهارة في البناء والدقة في الصياغة عن وعي متيقظ، وإرادة هادفة: فإذا اللغة بكلماتها وجملها وفقراتها تتجاوز التقريرية

---

[1] صالح، بشرى موسى: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بيروت، ١٩٩٤،ص١٣٠.
[2] البصير، كامل حسن:بناء الصورة الفنية في البيان العربي،مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٨٧، ص٢٦٧.
[3] سعد، أمير فاضل: غرائب الصورة في القرآن الكريم، دراسة فنية أسلوبية(رسالة ماجستير)، غير منشورة،جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٤، ص١٠ ــ ١١.
[4] النويهي، محمد: محاضرات في عنصر الصدق والأدب، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩، ص ٢٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في الأداء والدلالة، وتستوي صياغة متقنة تعبر وتؤثر"[1] في إيقاظ الخيال أو تحريك الوجدان عن طريق الإدراك الحسي"[2].

ج ــ الأسلوب:

تباينت الآراء في تعريف الأسلوب بتباين الزاوية التي يتم الانطلاق منها إلى النص. غير أن القاسم المشترك بين تلك الآراء جميعاً" هو اعتبار الأسلوب استعمالاً خاصاً للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانات والاحتمالات المتاحة والتأكيد عليها في مقابل إمكانات واحتمالات أخرى.."[3].وهذه الإمكانات والاحتمالات التعبيرية" لا تنفصل عن المعنى المراد فإذا شبهنا الأسلوب والفكرة، فلا ينبغي أن نشبههما بالمادة والقالب الذي تصب فيه، بل الجسم الإنساني الذي تأتلف أجزاؤه المختلفة وأجهزته المتخصصة على القيام بوظيفة واحدة كبرى هي (الحياة) فكذلك الأسلوب: هو طريقة ائتلاف المعاني الجزئية لتؤدي غرض الأدب..."[4].

فالأسلوب ــ إذاً ــ اختيار سمات لغوية معينة، يقوم به المنشئ لغرض التعبير عن موقف معين، ومن مجموع الاختيارات الخاصة بمنشئ معين يتكون أسلوبه الذي يمتاز به[5]. وبهذا فإن الأسلوبية تبحث عما يميز الكلام" الفني .. عن بقية مستويات الخطاب أولاً؛ وعن سائر الفنون اللسانية ثانياً"[6] ذلك أن التحليل الموسع للعناصر الأسلوبية يزودنا ببيانات كافية لتفسير الأدب ويصبح الهدف الرئيسي للتحليل الأسلوبي العميق، إدراك مدى تكامل هذه العناصر..في تحقيق الحد الأقصى لفعالية النص"[7] سواء ما تعلق بالمفردة والتركيب وبالصوت والمعنى وبالصيغة والدلالة وبنوع النص وشكله وبجنس الكتابة وغرضها؛ ذلك لأن النصوص الأدبية عامة تنزع فيها علاقة الدال بالمدلول إلى أن تصبح علاقة مبررة لا عفوية ولا اعتباطية[8].

---

[1] البصير، كامل حسن: بناء الصورة الفنية، ص٢٧١.
[2] شراد، شلتاغ عبود: مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، ط١، دارمجدلاوي، عمان، الأردن،١٩٩٨، ص١٢.
[3] مصلوح، سعد: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية،ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠، ص٣٠.
[4] عياد، شكري محمد: يوم الدين والحساب، (د ن)، (د م)، ١٩٨٠م، ص٩٧.
[5] الكراز، محمد كريم: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ط١، مكتب الإعلام بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص٧٠.
[6] الخفاجي، محمد عبد المنعم، (وآخرون): الأسلوبية والبيان العربي،ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢ن ص٢٣٥.
[7] فضل ، صلاح: علم الأسلوب، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٥، ص١١٦.
[8] الطرابلسي، محمد الهادي: تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٢، ص٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً: الدراسات السابقة

إن القرآن الكريم معجز يرتفع ببلاغته عن كلام البلغاء والفصحاء من الجن والإنس، لا يدانيه أي كلام ، وقد تحداهم أن يأتوا بمثله أو بشيء منه، ولو اجتمع بعضهم لبعض ظهيرا، وهذا التحدي مستمر باستمرار الحياة،فقوبل هذا التحدي، وسيُقابل ــ قطعا ــ بالعجز والقصور. لذلك شهد القرآن دراسات عديدة في مختلف الميادين، منها الدراسات البيانية، التي تحاول أن تتلمس إعجازه البياني والأسلوبي قديما وحديثاً غير أن المجال لا يتسع لعرضها.

ولكن ــ رغم ذلك ــ لم يسبق لأحد أن خص موضوع الدراسة(صورة الحيوان في القرآن الكريم) بدراسة مستقلة. وما قام به العلماء: محمد متولي الشعراوي في كتابه (قصص الحيوان في القرآن)، ومحمد محمود عبد الله في كتابه(عالم الحيوان بين العلم والقرآن) وعبد الرحمن محمد حامد في كتابه (القرآن وعالم الحيوان)، وإبراهيم الفيومي في بحثه (روائع إعجاز القرآن في قصص الطير والحيوان : دراسة فنية في البنية العميقة)، ليست من قبيل الدراسات الأسلوبية، فالدراسة الأولى هي دراسة موضوعية على هيئة خواطر جمعت فيما بعد، وحاولت الثانية مع الثالثة إبراز ما في القرآن من دلالات علمية في الحيوان. خص الفيومي فنية القصة القرآنية المرتبطة بالحيوان، وأثبت من خلالها تميز القصص القرآني على القصص البشري، كما أنه لم يشمل جميع أنواع الحيوان، وكذا لم يتطرق إلى ما في بنية الصورة من ظواهر أسلوبية، وما فيها من دلالات وإيحاءات.

ثالثا: طبيعة الدراسة ومنهجها

تتخذ الدراسة من الأسلوبية منهجاً، ذلك أنها من المناهج النقدية التي تنظر إلى النص الأدبي على أنه خرق للمعروف، والنص القرآني في مجمله خرق للعادة والمألوف في أحكامه، ونسجه، ومعجمه وموسيقاه[1].وهذا يعني أن أسلوبه ــ بما فيه من خصائص وسمات ــ متفرد في عرض الحقائق والمفاهيم، لا كما تصنع أساليب أداء البشرية في تأصيل الأصول، وتفريع الفروع وتبويب الموضوعات، وتثبيت القواعد، وترتيب الأفكار، وإنما هو يعرض هذه الجوانب كلها في سياق موصول، ترتبط فيه المشاهد الكونية بالمشاهد الأخروية، وتتصل فيها حقائق الكون والحياة والإنسان بالله[2].

---

[1] الكيلاني، إيمان: ظواهر أسلوبية في سورة الرحمن، أبحاث اليرموك، سلسلة الأدب واللغويات، المجلد ٢١، ع١، ٢٠٠٣، ص١٠٦.

[2] القنيبي، حامد صادق: المشاهد في القرآن الكريم،ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٤، ص٢٨٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لذلك فإن الدراسة ــ من خلال منطوق النص ومفهومه ــ تبــرز جوانــب مــن هــذا الأسلوب ومستوياته وأشكاله، غير أنها لا تكتفي بإظهار الشكل الأسلوبي وإنما تحاول ــ جاهدة ــ تعليل ذلك، وإظهار جماليته، وأثره الدلالي. ويتحقق ذلك من خلال التناول الأتي:

ــ الفصل الأول ندرس فيه صورة الحيوان في التراث الإنساني، من خلال التصورات الفلسفية والعقدية لها، ذلك أن مثل هذا يعين على فهم البنية العميقة للتصور القرآني للحيوان.

ــ في الفصل الثاني نبرز الأبعاد الدلالية لصورة الحيوان، وذلك من خلال المجالات الدلالية للصورة، التي تبرز ــ أيضا ــ جمال الأسلوب القرآني في تنوع استعمال الوحدات الدالة على الحيوان في الحقل الدلالي الواحد.

ــ في الفصل الثالث: ندرس التحولات الأسلوبية في بنية الصورة ويتضمن مبحثين: تحولات صوتية، وتحولات سياقية، وأثر ذلك على الدلالة.

ــ وفي الفصل الرابع نتناول فيه الصورة البيانية (التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية) وقيمتها التعبيرية في تصوير المعاني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الحيوان في التراث الإنساني

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصـــــل الأول

الحيوان في التـــــراث الإنساني

يهدف هذا الفصل التمهيدي إلى الكشف عن الصورة الحيوانية التي تشكلت فـــي ذهن الإنسان منذ درج على هذه الأرض وينصب التركيز علـــى التـــصورات الفلـــسفية والممارسات العقدية حولها ؛ ذلك أن مثل هذا الأمر يفتح أفاقا حول أبعاد التصور القرآني لصورة الحيوان، ويعين على فهم البنية العميقة لهذا التصور، وكيف استهدف القرآن تلك التصورات والمعتقدات الخرافية التي سكنت عقل الإنسان، وعمل على هدمها ،وإحـــلال التصور القرآني بديلا عنها. ولكي يتجلى الأمر ويتحقق الهدف المنشود، لابد أن نقف على تلك التصورات التي تكونت في الذهنية البشرية .

صورة الحيوان من العصر الحجري إلى ظهور الإسلام :

علقت صورة الحيوان بالإنسان منذ درج على هذه الأرض، وارتبطت حياته بـــه ارتباطا وثيقاً. ففي العصر الحجري القديم صورت حيوانات من الطين علـــى حجـــرات الكهوف والمغاور، يمكن أن ننظر إليها كضرب من الشعائر تجلـــب لـــصاحبها الـــسعد والإقبال، فلقد برع المجدليون، وأسلافهم من الفنانين، والـــسحرة، إذ مارســـوا طقوســـا داخل تلك الحجرات، فرسموا أشكالاً حيوانية منها: الثور الوحشي، والوعل، والخنـــازير البرية، والماعز، والخيل. وهو يتلقى ضربات سهام صاحب الرسم للظفر به لأكلـــه، أو لاتقاء شره[1].

ولما كان تفكير الإنسان "ساذجا سطحيا آنذاك، فقد أسقط مشاعره وأحاسيسه على ما حوله من الكائنات، فعبد العديد من الحيوانات والطيور والحشرات التي توهم أن لديها مؤثرات خارقة تستحق التقدير"[2]

شهدت بلاد ما بين النهرين حضارات معظمها قدست الحيوان. فالسومريون مثلوا الحيوانات بأشكال وأحجام مختلفة، وخلطوا بين التماثيل لا هي بالإنسانية ولا بالحيوانية ،

---

[1] حاطوم، نور الدين ورفاقه: موجز تاريخ الحضارة، (د ن)، د مشق، ١٩٦٤، ص:٦٩.

[2] الفيومي ،إبراهيم حسين: روائع إعجاز القرآن في قصص الطير والحيوان: دراسة فنيـــة فـــي البنيـــة العميقة ، المؤتمر العلمي الثالث: الإعجاز في القرآن الكريم، مجلد ١، صفر ١٤٢١ه ،٢٠٠٠م ،جامعـــة الأقصى ــ غزة ــ فلسطين ، ص:٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن ذلك تمثال ثور رأسه رأس إنسان[1].كما أنهم عرفوا الطوطمية[2] ،وتدل لفظ الطوطمية "على عبادة شئ معين سواء أكان حيوانا أم جمادا ، وقد يشمل الطوطم في الغالب نوعا من الكائنات الحية بأجمعه مثل جميع أنواع حيوان الكنغر ،أو جميع خفافيش الأرض التي يعرفها السحرة"[3].وغالبا ما يكون الطوطم محرما على الجماعة ، ولا يجوز مسه أو أكله إلا وفق طقس ديني خاص لتسري روحه في الجماعة[4].

واتخذ البابليون "مردوخ" إله بابل الرئيس وزعيم الألهه البابلية :إله الرعد ،والهواء، والعواصف، وكان رمزه "الثور"[5]. وقدسوا الإله"أوانيس" على شكل سمكة،لها رأسان : رأس سمكة ، ورأس إنسان[6]. ومن آلهتهم "شوتو" إله الريح على شكل طائر كبير.[7]

ومن آلهة كنعان "إيل" إله السماء ،وأبو الألهة ،والبشر– حسب المفهوم الكنعاني – وهو خالق الكون بكل ما فيه ، وهو رأس النظام الإلهي ، ورمزه "الثور".وكان "إشمون" إله الصحة والشفاء على صورة أفعى[8]. وفي العصر الحديث اتخذت شعارا للمهن الطبية.

تعددت معتقدات الهنود في القديم فعبدوا كل ما حوته الطبيعة من مظاهر معتقدين أنها مسكن الأرواح، من ضمنها الحيوانات[9]. وانتشرت فيهم الديانة البوذية بشكل واسع القائمة على مبادئ وحدة الوجود ، وتناسخ الأرواح ، وتقديس البقرة وتحريم أكل لحمها واستخدامها. وقد رافق تقديسها الأجيال، وما تزال حتى اليوم.[10]وكان الهنود الأمريكيون يعتقدون بطير الرعد الذي تقول أساطيرهم أن الرعد ناتج عن حركة جناحيه المدوية.[11]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1]. حاطوم، نور الدين: موجز تاريخ الحضارة ،ص: ٢٠٩.
[2]. نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت،١٩٩٤، ص:٨٣.
[3].الفيومي، إبراهيم :روائع إعجاز القران في قصص الطير والحيوان ، ص:٧.
[4].حاطوم ،نور الدين : موجز تاريخ الحضارة ، ص:١٤.
[5] نعمة حسن : موسوعة ميثولوجيا، ص:٧٨.
[6]. فيرو للو، شارل: أساطير بابل وكنعان، ترجمة ماجد خير بك ، (د ط) ، (د ن) ، ١٩٩م، ص :١٩.
[7] .المرجع نفسه، ص:٢٩.
[8]. نعمة، حسن : موسوعة ميثولوجيا، ص:٩٣–٩٤.
[9] .المرجع نفسه ، ص: ١١٦.
[10] إسماعيل، عز الدين:الفن والإنسان، دار القلم، بيروت ، ١٩٧٤،ص:٣٣.
[11] أبو زيد، محمد أحمد : الطير في الأدب العربي ،ط٢،مطبعة الروزانا، اربد ، الأردن، ١٩٩٨م، ص:٤٧.

وتنوعت آلهة الإغريق وتخصص كل إله في مجال معين كآلهة الحرب وإله الشر وإله البحر، وآلهة الجمال.[1] إلا أنهم كانوا جميعا يخضعون لإله واحد هو كبيرهم "زيوس". ولقد صور خيالهم الخصب الألهة في وضع يمكن الناس من استدعائهم بالصلوات والأدعية والقرابين، فيرونهم على هيئة طيور[2]. وذلك لاعتقادهم بقدسية الطيور . وشملت ــ أيضاً ــ قداستهم الثور والماعز والأفعى ، واعتقدوا في الأخير الخلود.[3]

وطويت صفحة الإغريق على يد الرومان الذين كانوا وثنيين قبل أن يتحولوا إلى الديانة المسيحية.[4] وكان تصور الرومان لآلهتهم في العهد الوثني، يتمثل بالأرواح التي تتقمص الحيوانات المقدسة ، ومن ضمنها الحصان، والحيوان الذبيح، والأوز المقدس.[5]

وكانت ممارسة الفُرْس للدين تتفق في كثير من الحالات مع ديانة الهنود فعبد الفرس الحيوانات، ومن ضمن معبودا تهم "هوما" الثور المقدس الذي مات ثم بعث حيا، ووهب البشر دمه شرابا ليسبغ عليهم نعمة الخلود.[6] كما أنهم عبدوا الحية -كما عبدتها الشعوب القديمة -لاعتقادهم بأنها الزوج الأول للمرأة ، ومن مضاجعتها لها حصلت العادة الشهرية، وبهذا أصبحت في نظرهم رمزاً للعضو التناسلي للرجل.[7]

وإذا ما تحولنا إلى الحضارة المصرية القديمة فإننا نلاحظ أن للحيوان حضوراً في معتقداتهم، فلقد تصور العقل المصري السماء – آنذاك - على هيئة بقرة متناهية في الضخامة أطلق عليه اسم "حاتحور " إله السماء، معتمداً ألوهيته على تلك الهيئة[8].

" وتصور المصري كذلك الشمس عجلاً يولد مرة في كل يوم، ثم يسير في موكب عبر السماء، فيقطعه ثم يغيب وراء الأفق ليستريح، ثم يعود في اليوم التالي ليقوم بالرحلة نفسها.[9]

---

[1] ياسين ،عاصم أحمد: المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق ، نهضة الشرق، (د ن)، (د ت)، ص:١٢١.
[2] عثمان، أحمد: الشعر الإغريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ١٩٨٤، ص:٦٢.
[3] نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا، ص:١٠١.
[4] الفيومي، إبراهيم : روائع إعجاز القرآن، ص:٩.
[5] حاطوم، نور الدين: موجز تاريخ الحضارة ص:٥٦٧ .
[6] .المرجع نفسه، ص:٢٩١.
[7] نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا، ص:٣٩.
[8] إرمان، أد ولف: ديانة مصر القديمة :نشأتها وتطورها ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص:٣٠.
[9] الفيومي، إبراهيم: روائع إعجاز القرآن، ص:٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتحول الخيال المصري في فترة تالية من العجل إلى الاعتقاد بأن "حورس" الطائر الصقر إله الشمس والسماء[1]. وأن" تحوت" الطائر أبو منجل إله القمر[2]. وكثيرا ما كانوا يمثلون بعض آلهتهم بشكل حيوانات وبشر معاً" "فبتاح" كان يُمَثَّل بشكل ثور، و" أمون- رع " بشكل كبش، و"حورس" بشكل إنسان له رأس صقر. وفي بعض الأحيان كانوا يعبدون ثالوثات إلهية، أو حيوانات تحولت مع الزمن إلى صورة بشرية.[3]

وحظي الثعبان في الحضارة المصرية وخاصة في الحضارة الفرعونية بهالة من التقديس؛ إذ يعد رمز القوة[4]. فعبد الثعبان السام وأصبح كل إله يخصص برسم ثعبان[5]. ونسجت نصوص قصصية، حوله تبين مكانة الثعبان لدى الفراعنة وتمتعه بقوة خارقة، أقدمها بردية مصرية ترد إلى عام ٣٥٠٠ق. م، عنوانها "جزيرة الثعبان"[6].

وظلت قداسة الحيوان ملازمة للعقل المصري حتى بعد موته، إذ وجد في مصر كثير من المقابر العامة للحيوانات المقدسة، كمقابر الصقور ،ومقابر الثعابين ،والسمك ، وهي محنطة ومدفونة في قدور أو تماثيل من البرنز[7].

وإذا ما تأملنا الحيوان في الحكايات الشعبية وجدنا أن حكايات الحيوان هي أقدم الحكايات الشعبية وأقدرها،وهي عبارة عن شكل قصصي يقوم الحيوان فيه بالدور الرئيس.وتردد على السنة الجميع.[8] وتوجد في كل بيئة، وتعرفها كل أمة، كما تحتل مكانا بارزا بين الأشكال القصصية فيما يسمى بالأدب المثقف أوالأدب الرفيع[9].

وتكتسب شخصية الحيوان والطير في الكثير من القصص الخرافي والأسطوري صفات إنسانية أهمها النطق أو اللغة، وفي هذا الإطار نشأت تلك الشخصية الإنسانية التي قدر لها أن تفهم لغة الحيوان وأن تفيد من هذا الفهم في كشف المحجوب أو التنبؤ بالغيب[10]

وتزعم بعض العقائد القديمة أن الحيوان أعقل من الإنسان وأن للحيوانات وبخاصة الطيور، قوة خارقة لما يتاح لها من الفرص في الكشف عن المحجوب أو السر،

---

[1] . نعمة ، حسن: موسوعة ميثولوجيا، ص ٤١.
[2] إرمان ، أد ولف: ديانة مصر القديمة، ص:٧٠
[3] حاطوم نور الدين: موجز تاريخ الحضارة ، ص:١٢١.
[4] .إرمان ،أدولف: ديانة مصر القديمة ، ص٤٢.
[5]. المرجع نفسه ،ص٨٠.
[6].الحديدي، علي : أدب الأطفال ،ط١، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ،١٩٨٢،ص:٤٢.
[7]. إرمان ، أد ولف: ديانة مصر القديمة، ص:٤٤٥.
[8]. يونس، عبد الحميد: الحكايات الشعبية ، دار الشؤون الثقافية، بغداد،(د ت) ،ص٢٩.
[9].الفيومي، إبراهيم: روائع الاعجاز، ص:٩.
[10]. المرجع نفسه، ص:٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لأنها تستطيع أن تراقب أحداثا لها أهميتها دون أن يلاحظها أحد، كما تقدر على الوصول إلي أماكن يعز على الإنسان بلوغها[1]

وترد أقدم حكاية وردت على ألسنة الحيوان إلي الهنود أو الإغريق ، أو الساميين[2]. ويرجح الدارسون أن أقدم مجموعة وصلت إلينا هي "خرافات أيسوب" التي ترجع إلي القرن السادس قبل الميلاد[3]. وأقدم مجموعة أسيوية" البانجاتنترا" الهندية الأصل، وقد ترجمها ابن المقفع إلي العربية تحت عنوان "كليلة ودمنة " تساق على ألسنة الحيوان والطير كالأسد والثور والحمامة والبوم والغربان، جريا وراء الحكمة[4].

صورة الحيوان عند العرب قبل الإسلام:

سيطرت المعتقدات الوثنية على الذهنية العربية قبل الإسلام، فتعددت الآلهة تبعا للأهواء التي تتوزع تلك الذهنية ، وكانت الطبيعة بمظاهرها المختلفة مصدر تلك المعبودات، وأصبحت واقعا معيشا، وطقوسا تمارس.

دعت خصائص الجزيرة العربية ــ من ضمن هذه الخصائص ندرة النبات ــ الإنسان العربي إلي التمسك بالحيوان،فلازمه وأصبح يمثل أساس الحياة[5].لما له من خصوصية يفتقدها الإنسان كقدرة الطير الوصول إلى كل مكان.رافق ذلك عجز الإنسان الكشف عن بعض أسرار الكون ،وتفسير بعض الظواهر الطبيعية، ولهذه الأسباب مجتمعة عمد إلى الحيوان للكشف عن تلك الأسرار وتفسير تلك الظواهر[6]

شكل الطير بنية أساسية من أبنية العقلية الجاهلية أدت إلى إدخال العرب بعضا منه في مجال عباداتهم[7]، فقد قدسوا حمام مكة[8]. وعبدوا إلها سموه"مطعم الطير" ونصبوا

---

[1] يونس، عبد الحميد: الحكاية الشعبية،ص٣٢.
[2] (المرجع نفسه)، ص٣٤.
[3] الفيومي، إبراهيم: روائع الإعجاز، ص٩.
[4] يونس، عبد الحميد: الحكاية الشعبية،ص٣٤.
[5] عبد الرحمن، عفيف: الحيوان في الأمثال العربية القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م ٥، ع ١٩،١٩٨٥،ص٤٩.
[6] الخطيب، عماد علي سليم: الصورة الفنية في المنهج الأسطوري لدراسة الشعر الجاهلي دراسة تحليلية نقدية، مكتبة الكتاني، عمان، الأردن، ٢٠٠٢، ص١٨٥.
[7] الرباعي، عبدالقادر: الطيرفي الشعر الجاهلي، ط١، المؤسسةالعربية للدراسات والنشر،١٩٩٨، ص٦٥.
[8] خان، محمد عبد المعين: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠،ص١٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

له صنما على المروة[1]. ومن أصنامهم المشهورة صنم دعوه "نسرا" وكان بموضع في أرض سبأ يقال له بلخ ،تعبده حمير ومن والاه[2].

كما ربطوا مصيرهم بالطير وتوقف حلهم وترحالهم بزجر الطير فقد كان الواحد إذا هم بأمر لجأ إلى طائر فزجره، أي أشار إليه مطاردا،فإن مر سانحا عن يمينه إلى يساره استبشر ومضى في الأمر وإن مر بارحا عن يساره إلي يمينه تشاءم وتوقع الضر[3].وقد صنفوا الطير إلي صنفين: صنف قبيح يوحي بالشؤم،وصنف جميل يوحي بالفال، ولعل أهم طائر تردد ذكره في مجال الشؤم عندهم هو الغراب[4].لأمور فيه ترجع إلى لونه ، واسمه المشتق منه الغربة والاغتراب والغريب،ونعيبه الذي ينبئ بتفرق الاحبه.[5]

وبنيت فكرة التطير من الطير،الذي كان منطلقهم الأول في التطير، ومع الزمن وسعوه حتى غدوا يتطيرون بغيره[6].قال الجاحظ :"وأصل التطير من الطير .. إذا مر بارحا أو سانحا،أو رآه يتفلى ،حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس والبهائم أو الأعضب،أو الأبتر زجروا عنه ذلك وتطيروا فكان زجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطير ثم استعملوا ذلك في كل شئ"[7].وقد اختلفوا في تفاؤلهم،وتشاؤمهم بها، فمنهم من كان يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرى عكس ذلك. "فأهل نجد كانوا يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح، وأهل العالية على عكسهم"[8]وهذا ناتج عن اضطراب وخلخلة في تصوراتهم، لأنهم لا ينطلقون من أسس صحيحة، ويعكس مدى سيطرة الأوهام والخرافات على تفكيرهم ومعتقداتهم؛ "وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم، وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم، ويتشاءموا بما

---

[1] الحوت، محمود: في طريق الميثولوجيا، دار النهار للنشر،١٩٨٣،ص١٠٧.

[2] ابن الكلبي، هشام بن محمد: الأصنام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥،ص٥٧.

[3] الدميري، كمال محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى ،ج٢ ،دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة ،١٩٦٥،ص:١٧٢ .

[4] الرباعي،عبد القادر: الطير في الشعر الجاهلي، ص:١١٥ .

[5] حسن، حسين الحاج، الاسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨م، ص:٥٧ .

[6] الرباعي، عبد القادر: الطير في الشعر الجاهلي، ص:١٠٣

[7] الجاحظ ، عمر ابن بحر: الحيوان ج٣ ،تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ١٩٦٩،ص٤٣٨. الأعضب:القصير اليد أو مقطوعها، والأبتر: الأحدب.

[8] الأصفهاني، علي بن الحسن: الأغاني، ج٩، دار الكتب المصرية، (د ن)، (د ت) ص: ١٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نفروا عنه وكرهوه؛ فإن أصابهم نعمةٌ أو بلاء قالوا ببركةٌ هذا، وبشؤم هذا، كما حكى الله ذلك في كتابه العزيز"[1]

وإذا ما تحولنا إلي الحيوانات الأخرى، فإننا نلاحظ أن الخيال العربي أكسبها هي الأخرى قداسة،نجد ذلك في عبادة الإبل ، حيث اشتهروا بعبادة "السقب "، وكانت الناقة معبودة قبيلة "إياد".[2]وفي أغلب الأحيان كانت عبادة الإبل تخص إبلا عن إبل أخرى ، فقبيلة طيء يخصصون من الإبل الجمل الأسود.[3]وكان بعضهم يخص البعير الذي أنجاه من مشقه أو سفر .وتتخذ صور التقديس مظاهر مختلفة،منها إباحة الماء والمرعى، أو الإهمال من الركوب والاستخدام أو عدم الذبح،وأغلب هذه المظاهر تحقق فيما عرف لديهم:بالسائبة،والبحيرة والوصيلة والحامي[4].

"وقد أضفت مخيلة الجاهليين على الإبل طابعا أسطوريا حين زعموا أن فيها عرقا من سفاد الجن،وأنها خلقت من أعنان الشياطين، كما زعموا أن الإبل المتوحشة هي التي ضربت فيها فحول إبل الجن، وأطلقوا على الإبل شديدة النفار اسم الإبل الجنة معتقدين أن الجن قد ركبتها".[5]

وكان الثور في جنوب الجزيرة العربية ــ مثلما كان في مصر القديمة وفي الهند ــ حيوانا مقدسا،فقد كان مجسدًا للإله القمر ورمز له السبئيون برأس ثور.[6]ومن معتقداتهم ضربهم للثور إذا عافت البقر، لزعمهم أن الجن تصد البقر عن الماء، والثور لا يخشى من الجن، لأن الشيطان راكب على قرنيه، والشيطان أخبث أنواع الجن.[7]

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود: الكشاف، ج٤، رتبه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ص١٩.

[2] أبو سويلم ، أنور: الإبل في الشعر الجاهلي: دراسة في ضوء علم المثيولوجيا والنقد الحديث،ط ١، دار العلوم ،الرياض،١٩٩٣، ص٢٣٢.

[3] عجينة، محمد : موسوعة أساطير العرب"عن الجاهلية ودلالتها " ط١ ،دار الفارابي ،بيروت،ج١ ،١٩٩٤ ،ص٢٨٥ .

[4] حسن، حسين الحاج : الأسطورة عند العرب في الجاهلية، ص١٧٤ .السائبة : هي الناقة تبطن عشرة أبطن إناث،فتهمل ولا تركب ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها.والبحيرة: الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها وشقوها وامتنعوا من نحرها وركوبها.ولا تطرد من ماء ولا تمنع من مرعى. "والوصيلة " : الناقة والشاة تبكر ،فتلد أنثى،ثم تثني بولادة أخرى ليس بينهما ذكر،فيتركونها لآلهتهم.. وقيل هي التي وصلت بين عشرة أبطن ليس بينهما ذكر. الحامي : الفحل إذا لقح ولد ولده، فيقولون قد حمى ظهره،فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى .

[5] الخطيب عماد على سليم : الصورة الفنية في المنهج الأسطوري ،ص:١٦٥.

[6] عبد الرحمن، محمد ابراهيم: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، فصول ، م٣ ،١٩٨١ ،ص: ١٣١ .

[7] حسن ،حسين الحاج: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، ص: ٧٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحول بهم الخيال، وخلوا الأرض محل الشيطان، فزعموا أن الأرض تركب على قرني الثور،وساد الرأي أن الأرض تنتقل في أول يوم من كل سنة من قرن إلـــي قـــرن، وبذلك يعللون دورة الأرض وحدوث عام جديد.[1]

وقد امتدت بهم الخرافة إلى أن كعب الأرنب يقي من السحر فكانوا يعلقونه علـــى أجسامهم ظنا منهم أن الجن تنفر من الأرنب، لأنها تحيض[2]. وزعموا أن سن الثعلب وسن الهرة تحفظ الصبي ـــ إذا علقت عليه ـــ من نظرة أو خطفة وتحجبه عن الجن.[3]

وجنح بهم الخيال إلى أن صلة تربط الثعبان بالجن، فإذا ما قتلوا ثعبانا خافوا من الجن أن يأخذوا بثأره. وإذا ما اعتل أحدهم ، وطالت علته ظنوا أن به مسا من الجن لأنه قتل حية، أو يربوعا، أو قنفذا[4].

ومن الحيوانات الخرافية التي وردت في قصصهم وأشعارهم الغـــول ،والـــسعلاة والعنقاء والهامة[5].

وحفل الأدب الجاهلي بصور الحيوان على اختلاف أنواعه، ولا تكاد تخلو قصيدة أو شعر في الأدب الجاهلي من ذكر الحيوان أو التشبه به في صفة من الصفات، فعكست بعضها إيقاع الحياة اليومية، وعكس بعضها العلاقة الحميمة التي كانت تربط العربي فـــي الجاهلية بأنواع خاصة من الحيوان. فالناقة عنصر مشترك في معظم القصائد الجاهليـــة، وهناك حصان امرئ القيس وكلب النابغة الذبياني، إضافة إلي أنواع شتى مـــن الطيـــور الجارحة والأليفة التي انتشرت في الأدب الجاهلي[6].

والأمثال لون من ألوان الأدب ،تعطي مدلولا خاصا لصورة معينة مـــن صـــور الحياة وهي سجل واقعي لحياة الشعوب،وتاريخهم،ومرآه عاكسة لتفكيرهم[7]. ولقد شاع ذكر الحيوان في الأمثال الجاهلية السائرة نحو قولهم" أبصر من عقاب"، "وأضل مـــن حمـــار

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص:٧٤.

[2] القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي :صبح الأعشى،ج١ ،تح: محمد حسن شمس الدين، دار الفكـــر، بيروت، ١٩٨٧م، ص:٤٠٦.

[3] الألوسي،محمود: بلوغ الأرب،تحقيق :محمد بهجت ،ج٢، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنـــشر، مصر ،١٩٢٣،ص:٣٥٨ .

[4] حسن ،حسين الحاج: الاسطورة عند العرب في الجاهلية، ص:٩٨ .

[5] الرباعي، عبد القادر:(الطير في الشعر الجاهلي، ص:١٢٢ .

[6] انظر: عبد الرحمن، عفيف: الحيوان في الأمثال العربية القديمة، ص٤٩ ،الفيومي ،إبراهيم : روائـــع إعجاز القران، ص:١١ . شكر ،شاكر هادي : الحيـــوان فـــي الأدب العربـــي ،ج١،مكتبـــة النهـــضة العربية،بيروت ،١٩٨٥ ،ص:٨ .

[7] أبو زيد ،محمد:الطير في الأدب العربي ،١٩٩٨،ص٢٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهلي"،"وأهدى من قطاة "ويقال في صفة الرجل الجامع : "له وثبة الأسد،وروغان الثعلب، وختل الذئب، وجمع الذرة ،وبكور الغراب"[1].

نخلص من هذا كله إلى أن العقلية البشرية عاشت متخبطة ، ظهر أثر ذلك في تعدد معتقداتها وتصوراتها،فكان "القاسم المشترك الأعظم بين معتقدات القبائل البدائية وشعوب الحضارات القديمة والعرب في الجاهلية أنهم جميعا عبدوا أنواعا من الحيوانات والطيور وأحاطوها بهالة من التقديس والاحترام..."[2]. ولولا تلطف الله بعباده بإرسال الرسل بين الحين والأخر، لتاهت البشرية، وظلت غارقة في خيالاتها وأوهامها. وكانت رسالة الإسلام هي خاتمة تلك الرسالات التي أعادت الإنسان إلى جادة الصواب.

صورة الحيوان في ظل الإسلام :

جاء الإسلام يحمل تصورا للكون والحياة، هدفه تحرير عقلية الإنسان الغارقة في الأوهام، والخرافات.فقطعت حبال أوهامه، ونقلته من السطحية والسذاجة إلى العمق في التفكير،والتمسك بحبل الله المتين، فتلاشت تلك الخرافات وتوارت بظهور شمس التوحيد.

وفي ظل هذا التصور جردت صورة الحيوان مما أحاط بها من خرافات. وتحددت صورته في دائرة المخلوقات، تخضع كغيرها من المخلوقات لسلطان خالقها، وتدل على وحدانيته.

وعلى الرغم من اختلاف المعاني،وتغير الاهتمامات،لازم الشعراء ــ رغم محاولاتهم التجديد ــ ،البناء الفني للقصيدة الجاهلية[3]، وظلت المادة نفسها التي يصنع منها الشعراء خيالهم، فالظباء والأبقار والثور،والناقة والفرس .. كل أولئك وغيره كثير ظل مادة تفكير أدباء العربية عصورا طوالا[4]. وتطورت العلاقة بين الشاعر والحيوان حتى خصصت قصائد كاملة في رثاء الحيوان[5].

وراج القصص وازدهر في عصر صدر الإسلام وما تلاه من عصور، هدفه الوعظ والتأديب، يرغب الناس في الخير والعمل الصالح، ويرهبهم من الشر وما يتعارض

---

[1]. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر :الحيوان، ج١،ص٢٠.
[2]. الفيومي، إبراهيم : روائع اعجاز القران ، ص:١١.
[3]. أبو الأنوار :محمد :التراث الشعري، ودوره في مراحل تطور الشعر العربي،مجلة جذور ١٤٤ "رجب ١٤٢٤، ص١٠٥ ،ص ص١٠٢،١٦٦ .
[4]. ناصف ،مصطفى : قراءة ثانية لشعرنا القديم، ط١،دار الأندلس،١٩٨١ ،ص:٤١ــ٤٢ . خصصت قصائد كاملة في رثاء الحيوان في العصر العباسي .
[5].بابعة ، موسى : من نماذج رثاء الحيوان في الشعر العباسي ،أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللغويات،المجلد ٧، العدد ٢، ١٩٨٩،ص:١١٦،ص ص١١١ــ١٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مع مبادئ الدين الجديد [1]. واحتلت الشخوص الحيوانية، وحكايات الحيوان مكانا بارزا[2].وشت الخيال ببعض المفسرين والقصاص فراحوا يعرضون بعض حكايات الحيوان الخرافية[3]. إلا أنها لم تصل إلى درجة التقديس.

وبلغ من اهتمام العرب بحيوانهم أنهم ألفوا في بعضها أكثر من سفر ولم يتركوا جزءا من جسم كل حيوان، أو صوته، أو طباعه إلا وصفوه[4]. تذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر، كتاب الإبل لأبي عبيده، وكتاب الخيل لابن الأعرابي، وكتاب الغنم لأبي حسن الأخفش، وكتاب الطير للسجستاني ،وكتاب الفرس للأصمعي.[5] ولكن الجاحظ كان محصلة لهؤلاء ولغيرهم. وأكثر الدميري في كتابه "حياة الحيوان الكبرى" الحديث عن أنواع شتى من الحيوان والطير والحشرات[6].

ويعد "كتاب كليلة ودمنة" مصدرا للقصص والحكايات التي قيلت على ألسنة الطيور والحيوانات[7]. ومثلت الحكاية فيه بصرف النظر عن أصولها غير العربية نقلة نوعية في تاريخ تطور القصة الحيوانية، لا في الأدب العربي وحده بل في الأدب العالمي[8].

وخصصت مساحة واسعة في رسائل أخوان الصفاء " لقصص الحيوان، وظف بعض منها لمهاجمة رموز المؤسسة وإدانة الخلافة التي تنهى عن المنكر بينما ترتكبه[9].

ويحتوي كتاب "ألف ليلة وليلة " الذي يحاكي كتاب كليلة ودمنة على قصص وحكايات متعددة عن الحيوان،منها أصحاب الطاووس والبومة والفرس[10]."وغالبا ما تأخذ حكايات الحيوان في ألف ليلة وليلة وظيفة وعظيه وإرشادية كما تعكس صورة الجور والظلم الفادح اللذين يقعان على الحيوان من الإنسان "[11].

---

[1].الفيومي، إبراهيم: روائع إعجاز القران، ص١٣.
[2].عبود ،عبده :لماذا عاد الحيوان إلى القصة العربية المعاصرة، الموقف الأدبي ،ع ٣٠٧، (تشرين الثاني ١٩٩٦)ص:٤٤.
[3].الفيومي ، إبراهيم: روائع إعجاز القران، ص:١٤.
[4]. عبد الرحمن ،عفيف: الحيوان في الأمثال العربية القديمة، ص:٥٠ .
[5].الجاحظ ، أبو عثمان:الحيوان ،ج١ ،ص:١٤ .
[6]. أبو زيد ،محمد: الطير في الأدب العربي، ص: ١٣٠ــ١٣١ .
[7]. المرجع نفسه،ص:١٣٠ .
[8]. عبود، عبده: لماذا عاد الحيوان إلى القصة العربية المعاصرة، ص:٤٤ .
[9].غزول ،فريال جبوري : قصص الحيوان بين مورثنا الشعبي وتراثنا الفلسفي ،مجلة فصول ، ع٣، م ١٣،(خريف ١٩٩٤)،ص:١٤٧.
[10]. أبو زيد ، محمد:الطير في الأدب العربي ،ص:١٣٠ .
[11]. الفيومي: إبراهيم: روائع إعجاز القران، ص:١٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهكذا نلحظ أن للحيوان حضوراً في ظل الإسلام، إذ نراه ملازمـا لأدب تلـك الفترة الشعري منها والنثري، غير أن صورته محكومة بالمعـاني الإسـلامية. واسـتمر حضوره حتى العصر الحاضر، ووظف هذا الحضور لأغراض فنية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

المجالات الدلالية لصورة الحيوان في القرآن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شجرة العلاقات

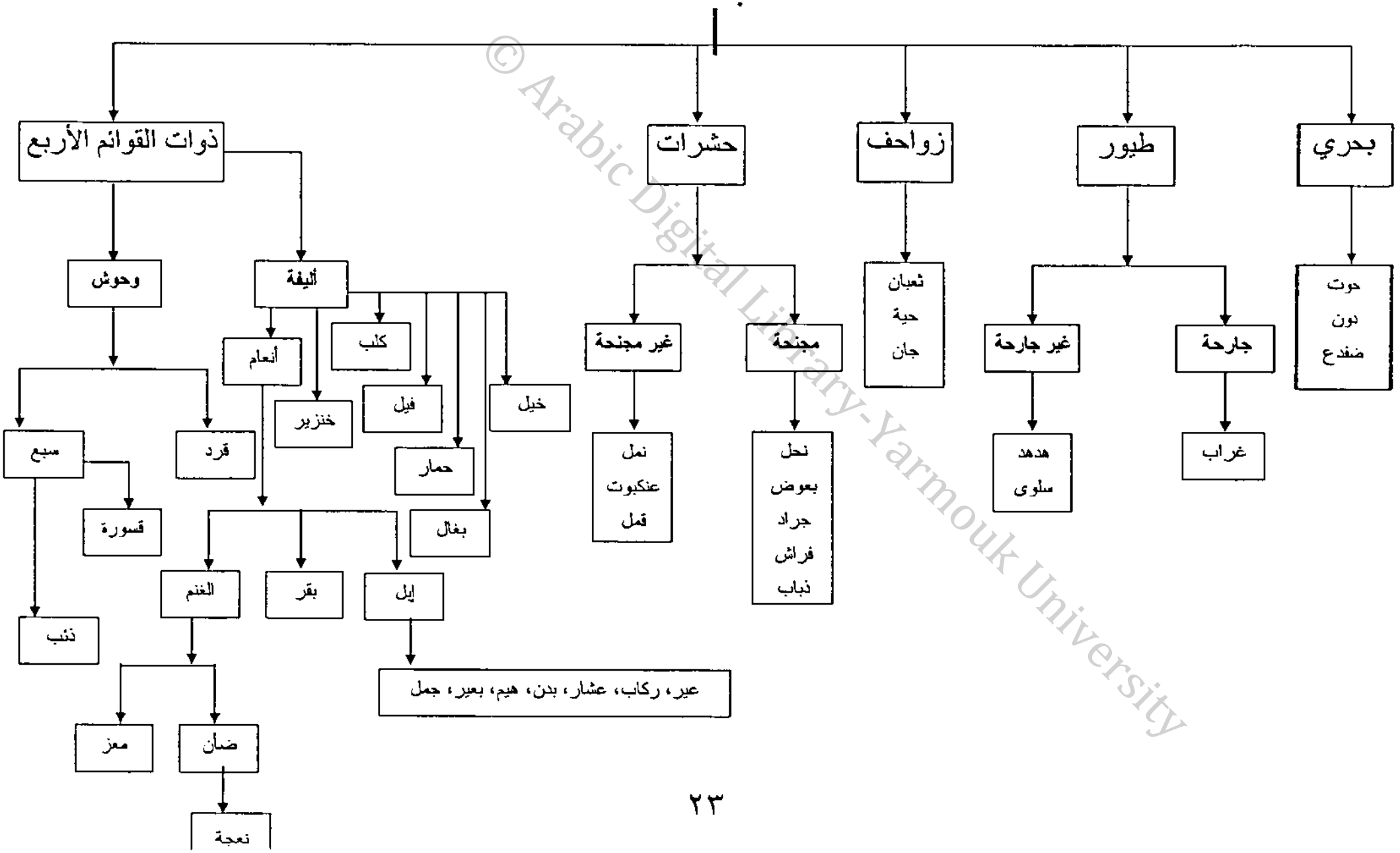

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصـل الثاني

المجالات الدلالية لصورة الحيوان في القرآن

المجال الدلالي هو"مجموعة المفردات التي تنتمي إلى علاقة دلالية مشتركة سواء كانت خاصة أو عامة، مثل علاقة اللون[1]" تقع تحت مصطلح عام "لون" وتضم ألفاظا مثل أحمر، أصفر، أخضر، أبيض"[2] "وهدف التحليل للحقول الدلالية هو جمع الكلمات التي تخص حقلا والكشف عن صلاتها الواحدة منها بالأخرى وصلاتها بالمصطلح العام"[3]. مع الاهتمام بالسياق[4]. فمعنى الكلمة لا ينكشف إلا من خلال وضعها في سياقات مختلفة، فالكلمة تعطي دلالات متعددة بتعدد السياقات التي تدخل فيه[5].

وفكرة الحقول الدلالية هي محور هذا الفصل الذي فيه تتوزع صورة الحيوان إلى حقول دلالية ، تنطوي كل صورة تحت المجال الدلالي الذي تنتمي إليه، ويربطها به علاقة دلالية مشتركة. ليتحدد ــ بهذا التناول ــ مساحة كل صنف من أصناف الحيوان، ومدى حضوره في بنية النص القرآني، بأبعاده الدلالية. ولإبراز جمال الأسلوب القرآني، في تنوع المفردات الدالة على الحيوان في الحقل الدلالي الواحد، وتخصيص كل مفردة بما يناسب السياق الذي ترد فيه، والفكرة التي يستهدفها.

والملاحظ أن الحيوان انضوى تحت حقل دلالي عام يمثله لفظ "دابة"، وتفرع منه خمسة حقول دلالية هي: (ذوات الأربع، والطيور، والحشرات، والزواحف، والبحرية)[6]، نتناولها على النحو الآتي:

---

[1] حسن، سيد برتي: الحقول الدلالية في عالم الأحياء في القرآن الكريم، مجلة مؤته للبحوث والدراسات سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ١٨، العدد ٨ ، ٢٠٠٣ ،ص:١٢٣.

[2] عمر ،أحمد مختار: علم الدلالة، ط٤، عالم الكتب ، القاهرة ،١٩٩٣، ص:٧٩.

[3] المرجع نفسه ، ص:٨٠.

[4] عوض، فريد حيدر: علم الدلالة : دراسة نظرية وتطبيقية، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ص :١٧٥.

[5] المرجع نفسه،ص٧.

[6] انظر شجرة العلاقات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المجال الدلالي العام (دابة) :

يمثل هذا المجال الوحدة الدالة " دابة"، والدابة اسم من الدبيب، وهو المشي رويدا، فكل ما يمشي فوق الأرض فهو بحسب الوضع اللغوي دابة[1]. ووفق هذا المدلول فالدابة تشمل جميع الحيوان بما في ذلك الإنسان.

وفي القرآن الكريم الذي أوردها بصيغة المفرد ١٤ مرة[2]، وبصيغة الجمع أربع مرات[3].

نجد دلالاتها تعددت بتعدد سياقاتها، فجاءت دلالتها حسب الوضع اللغوي في عدد من السياقات ، من ذلك[4]، قوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [النور:٤٥]. ولفظة "دابة " هنا نكرة مسبوقة ب"كل" الدالة على الإحاطة والشمول[5] فأضفت عليها دلالة العموم، فعمت دلالتها في هذا السياق من يعقل ومن لا يعقل[6]. لتدل على أن كل المخلوقات نشأت من أصل واحد ، وطبيعة واحدة، "يعني وحدة العنصر الأساسي في تركيب الأحياء جميعا، وهو الماء.....فهي ذات أصل واحد. ثم هي كما ترى العين متنوعة الأشكال، منها الزواحف تمشي على بطنها ، ومنها الإنسان والطير يمشي على قدمين، ومنها ... يمشيان على أربع. ويوحي هذا التنوع – وهي خارجة من أصل واحد – بالتدبير المقصود والمشيئة العامدة..."[7]. ومن الثابت علميا ــ وإن كنا لا نعلق الحقائق الثابتة على النظريات العلمية القابلة للتبديل ــ أن أصل جميع الكائنات الحية قد تكوّن في الماء وأن كل الكائنات الحية تتركب أساسا من ماء.[8]

---

[1] .انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت،٢٠٠٠، مادة "دبب"، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط، مادة "دب". ابن فارس، أبو الحسن : مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون،دار الجيل بيروت، ١٩٩١، مادة "دب".

[2] في:[البقرة:٦٤، هود:٥٦،٦، النحل:٦١،٥٠، النور:٤٥،النمل:٨٢، العنكبوت:٥٩، لقمان:١٠، سبأ:١٤، فاطر٤٥، الشوري:٢٩، الجاثية:٤

[3] في: [الأنفال:٥٥،٢٢،الحج:١٨،فاطر:٢٨]. انظر:عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، دار الفكر، بيروت ،٢٠٠٠ ،ص:٣٢٠.

[4] سنكتفي بعرض بعض النماذج، كون التفصيل سيكون في المفردات التي تخص حيوانا بعينه، وبصريح اسمه.

[5] السامرائي، فاضل: معاني النحو، ج٤، ط٢، دار الفكر،عمان ، الأردن ، ٢٠٠٣ ص:١٢٢.

[6] سليم، أمينة محمد عبده: من أسرار التعبير القرآني، (د ط) ،(دن)، (د ت) ، ص:٧٠.

[7] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج ١٨، ط١٧، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢، ص:٢٥٢٣،

[8] عبد الصامد ، محمد كامل: الإعجاز العلمي في الإسلام والقرآن الكريم، ط٣، الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٣، ص١٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واقتصرت دلالة "دابة "على الحيوان فقط ، وخرج الإنسان من دائرة دلالاتها ، مثال ذلك قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)[الأنعام:٣٨]

واكتسبت لفظة" دابة"ـ هنا ـ صفة العموم كونها نكرة مسبوقة بـ" من" الزائدة الدالة على الاستغراق، في سياق النفي، فشملت دلالتها جميع الحيوانات. وأفادت "إلا" في " إلا أمم أمثالكم" اختصاص الحيوان هذه الحالة، إذ إن كل حيوان في الأرض ينتسب إلى جماعة هي أمة قائمة بذاتها لما يطرد فيها من أسلوب العيش، وهذه الأمم شبيهة بالأمم الإنسانية"[1]

وانحصر دال "دابة" بذات حيوان معين، وذلك في موضعين: الأول قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)[سبأ:١٤] والدابة هنا هي الحشرة المسماة "الأرضة"، وهي التي نخرت عصا سليمان بعد موته[2]. وذلك في سياق كشف بطلان علم الجن الغيب ، ونفيه عنهم ، وقصرها على الذات الإلهية، التي وظفت هذه الدويبة الصغيرة المتناهية في الصغر لتقرير هذه الحقيقة.واختيار هذه الدويبة الصغيرة لهذه المهمة، فيه سلب وانكسار للذات المتعالية التي ادعت امتلاك علم يخص الذات المطلقة، وفيه ـ أيضا ـ تثبيت للذات المؤمنة. والثاني في قوله تعالى: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنْ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ)[النمل:٨٢]. يشير إلى الدابة التي هي إحدى علامات القيامة الكبرى[3].والتي أسهب الدارسون في أوصافها.

وهكذا نلحظ أثر السياق في تحديد دلالة لفظ "دابة، إذ إن دلالتها تعددت بتعدد سياقاتها فتوسعت حينا حتى شملت كل ماله حركة على وجه الأرض، وانحصرت حينا آخر في الحيوان فقط، وخصت في سياقات أخرى حيواناً بذاته.

---

[1] يا سوف، أحمد: جماليات المفردة القرآنية،ط ١ ، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق، سورية ،١٩٩٤، ص:١٣٢.

[2] انظر:السيوطي، جلال الدين ورفيقه: تفسير الجلالين، راجعه محمد فهمي أبو عينه، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت ،١٩٨٤،ص٥١٩.الشوكاني ،محمد بن علي: فتح القدير ، ج٢، حققه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية،بيروت، ٢٠٠٣،ص٤٤٣.محمد متولي الشعراوي: قصص الحيوان في القرآن ، ط١، مطبوعات أخبار اليوم ،القاهرة ،١٩٩٩، ص١٤٩ . وابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير،ج٢٢، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤،ص٦٤.

[3] الفيومي، ابراهيم: روائع إعجاز القران، ص:٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ- المجال الدلالي الفرعي الأول (ذوات القوائم الأربع)

يشمل هذا المجال الحيوانات ذوات القوائم الأربع وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : يضم هذا القسم ست مجموعات دلالية دالة على الحيوانات الأليفة ،وهي : الأنعام (الإبل، والبقر، والغنم)، والخيل، والبغال، والحمير، والفيل، والكلب ،والخنزير". نستعرضها ضمن سياقاتها على النحو الآتي:

المجموعة الأولى :

تشمل الوحدات التي تشترك في الدلالة على الأنعام، والملاحظ أن لفظ (أنعام) يمثل الدلالة الجامعة لتلك الوحدات. إذ تفيد المعاجم اللغوية أن واحد الأنعام النعم، وهي الإبل، والشاء، أو خاص بالإبل[1].بينما نجد الاصطلاح القرآني حددها مجملة في قوله تعالى:(وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ)[الزمر:٦]: ومفصلة في قوله تعالى: (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنْ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنْ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ.... وَمِنْ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنْ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ)[2]. إذا فدلالة الأنعام في المصطلح القرآني تشمل ثلاث مجموعات فرعية هي: الإبل والبقر والغنم (الضأن والمعز).

الوحدة الدلالية العامة:

يمثل هذه الوحدة - كما ذكرنا- مفردة (أنعام) وردت في بنية النص القرآني اثنتين وثلاثين مرة، نكرة مرة ومعرفة أخرى[3]، ويرد مرة واحدة بلفظ (النعم)، في:[المائدة:٩٥]

ونجد القرآن قد حقق بهذا الحضور أبعادا ودلالات، نقف على بعض منها[4] في ضوء سياقاتها، فمن ذلك، الاستدلال بخلقها وأحوالها على وجود الصانع الحكيم[5]، يقول تعالى:(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا

---

[1] انظر : الفيروز آبادي:القاموس المحيط ، ج٤،مادة (نعم). وابن سيده: المخصص ، ج٧ ، دار الفكر، بيروت، (د ت)، ص١٣٣.وابن منظور :اللسان ،مادة "نعم" . الفراهيدي ، الخليل بن أحمد: العين ،تحقيق عبد الحميد هنداوي ،ج٤، دارا لكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٣،ص٢٤٤.

[2] الأنعام : ١٤٤،١٤٣.

[3] في[آل عمران:١٤، النساء:١١٩، المائدة:١، الأنعام: ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، الأعراف:١٧٩، يونس:٢٧، النحل، ٥، ٦٦، ٨٨، طه: ٥٤، الحج، ٢٨، ٣٠، ٣٤، المؤمنون: ٢١، الفرقان: ٤٤، ٤٩، الشعراء: ١٣٣، السجدة، ٢٧، فاطر: ٢٨، يس: ٧١، الزمر: ٦، غافر: ٧٩، الشورى: ١١، الزخرف: ١٢، محمد: ١٢، النازعات: ٣٣، عبس:٣٢]

[4] كما نوهنا سابقا لن نتقصى إلا ما ورد من الحيوان اسمه صريحا

[5] الرازي، فخر الدين أبو عبدالله عمر: التفسير الكبير ، ج١٠، دار الفكر،ط١، بيروت ١٩٨١، ص:٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لِلشَّارِبِينَ)[1]. نعم إنها لعبرة ما بعدها عبرة لبن خالص أبيض ناصع سائغ للشاربين يخرج من بين فرث قذر ذي رائحة كريهة ،ودم أحمر قان[2]. إن في هذه العملية لمسة وجدانية تشعر القلب بوجود خالق مدبر صانع حكيم بمجرد النظر إليها .ويأتي العلم الحديث ليصف هذه العملية، فيفيد أن في :" ضروع الماشية غدداً خاصة لإفراز اللبن "الحليب" تمدها الأوعية الشريانية بخلاصة مكونة من الدم ،والكيلوز، وهو خلاصة الغذاء المهضوم ، وكلاهما غير مستساغ طعما، ثم تقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن من هذين السائلين: الدم والكيلوز، وتفرز عليهما عصارات خاصة تحيلها إلى لبن يختلف في لونه ومذاقه اختلافا تاما عن كل منهما."[3]مما جعل الناس يلمسون هذه الحقيقة لمسا حسيا ويتأملونها ، فتفضي بهم إلى مزيد من الإيمان واليقين.

ووجه القرآن الأنظار في سياقات أخرى إلى ماخصه الله في الأنعام من منن ومنافع كثيرة ، من ذلك قوله تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ).[4]

ومنافع الأنعام كثيرة ومتعددة عرض القرآن عددا منها ، غير أن السياق ــ هنا ــ يعرض من منافع الأنعام البيوت المتخذة من جلودها ،والأثاث والمتاع من الأصواف والأشعار وذلك لأن المشهد يدور حول البيوت والأكنان ،فعرض الجانب الذي يتناسق مع مكونات المشهد[5].

وفي قوله تعالى: (وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ

---

[1] النحل: آية ٦٦.

[2] القنيبي، حامد صادق: لمشاهد في القران الكريم:دراسة تحليلية وصفية، مكتبة المنار، الزرقاء،١٩٨٤، ص:١٣٦ .

[3] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة :المنتخب في تفسير القرآن، دار الثقافة، الدوحة، قطر ، (د ت)، ص٦٣.

[4] النحل:آية ٨٠.

[5] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج٤، ص:٢١٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَصَّفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[1]. يعرض تصورات المشركين وعقائدهم في الأنعام فقد شرائعهم ،وأنكر عليهم التحريم والتحليل من أنفسهم.[2]إذ إن مصدر التشريعات هو المشرع الحكيم يحظر تجاوزه في عظيم الأمور وصغارها.

وإذا كان لفظ الأنعام قد شغل حيزا كبيرا في بنية النص القرآني ــ كون الأنعام تشكل عصب الحياة على مدار الزمان[3] ــ فإن الألفاظ التي تشملها دلالة اللفظة قد خصها القرآن الكريم هي الأخرى بالذكر حسبما يقتضي السياق ،وهي كما يلي:

المجموعة الفرعية الأولى (الوحدات الدالة على الإبل):

تضم الكلمات :"الإبل، والعير، والركاب،والبدن، والعشار، والهيم، جمالة الجمل، والناقة"[4]. وإذا تأملنا هذه الدوال نجد أن جميعها تنتمي إلى فضاء دلالي واحد، وتربط بينهما علاقة الاشتراك في الدلالة على الإبل. وأن كل مفردة منها وضعت وضعا فنيا مقصودا يناسب السياق ويتفاعل معه. ومن خلال العرض يتضح الأمر.

الإبل: جماعة الحيوان الصحراوي، يعرفه ابن سيده بأنه "اسم واحد يقع على الجميع ليس بجمع ولا اسم جمع إنما هو دال عليه"[5].

أورده القرآن الكريم في موضعين: أولهما في سورة الغاشية :(أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)[6]. والآخر في سورة الأنعام :(وَمِنْ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنْ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ.....)[7].

وإذا تأملنا في اللفظة في سورة الغاشية نجد أنها جاءت في سياق يتعجب من عدم الالتفات إلى آية مشهودة محسوسة دالة على قدرة الذات الإلهية متمثلة في كيفية خلق الإبل[8]. وهذا يعني أن جنس الإبل في مختلف مراحله هو المعني بالنظر والتدبر، فناسب اللفظ السياق إذ إن لفظ الإبل دال على الجنس ويقال لمسانها وصغارها، ويشمل الذكر

---

[1] الأنعام: ١٣٩،١٣٨.
[2] الرازي ، فخر الدين : التفسير الكبير، ج١٣، ص٢١٨.
[3] ابراهيم الفيومي : روائع إعجاز القرآن، ص١٧.
[4] وكذلك:(البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي) في المائدة:١٠٣. و(ضامر)في الحج:٢٧.
[5] ابن سيده: المخصص، ج٧ ، ص:٢.
[6] الغاشية : ١٧.
[7] الأنعام : ١٤٤.
[8] انظر :ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ج٤، دار المعرفة بيروت،١٩٦٤،ص٥٠٣. . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٩٩٣)، ص٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأنثى[1].ولو جاز لنا أن نضع لفظة أخرى -من الألفاظ التي تشترك في الدلالة على الإبل - مكانها في هذا الموضع لما استقام الأمر، كون الأخرى تختص دلالتها بجانب معين ، ولا تشمل دلالتها ما شملته دلالة لفظ "إبل". ومن خلال تناولها ضمن سياقها تتكشف هذه الحقيقة .

أما في سورة الأنعام فلفظ "الإبل" جاء في سياق يظهر افتراء المشركين فيما ابتدعوا تحريمه من أنواع وأصناف الأنعام[2]."إذ كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة، وإناثها تارة وأولادهما كيفما كانت ذكورا، وإناثا، أو مختلطة تارة[3]". ولما أراد أن يظهر بطلان شرعتهم نفى عن طريق الاستدلال أن يكون الله قد حرم من أنواع وأصناف الأنعام شيئا ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناثها[4]. ومن ضمنها الإبل فناسب هذا الأمر لفظ "الإبل" إذ إن النفي بها ينفي أن يكون الله قد حرم أيا منها في مختلف مراحلها، لأن اللفظ -كما ذكرنا آنفا- يدل على جنس الإبل في مختلف مراحلها وصفاتها ذكرها وأنثاها. ولا تؤدي لفظة أخرى ما أدته هذه اللفظة في هذا السياق.

العير: يطلق لفظ العير على الإبل التي تحمل الميرة[5]،لا واحد لها من لفظها[6]،وقيل: "ما جلب عليه الطعام من قوافل الإبل والبغال والحمير"[7]. واللفظ مشتق من عار عيرا عيرانا ذهب وجاء مترددا[8]. وسمي به البعير لأنه يعير فيتردد في الفلاة[9].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مرتين: الأولى، في قوله تعالى:(ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)[10]، والثانية في قوله تعالى: (.....وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)[11]. فناسب اللفظ السياق في الموضعين إذ أطلق على الإبل التي فيها أخوة يوسف وهي محملة بطعام كاله لهم يوسف وهم له منكرون.

---

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (إبل).
[2] ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج٢، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ص:١٢٩.
[3] الزمخشري: الكشاف: ج٢، ص١٧.
[4] المرجع نفسه ، ص:٧١.
[5] الميرة : الطعام يجمع للسفر ونحوه
[6] انظر :ابن سيده:المخصص ج٧، ص:١٣١. الجاحظ : الحيوان، ج٤، ص٧٦. الدميري : حياة الحيوان الكبرى ،ج ٢،ص:٢٣١.
[7] أنيس، إبراهيم: المعجم الوسيط ،ط٢،١٩٧٢، مادة (مار) ،ص:٩٣٢.
[8] المرجع نفسه، مادة (عار) ، ص :٦٧٠.
[9] حسام الدين، زكي: التحليل الدلالي، ج١، دار غريب، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص:٣٤٤.
[10] يوسف: ٧٠.
[11] يوسف:٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البُــدنْ: واحدتها بَدَنَة، وسميت بدنة لأنها تبدن والبدانة السمن[1]، جاء في اللسان أن "البدنة تقع على الناقة والبقر والبعير الذكر[2]" وقيل إن هذا الاسم خاص بالإبل[3]. غلب على البعير المعين للهدي[4]، إذا بلغ خمس سنوات أو أكثر[5].

ورد هذا اللفظ مرة واحدة، في سياق امتنان الله على عباده فيما خلق لهم من البدن وجعلها من شعائره تهدى إلى بيته الحرام[6]، بما فيها من النفع الديني والدنيوي، والتقريب الذي هو من منافع الآخرة[7]. وذلك في قوله تعالى: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَــرَّ كَــذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).[8]

والملحوظ أن دلالة لفظ البدن في هذا السياق أطلق على الإبــل المعينــة للهــدي وذلك لأنه قال(فإذا وجبت جنوبها) وهذا يختص بالإبل فإنها تنحر قائمة، بينمــا البقــر يضجع ويذبح كالغنم.[9]

ولفظ (البدن) يوحي بمعان ودلالات، إذ يدل على البعير المعين للهدي الذي بلــغ خمس سنوات وطاعن في السادسة، ذا سمنة واكتناز، وهذه السمنة دليــل علــى صــحته وسلامته. فاستطاع القرآن ببلاغته أن يعبر بهذه اللفظة عن هذه المعاني مجتمعة. و هــذه المعاني هي ما يشترط في الهدي.[10]

ركاب: الركاب "اسم جمع للإبل التي يسار عليها واحدتها راحلــة، ولا واحــد لهــا مــن لفظها"[11]. ويقال مر بنا راكب، إذا كان على بعير خاصة، ولا يقال في الأكثــر الفــصيح

---

[1] انظر: الأندلسي، ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١١، تحقيق المجلس العلمــي بفارس، ١٩٨٨، ص٢٠١، القرطبي ن محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ج١٢،ص ٦٠

[2] ابن منظور : لسان العرب، مادة "بدن"،

[3] الرازي ، فخر الدين : التفسير الكبير ، ج٢٣، ص:٣٦.

[4] ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج١٧، ص : ٢٦٢.

[5] فلاح العاني : موسوعة الإبل ،ط٢، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ٢٠٠٣، ص:٢٤.

[6] ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن اعظيم، ج ٣، ص ٢٢١.

[7] البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:١٥٣.

[8] الحج: آية٣٦.

[9] الرازي، فخرالدين: التفسير الكبير ، ج١٧، ص٣٦.

[10] انظر:الياسين ، جاسم بن مهلهل :المنهاج للمعتمر والحج ،ط١ ، دار الدعوة للنشر والتوزيع ، الكويت ،١٩٨٧، ص:١٢٠. مغنية ، محمد جواد :الحج على المذاهب الخمسة ،دار العلــم للملايــن ، (د ت) ، ص:٩٨.

[11] ابن منظور: لسان العرب ، مادة (ركب).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

راكب لمن ركب الفرس أو الحمار، أو نحوه، بل يقال فارس وراكب حمار وراكب بغل"[1].

وردت لفظ (ركاب) مرة واحدة في قوله تعالى:(وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الحشر:٦].

والفكرة هنا تنفي أن يكون الفيء الذي حصل عليه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ناتجاً عن شقة بعيدة ، قطعت بواسطة الخيل والركاب ،وبقتال شديد[2]،يقول الفخر الرازي:"فلما كانت المقاتلة قليلة والخيل والركاب غير حاصل أجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة أصلاً، فخص الرسول صلى الله عليه وسلم بتلك الأموال"[3].

وبما أن جو السياق جو قتال جاءت لفظة (ركاب) متناسقة في بنية النص اللغوية، إذ إن مادتها مشتقة من وظيفة البعير الرئيسة في مثل هذا المقام وهي الركوب عليه. إضافة إلى أن اجتماع صوت الكاف والباء بجرسهما الشديد يناسب بأس القتال وشدته .كما أن مجيئها على وزن (فعال) تصور بواسطة ألف المد ارتفاع البعير براكبه .

الهيم : واحدها : أهيم والأنثى هيماء، وهي الإبل التي يصيبها داء، يقال له الهيام[4] " يأخذ الإبل مثل الحمى .....من ماء تشربه مستنقع"[5]، جاء في الأمالي" الهيام داء يأخذ البعير مثل الحمى فيسخن جلده ، ويكثر شربه للماء، وينحل جسمه، فلا يرتوي أبداً حتى يموت"[6].

يرد هذا اللفظ بنفس الدلالة اللغوية، في قوله تعالى:(فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ. فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ)[الواقعة :٥٥]. يصور به حالة من حالات الكافرين في جهنم، إذ نجدهم يشربون ماءً حاراً يقطع أمعاءهم[7]. فلما أراد أن يصور إقبالهم عليه رغم شدة

---

[1] حنكات ، محمد خير :المفصل في أسماء وصفات الإبل، ط١،جمعية عمال مطابع التعاونية ، عمان ، الأردن ،٢٠٠٢،ص:١٧٧.

[2] انظر : أبو السعود، محمد بن محمد العماد: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، (د ت)، ص:٢٢٧.

[3] الرازي، فخرالدين: التفسير الكبير، ج٢٩، ص: ٢٨٦.

[4] انظر : السمين الحلبي، أحمد بن يوسف : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ج٤،ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦،ص:٢٧٢. حنكات ، محمد خير : المفصل في أسماء وصفات الإبل ، ص: ٢٢٥.

[5] ابن سيده : المخصص ، ج٧ ، ص:١٧٠.

[6] القالي، أبوعلي اسماعيل: الأمالي، ج١،دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ص: ٣١٨.

[7] جاسم، يونس : الوصف في القرآن الكريم ، دار المكتبي، دمشق، ١٩٩٥،ص٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حرارته، عمد إلى لفظة (هيم) فتفاعلت مع مكونات البنية السياقية، واستطاعت بمحمولها الدلالي أن تثير فينا الفزع، وهي تطلعنا عليهم وهم يكثرون من شربه كالإبل المصابة بداء الهيام، تكثر من شرب الماء البارد، فلا يروي ظمأها، فكيف بماء حار يحرق أفئدتهم ،ورغم ذلك فهم منكبون عليه.

بهذا نصل إلى أن لفظ (الهيم) وضعت وضعاً فنياً مقصوداً، لا تصلح لفظة أخرى أن تحل مكانها في مثل هذا السياق، وإن كانت تنتمي إلى نفس الحقل الدلالي ، كقولنا ــ مثلاً ــ "شرب البعير" إذ إن مدلول اللفظة البديلة لا يحمل ما يحمله مدلول لفظة (هيم) ، وما تبعثه من رهبة وفزع.

العشار : جمع عُشَراء، وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر [1].

وردت هذه اللفظة ، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[التكوير:٤] ضمن سياق يقرر حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة، هي حقيقة القيامة، وما يصحبها من انقلاب كوني يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء والأنعام والوحوش كما يشمل بني الإنسان، فينفرط ــ بهذا الانقلاب ــ الكون المنسق الجميل[2]. فناسب لفظ (العشار) السياق، وذلك لأن النوق في الوضع الذي حملته دلالة اللفظة، هي أجود وأثمن ما يملكه العربي، وأعز شيء عنده، لأنها مرجوة الولد واللبن قريبة النفع[3]، وبدلا من الاهتمام بها ــ كما هو عهده بها ــ نراه في يوم القيامة يهملها ولا يهتم بشأنها، وذلك لما في هذا اليوم من شدة وهول. فتمكنت اللفظة بدلالتها ضمن مكونات بنية السياق اللغوية تصوير هول هذا اليوم وتقريره في النفوس.

بعير: البعير اسم يقع على الذكر والأنثى، بمنزلة الإنسان من الناس يقال للجمل بعير وللناقة بعير.[4]إذا صلح للركوب والحمل عليه، وذلك إذا استكمل أربع سنوات"[5].

---

[1] انظر: السمين الحلبي : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، ج٣، ص:٧٧. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد :المفردات في غريب ألفاظ القرآن ، ج١ ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت ،(د ت)، ص:٣٣٥.

[2] قطب، سيد : في ظلال القرآن ، ج ٦، ص: ٣٨٣٨.

[3] انظر : الألوسي ، شهاب الدين السيد محمد: روح المعاني : ج٣٠،دار إحياء التراث،بيروت،(د ت) ،ص:٥٦ الجوزي، أبو الفرج كمال الدين عبد الرحمن بن علي: زاد المسير ، ج٩ ، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت،١٩٨٤،ص٣٨. والعشار هنا رمز لكل ما هو محبوب وعزيز على الإنسان يحرص عليه ولا يفارقه في مختلف العصور.

[4] انظر : ابن منظور :لسان العرب ، مادة (بعر). ابن الأجدابي الطرابلسي، أبو إسحاق إبراهيم ابن إسماعيل:المتحفظ وغاية المتلفظ ، بغداد، ١٩٨٦، ص:٤٢.

[5] أنظر:المعجم الوسيط ،مادة (بعر) .ابن سيده ، أبي الحسن بن إسماعيل :المخصص ،ج ٧، ص:٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ورد ذكره في موضعين أولهما على لسان أبناء يعقوب وذلك في قولـه تعـالى: (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)[1]. وثانيهما على لسان المؤذن وذلك فـي قولـه تعالى: (وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ).[2]

ومن الملاحظ أن السياق في الموضعين يدور حول أخوة يوسف وطلبهم طعامـا، حينما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب الناس في سـائر السـبلاد مـن القحـط والشدة[3].ولما كان الغرض هو حمل الطعام جاء لفظ البعير مناسبا لهذا الغرض، وذلك لان القران عبر بما قصد به المتلفظان في الموضعين .فأخوة يوسف حينما طلبوا مـن أبـيهم إرسال أخيهم معهم لكي يجلبوا الطعام "ونزداد كيل بعير "، أي حمل بعير ذكرا كـان أو أنثى، فلم يكن همهم جنس الحامل ناقة أو جملا، وإنما الذي يسيطر على ذواتهم فيما هـم فيه من جدب وقحط هو حمل طعام وتزويد ذويهم به.

وفي الموضع الثاني حينما نادى مناد بفقدان صواع الملك، أعلن أن هناك مكافـأة لمن يحضره (ولمن جاء به حمل بعير) لم يشترط في الحامل الذكورة أو الأنوثة، وإنمـا أراد قدرا من الطعام يحمله ما صلح من الإبل للحمل .

إذا فلفظة(بعير) ناسبت السياق والغرض اللذين سيقت من أجلهما ، وذلـك لأن دلالتها كما ذكرت المعاجم لا تخص جنسا بذاته وإنما تطلق على ذكر الإبـل وأنثـاه إذا صلح للحمل، وهي الفكرة التي يدور حولها السياق.

الجمـل: الذكر من الإبل بمنزلة الرجل من الناس[4]. قيل إنما يكون جملا إذا بزل[5] وقيـل إذا أجذع [6]، وقيل إذا بلغ أربع سنوات. وجمعه جمال وجمالات.[7]وتسميته مـأخوذة مـن الجميل، وهو اسم المذاب من شحم الحيوان الذي يؤدي إلي اتساع المساحة التي يغطيهـا، ويصبح كتله واحدة، كما أن الميم إذا تلت الجيم دلتا على الكتلة والاجتماع والـضخامة[8]،

---

[1] يوسف : ٦٥.
[2] يوسف: ٧٢.
[3] البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود :تفسير البغوي ، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار ،ج٢، دار المعرفة ، بيروت، ١٩٨٦، :ص:٤٣٤.
[4] حسام الدين، زكي:التحليل الدلالي ،ج١،ص:٣٥٢.
[5] الراغب : المفردات في غريب القران، ص٩٨ ، بزل: أي طلع نابه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة.
[6] العاني،فلاح : موسوعة الإبل ، ص: ٣٤.
[7] ابن سيدة :المخصص، ج٧،ص:٢٣.
[8] مثال ذلك :الجمّ :الكثير من كل شئ ،والجمّاني :العظيم الجمة الطويلها ، والجمهور مـن كـل شـئ :معظمة ،وفي لغتنا المعاصرة بيع الجملة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لذلك اتخذ اسم الجمل، ذلك أن الجمل كتلة كبيرة وضخم البنية [1]. نصل من هذا إلى أن أساس تسمية الجمل هي الضخامة وعظم الخلق حتى أن الناقة إذا أشبهت الجمل في عظم الخلق سميت ناقة جمالية .[2]

أورد القران الكريم المفردة مرتين إحداهما بصيغة المفرد وذلك في قولة تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)[3].والأخرى بصيغة الجمع، وذلك في قولة تعالى:(إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ. كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ)[4].

وإذا تأملنا السياقين نجد أن المفردة وظفت توظيفا فنيا يلائم السياق ويبرزه .فالفكرة الموجهة في سياق الأعراف هي تأبيد المكذبين في النار، واستحالة دخولهم الجنة ، فلما أراد القران أن يقرر هذه الحقيقة لتبلغ في النفس مبلغا علق دخولهم الجنة بولوج الجمل في ثقب الإبرة[5].وهو أمر لا يكون أبدا [6]، لأن الجمل عظيم الجثة فلا يلج إلا في باب واسع. ولو استبدلنا لفظ "جمل " بـ "ناقة" لأفاد استحالة دخولهم الجنة إلا أن لفظ "جمل " يجعل الأمر أكثر استحالة وأشد لما فيه من ضخامة أكبر يقابلها ضيق الإبرة.

ونلحظ السياق في سورة المرسلات، يصور هول النار وضخامتها فصور شرر النار بالقصر في العظم[7].وجئ بلفظ "جمالات" لتصوره حين يرتفع وينشق عن أعداد كثيرة كالجمال في الحركة والكثرة والصفرة[8]، فناسبت لفظة "جمالات"بما تحمله من دلالة ،الموقف وضخامته.[9]

الناقة : أنثى الإبل بمنزلة المرأة من النساء[10]، وقيل إنما تسمى بذلك إذا أجذعت، والجمع أنوق ونوق ونياق[1]، واللفظ مشتق من النيقة بمعنى التجويد في الملبس[2]، يقول ابن

---

[1] إسماعيل ، محمد كامل:ألفاظ الحيوان في الشعر الجاهلي "دراسة دلالية "،(رسالة ماجستير غير منشورة)،جامعة النجاح ا لوطنية ١٩٩٥،ص:١٤٤ .

[2] ابن فارس :مجمل اللغة ،تحقيق هادي حسن حمودي ،ج١، ط١، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، الكويت ، ١٩٨٥،ص:٤٦٠.

[3] الأعراف :٤٠.

[4] المرسلات : ٣٢.

[5] الد ميري ،كمال الدين محمد بن موسى : حياة الحيوان الكبرى ،ج١، ص:٢٨٦.

[6] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٨ ، ص:١٢٥

[7] أبو السعود: إرشاد العقل السليم ،ج٩، ص: ٨١.

[8] أطيفش، محمد بن يوسف : تيسير التفسير للقرآن الكريم ،ج١٤ ،وزارة التراث القومي والثقافي ، سلطنة عمان، ١٩٨٩، ص:٣٧٤.

[9] سيكون لنا معها وقفة في الفصل الخاص بالصورة البيانية .

[10] ابن سيدة ، أبي الحسن علي :المخصص، ج٧ ، ص:٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابن سيده: تنوّق في الأمر أي تجود وبالغ.[3] وذلك لأن الناقة في إحساس العربي القديم وتصوره شئ يتصف بالحسن "[4].

تكرر ذكر اللفظة سبع مرات في عدد من السور[5]. وكلها تخص ناقة نبي الله صالح عليه السلام.ومن أجمع الآيات القرآنية التي فصلت الحديث عن قوم صالح وموقفهم منه ومن الناقة المعجزة سورة الأعراف "من الآية ٧٣ ــ٧٩ ".

وفي قول الله سبحانه على لسان صالح عليه السلام مخاطبا قومه : (وَيَا قَوْمِ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً)[6]. إشارة إلي أن الناقة هي معجزة صالح علية السلام الدالة على صدق رسالته كما أن إضافة لفظ الجلالة إلي الناقة دليل على أنها ليست ناقة كغيرها من النوق ، لأن الصخر انشق عنها وخرجت منه الناقة إعجازاً وتحدياً لقومه المعاندين الذين طلبوا إليه أن يخرج لهم ناقة [7].

ومن الملاحظ أن مساكن ثمود هي الحجر بين الحجاز وتبوك [8]، فجاء اختيار الناقة منسجما تماما مع بيئتهم الصحراوية، التي تمثل فيها الناقة ركنا أساسيا في حياة البادية، كما أن التركيز على الناقة لا الجمل يشير إلي مكانتها، لأنها رمز العطاء، ووسيلة الرحلة في الصحراء .[9]

واشتجر النزاع حول الماء عصب الحياة إذ كان للناقة يوم تشرب فيه وثمود يوم آخر، فوسوس الشيطان لكبراء القبيلة من المعاندين أن تلك قسمة ظالمة وزين لهم عقر الناقة فكان في ذلك هلاكهم:(فنادوا أصحابهم فتعاطى فعقر . فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) [10].

والخلاصة أن المحور العام الذي تدور حوله الناقة في سياقاتها هو : دعوة الرسل إلي الله، وإعراض أقوامهم عنها ،وتحديهم لهم رغم مشاهدة المعجزات الحسية، التي

---

[1] أنظر :الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، مادة (نوق) . ابن منظور: لسان العرب، مادة (نوق)
[2] حسام الدين، زكي: التحليل الدلالي، ج ١،ص:٣٥٦.
[3] ابن منظور :لسان العرب مادة (نوق) .
[4] السامرائي، إبراهيم: الأصول البدوية للمصطلح الحضاري ،دراسات يمنية ، العدد ٣٣ (يوليو ، أغسطس سبتمبر) ، ١٩٨٨،ص:٥٣ .
[5] الأعراف : آيه ٧٣ ــ٧٧، هود : آيه ٦٤ ، الإسراء : آيه ٥٩، الشعراء : ١٥٥، القمر : ، ٢٧ ، الشمس : ، ١٣.
[6] هود : آيه ٦٤
[7] الفيومي، إبراهيم : روائع إعجاز القرآن، ص: ١٢ .
[8] ابن كثير :البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ١٣٥١هـ، ص:١٣١ .
[9] الفيومي، إبراهيم: روائع إعجاز القرآن، ص:٢٢ .
[10] سورة القمر : الآيات "٢٩ ــ٣١ " .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جحدوا بها حتى إن جاءت وفق مايطلبونه، فتجسم فيها سوء عاقبة الإعراض، والتحدي للدعوة إلي الإيمان، فهي تمثل حواراً بين الحق والباطل. والإيمان والكفر[1].

المجموعة الفرعية الثانية (الوحدات الدالة على البقر) :

تضم هذه المجموعة الكلمات الدالة أو التي تصور البقر، المعروضة في بنية النص القرآني، وهي:(بقرة ،البقر، بقرات، عجل).

بقرة: البقرة اسم جنس، واحدة البقر، تقع على الذكر والأنثى[2]، وإنما دخلتها الهاء على أنه واحد من جنس، والجمع بقرات، وبقر،[3]"وسمي هذا الجنس بذلك لأنه يبقر الأرض أي يشقها بالحرث"[4].وبقرت الشيء: فتحته [5].

تكررت لفظة "بقرة" أربع مرات ،تخص بقرة بني إسرائيل التي أمروا بذبحها لمعرفة القاتل ،يقول تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ. وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ.فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[6].

فتنكير لفظ (بقرة) في: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)، يدل على أنها واحدة من البقر وليست بقرة مخصوصة ولو امتثلوا وذبحوا أدنى بقرة لأجزتهم لكن الطباع غير

---

[1] التهامي، نقرة: سيكولوجية القصة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤،ص ٢٢٩.

[2] انظر : السمين الحلبي أحمد ابن يوسف: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،ج١،تحقيق أحمد محمد الخراط، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧، ص٤١٧.

[3] الدميري، كمال الدين محمد بن موسى : حياة الحيوان الكبرى،ج١، ص٢١٣. وابن منظور : لسان العرب، مادة (بقر).

[4] السمين الحلبي: الدر المصون،ج١، ص٤١٧.

[5] أبو الحسن، أحمد بن فارس: مجمل اللغة، تحقيق، هادي حسن حمودي، ط١، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الكويت، ١٩٨٥، ص٢٧٨.

[6] سورة البقرة : ٦٧_٧١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السوية منعتهم من الامتثال، فدار حوار ممتد بينهم وبين موسى ـ عليه السلام ـ رسم صورة تفصيلية للبقرة، تناولت الملمح الخارجي لها إذ حدد السن واللون والهيكل [1]. ويمكن أن نستشف منها ـ فضلاً عما تنطوي عليه من جمالية ممتعة ـ معاني ودلالات، فمن خلال سلسلة لجاج أسئلة بني إسرائيل برزت طباع الذات الإسرائيلية الملتوية ،المتمردة على تكاليف الذات الإلهية. غير أن العصب الفكري لهذه الصورة هو إثبات قدرة الذات الإلهية على البعث بعد الموت [2]،إذ إنه بمجرد ضرب قتيل بني إسرائيل بجزء منها أحياه الله واخبر عن هوية القاتل.

ويتبادر إلى الذهن السؤال الآتي: لماذا اختار الله هذا النوع من الحيوان (البقرة) للكشف عن القاتل بذبحها وضرب القتيل بجزء منها "فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى " . وما السر في اختيار المفردة "بقرة" مع أن القرآن أثبت أن بني إسرائيل عبدوا (العجل) واتخذوه إلها؟

يسعفنا في الإجابة عن السؤال الأول، ما ذكره بعض المفسرين وما أثبتتاه في التمهيد من أن البقرة اتخذت إلها يعبد في مصر[3]. وفي ذبحها دحض لألوهيتها، ذلك أن ما يذبح لا يستحق أن يعبد [4]. ولو كان الضرب بجزء منها وهي حية لاختلف الأمر وزادت قداستها. ولكن لما كان إحياء القتيل بضربه بجزء منها بعد ذبحها دحضت فكرة التقديس تماما وتكشف عجزها، إذ لو كان لها القدرة على الإحياء لأحيت نفسها .

أما اختيار مفردة "بقرة " فإنه يناسب المرمى الذي هدف إليه النص القرآني وهو دحض اعتقاد ألوهية هذا الجنس من الحيوان وذلك لان لفظ "البقرة " ـ كما ذكرنا أنفا ـ اسم جنس يشمل الذكر والأنثى فتحقق بدلالته نفي الألوهية عن جميع ذوات هذا الجنس. ولو أحللنا لفظة "العجل " لتحل محل لفظ " البقرة " لما تحقق المرمى إذ إن لفظ العجل يطلق على الذكر من هذا النوع فقط في مرحلة عمرية معينة. وبهذا لن يكون النفي نفيا عاما يشمل الجنس ،وإنما سيقتصر على الذكورة في مرحلة عمرية.

---

[1] البستاني ،محمد :دراسة فنية في القصص القرآني ، ط ١ ، دار البلاغة، بيروت ،١٩٨٩ ، ص٢٦.
[2] جمال، أحمد محمد : القصص الرمزي في القرآن ،دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٨٥،ص١٤٤.
[3] انظر ، ص ١٣ من هذا البحث . وانظر : الأندلسي، أبو حيان : البحر المحيط ،تحقيق عمر الأسعد ، ج١، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٥، ص :٤١٤ .
[4] جواهري ، طنطاوي : الجواهر في تفسير القرآن الكريم،ج١ ،ط ٢، مطبعة مصطفى البابي، ١٣٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ورد لفظ "البقر " بصيغة الجمع ثلاث مرات وذلك في السور الآتية : (البقرة آيه ٧٠ ، والأنعام آيه ١٤٤،١٤٦) إلا أننا سنكتفي بالوقوف على آيه ١٤٦من سورة الأنعام[١].

يقول الله فيها: (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ).[الأنعام:١٤٦]

ولفظ البقر هنا يرد في سياق يقرر أن التحريم لا يكون إلا من عند الله في كل الأمم "إذ حرم على اليهود كل ذي ظفر من الحيوان، أي كل حيوان قدمه غير مشقوقة وذلك كالإبل والنعام والأوز والبط وحرم كذلك شحم البقر والغنم إلا شحم الظهر، أو الدهن الملتف بالأمعاء ،أو ما اختلط منه بالعظم . . .وكان ذلك عقوبة لهم على بغيهم بتجاوز أوامر الله وشرائعه"[٢]، إذ إن بغيهم نشأ عن صلابة نفوسهم وتغلب القوة الحيوانية فيهم على القوة الملكية فلعل الله حرم عليهم هذه الأمور تخفيفا من صلابتهم .."[٣] وذلك لأن اللحم يغذي القوة الحيوانية ،وكذلك الشحم بما فيه من دهون ، فناسب لفظ (البقر) السياق ،ذلك أن الحكمة اقتضت تحريم شحم هذا الجنس الذكر منه والأنثى على حد سواء . فنهضت هذه اللفظة بهذه الدلالة، وذلك لأن لفظ "البقر" كما ذكرنا أنفا اسم جنس يقع على الذكر والأنثى . الأمر الذي سنلحظه في لفظة "الغنم " التي ستأتي فيما بعد.

ونلحظ أن لفظ " بقرات " كررت مرتين في: (يوسف:٤٣،٤٦) وأخذت بعدا رمزيا، إذ دلت على السنوات : (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ)[٤]. فرمزت البقرات السمان - بتأويل من يوسف عليه السلام - إلي سنوات الخصب والبركة ورمزت العجاف إلي سنوات القحط وانحباس المطر[٥].

والملاحظ أن في سورة يوسف ثلاث رؤى : رؤيا يوسف ورؤيا صاحبي السجن ، ورؤيا الملك، ويطلب تأويلها في كل مرة، والاهتمام بها يعطينا صورة من جو العصر كله في مصر وخارج مصر. وأن الهبة اللدنية التي وهبها يوسف كانت من روح

---

[١] وذلك لأن آية ٧٠ من سورة البقرة جاءت ضمن سياق بقرة بني إسرائيل التي تناولناها أنفا .أما الآيه ١٤٤من سورة الأنعام ،فلفظ "البقر" ورد في نفس السياق الذي ورد فيه لفظ "الإبل " "ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين " نوقش في صفحة ٢٩ من هذا البحث،وينطبق عليه ما قيل عن الإبل ، ذلك أن لفظ "البقر "اسم جنس كالإبل .

[٢] قطب، سيد: في ظلال القرآن،ج ٨، ص : ١٢٢٦.

[٣] ابن عاشور: التحرير والتنوير:ج٨، ص١٤٣.

[٤] يوسف :٤٣.

[٥] الفيومي، إبراهيم :روائع إعجاز القرآن، ص: ١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العصر [1]"، فكشفت الفكرة فضل الله علي يوسف عليه السلام بما أتاه من تأويل الأحاديث، وكيف تتهيأ الأسباب لكشف البلاء عن عباده لصبرهم عليه .

العجل: ولد البقرة حين تضعه أمه إلي الشهر. والأنثى عجلة، والجمع عجول[2].

أطلعنا القرآن الكريم على عجلين هما :

أ ـ العجل الحنيذ السمين .

ب ـ العجل الجسد .

والعجل الحنيذ السمين هو العجل الذي شملته الدلالة اللغوية، إذ إنه ولد البقرة الذي قدمه إبراهيم عليه السلام لضيفه، جاء ذكره في موطنين أولهما : قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) "[3]. والآخر قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)[4].

نلحظ أن التعبير القرآني تفنن في عرض الحدث الواحد ،بأسلوبين يناسب كل منهما الجو العام للسورة التي ورد فيها .ولكن لن نقف عند هذا كله بل نكتفي بالجانب الذي صور كرم إبراهيم عليه السلام وكذا وصف العجل. فنجد أن التعبير القرآني يصف ذلك إذ يقول في سورة الذاريات بقوله: " فراغ إلي أهله فجاء بعجل سمين " وفي هود " فما لبث أن جاء بعجل حنيذ " .

فالصورتان تختص كل منهما بتصوير جانب من المشهد فجملة: " فراغ إلى أهله " ذهب إليهم في خفيه من ضيفه إذ إن (راغ) "لا تطلق إلا على المخفي في ذهابه ومجيئه "[5] فنهضت هذه اللفظة بتصوير هذه المعاني، التي بدورها تحيلنا إلي معان أخرى تتمثل بتناه كرم سيدنا إبراهيم لأن" تخفيه حذرا من أن يكفه الضيف عما يستعد له "[6]

وإذ كانت الجملة في سورة الذاريات تصور ذهابه على تلك الهيئة، فإن جملة " فما لبث أن جاء بعجل حنيذ "تصور سرعة إيابه –عليه السلام–فلم يتأخر في تحضير

---

[1] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج ١٢، ص:١٩٩٣.

[2] انظر: ابن منظور : لسان العرب ، مادة (عجل) . الدميري،: حياة الحيوان الكبرى،ج ٢، ص ١٥٢.

[3] الذريات : (٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦).

[4] هود : ٦٩.

[5] الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تاويل أي القرآن ،ج ٢٦،ط٣، مطبعة مصطفى بابي الحلبي،مصر،١٩٦٨،ص:٣٠٨.

[6] البيضاوي، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٨،ص٤٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واجبات الضيافة. فالجملتان في السورتين تصوران لقطات متتابعة من لقطات المشهد، وباجتماعهما تكتمل الصورة العامة للمشهد في الذهاب والإياب .

فالوصف للعجل في الموطنين يختص بإبراز صفاته، وناسب كل وصف السياق الذي ورد فيه. فابرز السياقان الذات الإبراهيمية المتناهية في الكرم بالأسلوب القرآني المتفرد .

العجل الجسد : هو العجل المصنوع من الحلي اتخذه بنو إسرائيل إلها يعبدونه ،وذلك عندما ذهب نبي الله موسى لميقات ربه، لتأثرهم بقدماء المصرين الذين اتخذوا العجل إلها وعبدوه [1].

تكرر ذكره في بنية النص القرآني ثماني مرات ،في السور الآتية : "البقرة : ٥١،٥٤،٩٢ــ ٩٣.النساء : ١٥٣ . الأعراف : ١٤٨،١٥٢. وطه ٨٨". وأن هذا التكرير فيه تنبيه على أن عبادة العجل بالغة القصوى من الفظاعة . ذلك أن العرب إذا أرادوا التنبيه لتقبيح شئ أو تعظيمه كرروا الحديث عنه [2].

ومن الملاحظ أن سورة طه فصلت الحديث بشان العجل أكثر من غيرها[3]، إلا أن سورة الأعراف اشتركت معها في نعت العجل بالجسد وذلك في قوله تعالى:(فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ. أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا)[4]. وفي الأعراف: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)[5].

يقرر السياقان أن العجل الذي صنعه السامري لم يكن عجلا حقيقيا له روح وحياة، ومكونا من لحم ودم كما يصفه بعض القصاص. إذ إن لفظة جسد في السياقين قررت هذا الأمر وزاد الأمر تأكيدا في الأعراف بقوله "من حليهم " وذلك لأن الجسد: هو الجسم بلا روح أو التمثال الجامد[6]. وذلك حتى لا يظن ظان خلاف ذلك ولما قد يثيره لفظ"خوار"، من مظان، لأن الخوار صوت البقر. ومصدر خوار هذا العجل

---

[1] الدميري: حياة الحيوان الكبرى،ج٢، ص١٥٢ ، انظر : ص١٤ من هذا البحث
[2] الأندلسي، أبو حيان : البحر المحيط، ج١، ص: ٤٧٦
[3] عباس، فضل: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ط١، دار الفرقان، عمان ، ١٩٨٥، ص: ٢٨٩.
[4] طه : ٨٨ــ ٨٩ .
[5] الأعراف : ١٤٨.
[6] انظر : الخالدي، صلاح : القصص القرآني، ج٣، ط١ ، دار القلم ، دمشق، ١٩٩٨ ، ص١٧٥ . ابن عاشور، الطاهر محمد : التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٨٦. .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

براعة صانعه بصناعة الحيل إذ جعل في جوفه وأعناقه منافذ كالزمارات تصدر بدخول الريح صوتا كصوت البقر[1].

برز من خلال عبادة العجل غباء الذهن الإسرائيلي "والانصياع لحدث مدهش واحد -العجل وخواره - ونسيان الأحداث المعجزة من العصا واليد والبحر. . بيد أن الغباء لم ينجم عن تخلف عقلي ..بل ينجم عن الانصياع لرغبات الذات ومحاولة التمركز حولها وإشباعها بأي طريقة ممكنة"[2].

المجموعة الفرعية الثالثة (الوحدات الدالة على الغنم):

وتضم هذه المجموعة الكلمات التي تشترك في الدلالة على الغنم وهي : "الغنم ، والمعز، والضان، والنعجة ".

الغنم: جمع لا واحد له من لفظه، يطلق على الضان والمعز جميعها ، وواحد الغنم شاه يقع على الذكر والأنثى [3]. وجاء في مقاييس اللغة أن لفظ " غنم" ليس ببعيد أن قد يكون مشتقاً من قبيلة " غنمْ [4]"

ورد لفظ "غنم" بصريح الدلالة في بنية النص القرآني في ثلاثة مواضع: أولها في سورة الأنعام:(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا)[5]. وثانيها، في سورة الأنبياء:(وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)[6].وثالثها، في سورة طه: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي)[7]

نلحظ أن لفظ "الغنم" في سورة الأنعام جاء محلى بـ" ال" في سياق تحريم شحوم هذا الجنس على الذين هادوا[8]. و"ال" جنسية استغرقت شحم جميع أفراد هذا الجنس.

---

[1] انظر : ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١٦، ص٢٨٦، الشعراوي : قصص الحيوان في القرآن ،ص٢٠١.

[2] البستاني، محمد : دراسات فنية في القصص القرآني، ط١، دار البلاغة، بيروت، ١٩٨٩،ص١٦٩.

[3] ابن سيده: المخصص، ج ٧، ص١٧٦. وانظر لسان العرب ،مادة "غنم ". المعجم الوسيط، مادة " غنم".

[4] ابن فارس: مقاييس اللغة ،مادة " غنم".

[5] سورة الأنعام:آية :١٤٦.

[6] سورة الأنبياء : آية :٧٨.

[7] سورة طه:١٨.

[8] انظر،ص٣٨ من هذا البحث .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجاءت اللفظة في الأنبياء مضافة إلى لفظة " القوم" ،فبينت الإضافة اختصاص الغنم وملكيتها لقوم في عهد داود -عليه السلام- وهي التي أتت على حرث قوم آخرين فرعته وأذهبته. فاحتكموا لداود وسليمان، وإذا بسليمان يعدل في الحكم الذي أصدره أبوه لأنه نظر إلى القضية من زاوية غير التي نظر إليها الأب مع أن الحكمين فيهما صحة[1]. إلا أن حكم الابن أصوب وأفضل[2].

وفي هذا" تبصرة وتعليم لأولئك الذين يقلدون مهمة الحكم بين الناس فلا يرى أحدهم بأسا أن يرجع.....إلى ما هو خير مما حكم به وقد رأينا الأب يرجع إلى حكم ابنه"[3].

وفي سورة طه جاء لفظ (غنم) مضاف ــ إلى موسى عليه السلام ــ في سياق الحديث عن عصاه ووظائفها، فبعضها مألوف يتمثل في التوكؤ عليها، وفي خبط ورق الشجر للغنم. وبعضها يتصف بما هو مدهش ومعجز. وسيكون لي وقفة مع هذه العصا في موضعها المحدد مما سيأتي.

المعز : جمع ماعز وهو اسم جنس لذي الشعر من الغنم [4]. والذكر تيس والأنثى عنز[5] .

الضأن: جمع ضائن، وهو اسم جنس لذي الصوف من الغنم[6]. والذكر كبش والأنثى نعجة [7].

ورد لفظ (الضأن) ولفظ (المعز) مرة واحدة في بنية النص القرآني في سياق يظهر بطلان تشريعات المشركين في الأنعام وافترائهم على الله، في قوله تعالى:(ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأنثيين أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأنثيين نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)[8]، ذلك أنهم كانوا يحرمون ذكور هذه الأصناف تارة وإناثها تارة أخرى كما أنهم قد حرموا بعض أفراد من أنواع كتحريم بعض الضأن، ومنها ما يسمى بالوصيلة. وبعض الإبل كالبحيرة ،ولم يحرموا بعضا من أنواع أخرى كبعض

---

[1] حكم داود: أن يأخذ الغنم أصحاب الأرض لما لحق بأرضهم من خراب .وحكم سليمان :أن تعطى الأرض لأصحاب الغنم يفلحونها ويزرعونها حتى إذا عادت كما كانت ترجع الأرض لأصحابها ويأخذ أصحاب الغنم غنمهم .وانظر: محمد متولي الشعراوي: قصص الحيوان في القرآن، ص١٤٠.

[2] صلاح الخالدي:القصص في القرآن الكريم، ج٣، ص٤٤٨.

[3] فضل عباس:القصص القرآني ،ص٣٦٦.

[4] ابن منظور: لسان العرب ،مادة "معز".

[5] أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم، ج٣، ص١٩٣.

[6] ابن منظور :لسان العرب مادة "ضأن" .المعجم الوسيط، ص٥٥٨.

[7] حسام الدين، زكي: التحليل الدلالي، ج١ ،ص ٣٨٨.

[8] الأنعام: ١٤٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعز ولا شيئا من البقر ...ولو أن الله حرم أكل بعض الذكور من أحد النوعين لحرم البعض الأخر. ولو حرم أكل بعض الإناث لحرم البعض الأخر. لأن شأن أحكام الله أن تكون مطردة في الأشياء المتحدة بالنوع والصفة ..ولو حرم بعض ما في بطون الأنعام علىالنساء لحرم ذلك على الرجال[1]." .

بهذا الاستدلال انتقاض علتهم وفساد قولهم ، ودل على أن ما حرموه إنما حرموه من تلقاء أنفسهم تحكما واعتباطا[2].

نلحظ أن القرآن استخدم لفظ (الغنم) في مواضع، ولفظ (الضأن والمعز) في مواضع أخر، مع أن لفظ الغنم تشمل اللفظتين بدلالتها. وذلك لأن المواضع التي ذكر فيها لفظة (غنم) لا تتمحور حول أنواع الغنم.إذ كان التركيز في سورة الأنعام على مادة الشحم. وفي سورة الأنبياء على الحدث الذي أحدثته الغنم في الحرث. وليس هناك من داع لتحديد مقدار ما أحدثه كل نوع على حده. ونفس الأمر نجده في سورة طه. لذلك آثر النص القرآني فيها لفظة (الغنم). ولما كان التفصيل في أنوع الغنم هو المراد – للغاية التي أرادها القرآن– عدل عن دال الجمع "الغنم" إلى دال الجنس المميز للنوع (الضأن والمعز). ولو جاز إحلال لفظة "غنم"مكانهما ــ رغم شمولها دلالة اللفظين– لما استقام الأمر ولا تحقق المرمى.

النعجة: الأنثى من الضأن،والجمع نعاج ونعجات[3]. تكرر ذكر هذه اللفظة في بنية النص القرآني ثلاث مرات بصيغة المفرد ومرة واحدة بصيغة الجمع،في موضع واحد وذلك في قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ)[4].

واختلف في لفظة (نعجة) فحملها فريق على أنها أنثى الكبش بينما ذهب فريق أخر إلي أنه كني بالنعجة على المرأة [5]. وهذا الأخير ذهب هذا المذهب في الدلالة منساقا مع الرواية الإسرائيلية التي تقول أن داود –عليه السلام–أعجبه امرأة أحد جنوده فأرسله

---

[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٨، ص ١٢٨.
[2] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ،ج٧ ، ص ١١٤.
[3] الفيروز آبادي: القاموس المحيط مادة (نعج).
[4] سورة ص : ٢٣-٢٤.
[5] انظر: الصابوني ،محمد علي: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١، ص ٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للمعركة ليقتل ليتزوجها، وكان له-حسب زعم الرواية - تسع وتسعون من النساء فأرسل الله له الملكين ليبين له فظاعة ما فعله[1].

ومثل هذا التفسير لا يليق بآحاد الناس،فكيف ينسب إلي نبي معصوم كما أن النعجة هنا لا يقصد بها إلا النعجة التي حددتها الدلالة اللغوية بأنثى الضأن[2]. إذ إن سياق القصة يحوم حول قضاء داود ،واختباره فيه، ذلك أنه أصدر الحكم بعد سماع المدعي ولم يتريث لسماع المدعى عليه[3]. وذلك نتيجة الفزع الذي أصابه.عندما تسور أولئك المحراب ولم يدخلوا من الباب الذي ينبغي أن يدخلوا منه. ذلك أن الفزع استجابة انفعالية تعكس أثرها على عملية الحكم ذاته[4]. إضافة إلي عرض القضية في صورة صارخة مثيرة. أدى هذا إلي صرف انتباه الشخصية الحاكمة عن جزئيات الموقف. ولكن القاضي عليه أن لايثار وعليه أن لا يتعجل[5].

المجموعة الثانية (الكلمات الدالة على الخيل) :

تضم هذه المجموعة الكلمات الدالة على الخيل، ومن الملاحظ أن القرآن أورد عدداً من المفردات ذات دلالة على الخيل، ونوّع فيها ففي سياقات آثر استخدام المفردة (خيل) معرفة ومنكرة، وفي سياق استخدم (الصافنات الجياد). وفي سياق أخر انتقى مفردة (العاديات) وهذا التنوع ليس من باب الترف اللغوي ، وإنما الذي دعا لهذا هو السياق .

الخيل : اسم جمع واحده فرس. ويقال واحده خائل ويطلق على الذكر والأنثى.[6] "واسمه مشتق من خال يخيل خيلا ،واختال يختال اختيالا، ذلك أن الخيلاء صفة في الخيل ثابتة لا تكاد تفارقها"[7].

---

[1] عباس، فضل:قصص القرآن إيحاؤه ونفحاته، ص٣٥٥.
[2] الألوسي: روح المعاني، ج٢٣، ص١٨٠.
[3] عباس، فضل : قصص القرآن إيحاؤه ونفحاته، ص٣٥٥.
[4] البستاني، سليمان: دراسة فنية في قصص القرآن ، ص ٥٧٣.
[5] قطب، سيد: في ظلال القرآن ،ج ٥، ص ٣٠١٨.
[6] انظر ابن منظور:لسان العرب مادة (خيل) والفيروز آبادي: القاموس المحيط مادة (خيل)، ابن فارس: المقاييس في اللغة، مادة (خيل).
[7] الغرناطي، عبدالله محمد بن جزي الكلبي:كتاب الخيل،تحقيق: محمد العربي الخطاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ورد ذكر هذه اللفظة بصريح الدلالة خمس مرات،في كل من: (آل عمـــران:١٤، الأنفال: آية ٦٠، النحل: آية ٨، الإسراء: آية ٦٤، الحشر: آية ٦). وسنكتفي هنا بتنـــاول ثلاث منها[١]:

١- في سورة آل عمران جاء "الخيل" في قوله تعالى :(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَـــرْثِ ذَلِـــكَ مَتَـــاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)[آل عمران:١٤].

والسياق هنا يحث الإنسان على الارتقاء بالنفس والتطلع إلى ما عند الله من نعيم مقيم[٢]، و أن لا يجعل كل غرضه وعيشه في طلب اللذات والطيبات [٣]. وحدد هذه الأجناس التي تشتهيها النفس وتنزع إليها لتزيُّنِها، والزينة هي ما في الشي من المحاسن.. ترغب الناظرين في اقتنائه"[٤].

وكانت الخيل ضمن هذه الأجناس المزينة، التي تشتهيها الـنفس، فعبـــر عنهـــا بهذه المفردة لأنها تدل على جنس الخيل. وفي وصفها بالمسومة تخـــصيص أو توضـــيح لهذا الجنس لأن جنس الخيل يكون أكثر حبا إذا اتصف بهذه الصفة، والمسومة قيل: هـــو من سومها أي أرسلها للرعي، وقيل: المعلمة، من سومته أي جعلت له سومة يعرف بها . والسومة: العلامة، يقول ابن عاشور "والأظهر فيها ما قيل: إنه الراعية، فهو مشتق مـــن السوم، وهو الرعي يقال :أسام الماشية إذا رعـــى بهـــا فـــي المرعـــى مـــددا طويلـــة، وإنما يكون ذلـــك لـــسعة أصـــحابها وكثـــرة مراعيهم،فتكـــون خـــيلهم مكرمـــة فـــي المروج والرياض"[٥].

وفي سورة الأنفال يقول تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِـــنْ رِبَـــاطِ الْخَيْـــلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ)[٦].

---

[١] لأن سياق سورة الحشر ،تم الحديث عنه أثناء مناقشة لفظ "ركاب"في صفحة٣١ من هذا البحـــث.أمـــا السياق في سورة النحل سنتحدث عنه عند الحديث عن "البغل" مما سيأتي .

[٢] ابن عاشور: التحرير والتنوير ،ج ٣، ص ١٧٩. "وإذا كان التزين بمعنى الاشتهاء بطرق صحيحة ولم يتعرض للحرام،كان فاعله على الحقيقة هو الله،فيكون التزين في هذه الحالة تزين إباحة وطاعـــة ، وإن خرج إلي تزين المحرمات فهي وسوسة من الشيطان" ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٨٠.

[٣] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٢، ص ٣٤.

[٤] الرازي: التفسير الكبير، ج ٤، ص ١١١.

[٥] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٨٣.

[٦] سورة الأنفال: آية ٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"نجد الآية تتحدث عن السلاح العسكري مباشرة،وإنما تجعله نوعا من أنواع القوة، فالأمر منصب على إعداد "القوة" في كل صورها الممكنة سواء في صورة القوة الاقتصادية ،أو القوة العلمية، أو القوة الصناعية وبصفة عامة "ما استطعتم من قوة" ثم كأنه قيل وبصفة خاصة رباط الخيل الذي هو رمز القوة العسكرية[1]. وفي هذا التخصيص إشارة إلى أهمية هذا الجنس من الحيوان، وفضلها على بقية أفرادها[2]. ومن الملاحظ أن القوة هنا في كل صورها ليست للاستخدام المباشر،فلم يقل فقاتلوا أو حاربوا بها وإنما (ترهبون به) وهذه الرهبة نتيجة الاستعداد والتأهب.

وتركيب "رباط الخيل" يتناسق مع مشهد الإعداد، إذ إن لفظة "رباط" تدل على الإعداد، وذلك لأنها من المرابطة[3]. وهي الملازمة، أي تخصيص ما أمكن من جنس الخيل لهذه المهمة ووضعه في حالة إعداد وتأهب.

وذلك لأن الإعداد للحرب وسيلة ومن وسائل تجنبها إذ إن إعداد العدة ترهب العدو فيحذر،فيكون ذلك مدعاة إلي العيش في أمن وسلام ...وإذا حاول الهجوم استطعنا القضاء عليه من غير أن تحملنا القوة على الزهو فنعتدي.

وفي قوله تعالى:(وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)[4]. جاء الخيل ضمن العناصر التي يستخدمها إبليس في الغواية "وهو تجسيم لوسائل الغواية والإحاطة ،والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول فهي المعركة الصاخبة تستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريق المعارك والمبارزات، يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة،أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة، فإذا استدرجوا إلي العراء أخذتهم، وأحاطت بهم الرجال"[5].

---

[1] حفني، عبد الحليم: التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٢،ص٧١.

[2] أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج ٤، ص ٣٢.

[3] الشوكاني: فتح القدير، ج ١، ص ٦٩٧

[4] الإسراء : ٦٤.

[5] قطب،سيد: في ظلال القرآن ،ج ١٥، ص ٢٢٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصافنات: الصافنات ــ يري البعض ــ أن الصافن من الخيل هو القائم على ثلاث أرجل،وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.وهو أجود الخيل[1]. ويرى البعض الأخر أن الصافن من الخيل الجامع بين يديه في الوقوف، وذلك من الصفن وهو الجمع بين الشيئين ضاما بعضهما إلي بعض[2]. ورغم تباين المعنيين -وقد يكون الأخير أقرب إلي الصواب ــ فالاتفاق حاصل من أن "صافن"سمة محمودة في الخيل .

الجياد : جمع جواد،وهو الفرس الجيد العدو،وسمي بذلك لأنه يجود بمد عدوه[3].

واللفظتان وردتا معا في قوله: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ. فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ. رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)[4].

تباينت أراء المفسرين حول هذه الحادثة وتفاصيلها- إلا أنها أجمعت وهو ما نبغيه في هذا الصدد- على أن السياق يصور العرض العسكري للخيل في حضور سليمان- عليه السلام-.

ومثل هذا العرض لا تقوم به مطلق الخيل ،وإنما ينتخب منها ذات الصفات المميزة ،وهو ما نلحظه هنا، إذ رسم النص للخيل صفتين هما: "الصافنات"، "والجياد" فجمع فيهما وصفين محمودين هما :"واقفة وجارية ،يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سراعا خفاقا في جريها"[5] . فعبر عن الخيل بهاتين السمتين، وعدل عن لفظ " الخيل" لأن جنس الخيل بعامه ليس هو المراد ،وإنما المراد منه تلك التي اتسمت بهذه السمات ،والتي لا تتوفر في جميع الخيل.

العاديات : جمع العادية، وهو اسم فاعل من العدو.[6] "والأصل اللغوي للعدو هو البعد والتجاوز ،ومنه العدوة للمكان المتباعد، والعدو الوثب واستعمال العدو في الجري الشديد ملحوظ فيه البعد والوثب وتجاوز المألوف من الجري"[7].

---

[1] انظر :ابن منظور: لسان العرب، مادة (جود). القبرة، مهند: العماد في علوم الخيل ، ط ١، ،دمشق، ١٩٩٣، ص ٢٢.

[2] انظر الرازي، محمد ابن أبي بكر عبد القادر :مختار الصحاح، ط ٩، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٥، مادة (صفن) . الراغب الأصفهاني، أبو القاسم : معجم مفردات ألحكام القرآن الكريم ،تحقيق : نديم مرعشلي ،دار الكتاب العربي (د ن) ،(د ت) ص٢٩١. السمين الحلبي: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج ٢ ص ٣٤٥.

[3] انظر : السمين الحلبي: عمدة الحفاظ، ج١، ص ٣٥٧. ابن منظور : لسان العرب ،مادة (جود).

[4] ص:٣١ــ٣٣

[5] فضل عباس : القصص القرآني، ص ٣٥٦.

[6] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٣، ص ٤٩٨.

[7] عائشة عبدا لرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم ،ط ٤،دار المعارف مصر، ١٩٧٤ ،ص ١٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وردت هذه اللفظة مرة واحدة في بنية النص القرآني في قوله تعالى:(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا)[1].

يراد بها الخيل،ذلك أن إيقاع صيغة الفواصل في الآيات ، بسكون الوسط والتنوين (ضبْحا، قدْحا، صبْحا، نقعا..)يبدو شديدا وعنيفا، وفيه دمدمة وفرقعة[2]، "يقرع الأسماع وينبه الأعصاب، يناسب صوتا صاخبا لحوافر الخيل وهي تجري ، وتقرع الصخر حتى يتطاير الشرر منها، وهي تغير بغتة..."[3]

ورغم ذلك ينبغي أن ننبه أنه اختلف في العاديات، هل يراد بها الخيل أو الإبل، وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق، وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعنى إبل غزوة بدر أو إبل المجاهدين مطلقا أو إبل الحجاج، أو الإبل على الإطلاق[4].

وهذا الاختلاف يعود إلى ماساد بين المفسرين، من أن" الواو المستهل بها السور للقسم ، جاء لتعظيم المقسم به، فألجأتهم هذه الفكرة إلى اعتساف في بيان وجهة التعظيم، في كل ما أقسم به القرآن الكريم بالواو" غير" أنه يمكن – والله أعلم– قد خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم إلى معنى بياني، على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضع لملحظ بلاغي، فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتا قويا إلى حسيات مدركة، ليست موضع غرابة، أو جدل ، توطئة إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس"[5]

ويبدو أن المشهد المألوف الذي تلفت إليه الواو–هنا–هو الإغارة العنيفة لخيل ، تبغت القوم صبحا، وما يعقبها من بعثرة وحيرة وارتباك"توطئة بيانية لمشهد غيب لم يقع ، يستطعون أن يدركوا صورة منه في ذلك الذي ألفوه وعاينوه..ذلك هو مشهد البعث يباغت القوم..."[6].

---

[1] سورة العاديات : آيات (١–٣).

[2] قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن الكريم(د م)(دن)، ١٩٩٦،ص١٠٦.

[3] سلطان، ناديا: التصوير بالكلمات:مشروع دراسة للصورة الفنية في القرآن، ط١،إشبيلية للدراسة والنشر والتوزيع،دمشق ،١٩٩٧،ص٢٠١.

[4] انظر: الغرناطي، أبو القاسم محمد ابن جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، الدار العربية للكتاب،(دن)، (د ت)،ج٤،ص:٨٠٤.ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ،ج٦،ص:٥٢٠. ابن مصطفى، إسماعيل حقي: روح البيان في تفسير القرآن العظيم، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣،ص٥٠٧. ، وابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١٥، ص٢٩٧.

[5] بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن:التفسير البياني، ج١، ص:٢٥.

[6] المرجع نفسه ، ص١١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نلحظ أن السياق هنا لا يركز على ذات الخيل ، وإنما ركز على إبراز صورة عنيفة لغارة مفاجئة أحدثتها الخيل بعدوها، لهذا عدل عن التعبير بلفظ(الخيل) إلى لفظ(العاديات)، المشتق من العدو، فتمكن بذلك -إضافة إلى ما حققه من اقتصاد لغوي بدلالته على الحدث(العدو)، والذات (الخيل)، إذ إن اسم الفاعل يستغرق الحدث والذات ــ صرف الذهن وتوجيهه إلى حدث العدو وما ترتب عنه، وهو ما أراد السياق تحقيقه.

تبين لنا من خلال العرض أن المفردات الدالة، على الخيل تعددت بتعدد السياق، فعندما كان السياق يهدف إلى جنس الخيل أتى بمفردة(خيل)، ولما كان الهدف لفت الانتباه إلى حدث أحدثته الخيل أو صفة من صفاتها، عدل عن تلك اللفظة إلى ألفاظ أخر تتسق مع الفكرة الموجهة.

المجموعة الثالثة: (الوحدات الدالة على البغل)

تضمنت هذه المجموعة الوحدة الدالة (بغال) فحسب.

البغال: جمع" بغل"، والأنثى "بغلة[1]".وهو مركب من الفرس والحمار، ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل"[2].

أورد القرآن الكريم لفظة " البغال" مرة واحدة في قوله تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً)٣.

ونجد النسق اللغوي يجعل البغال في الوسط بين الخيل، والحمير، لأن البغل يأتي من الجنسين.وليس جنسا له ذكر وأنثى.

والبغال ــ هنا ــ ترد مع الخيل والحمير للاستدلال بها على وحدانية الخالق والتنبيه إلى ما فيها من تلبية للضرورات في الركوب، وتلبية لحاسة الجمال في الزينة "لتركبوها وزينة" فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة، وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام، وشراب، وركوب، بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات، تلبية حاسة الجمال، ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان"[4].

المجموعة الرابعة (الوحدات الدالة على الحمير):

---

[1] الرازي: مختار الصحاح، مادة (بغل). ص ٣٦.
[2] الد ميري: حياة الحيوان ،ج١، ص ٢٠٠.
[3] النحل : ٩.
[4] قطب، سيد : في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢١٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تشمل هذه المجموعة الكلمات الدالة على الحمير، التي وردت في بنية النص القرآني، وهي: (الحمير، وحمر، والحمار).

فلفظة (الحمير) وردت في:(النحل: ٢٩٥، لقمان: ١٩). وتكرر لفظة"الحمار" في سورة البقرة :آية ٢٥٩، وفي سورة الجمعة. بينما لفظة "حمر" وردت مرة واحدة في (المدثر: ٥٠).

وجاءت هذه الوحدات ، تؤدي أبعادا فكرية وفنية في سياقاتها. ومن خلال الوقوف عليها نستجلي تلك الأبعاد. وسنكتفي هنا بتناولها ضمن سياق البقرة، وسياق لقمان[١].

الحمار: جمعه "حمير،وحمر،وأحمره"[٢]، وهو الحيوان النهاق من ذوات الأربع الأهلي والوحشي ،ويقع اللفظ على الذكر والأنثى.. والأتان أنثى الحمار والجمع "أتن"[٣].

ففي سورة البقرة ورد لفظ (حمار) مضافا، في قوله تعالى:(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٤].

يطلعنا النص القرآني هنا على حدث معجز يتمثل بمعاينة الإحياء،وكان الحمار أحد موادها وذلك حينما مر"العزير" أو"الخضر" ببيت المقدس حين خربه بختنصر،فبعث الخراب في نفسه الاستعظام لقدرة المحي[٥]. (أنى يحي هذه الله بعد موتها) فجاء رد السماء سريعا فتعرضت ذاته إلى ظاهرة غير مألوفة فيما يتصل بالإحياء بعد الموت، إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه من جديد، وكذلك تعرض حماره -خلال هذا التطاول الزمني- إلى نفس الظاهرة إذ أعيدت إليه الحياة بمعاينة عظامه المتبعثرة وهي تلتئم وترتفع و

---

[١] ذلك لأن سياق النحل: آية ٨ تم تناولها ضمن الحديث عن دال "البغال" ، في صفحة ٤٩ من هذا البحث. والدال في سورة الجمعة ،وكذلك المدثر سيتم تناولها في البحث الخاص بالصورة البيانية من هذه الدراسة.

[٢] الرازي: مختار الصحاح ،مادة (حمار) . وانظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج ٦، ص ٣٣٨.

[٣] حسام الدين، زكي: التحليل الدلالي ،ج ١، ص٤٠٤.

[٤] البقرة: ٢٥٩.

[٥] خريوش، حسين يوسف: بنية الخطاب الإعلامي وأبعاده الدلالية ،المؤتمر العلمي الثالث: الإعجاز في القرآن الكريم ،، مجلد١،صفر ١٤٢١هـ مايو/٢٠٠٠م ، جامعة الأقصى – غزة – فلسطين ، ص ٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تكسى لحما[1]. وتأتى المفارقة العجيبة في طعامه وشرابه .إذ احتفظ بحيويته في هذا التطاول ولم تغير السنون منه شيئا .

ولما عاينت الذات المارة –عبر هذا التطاول الزمني– قدرة المحي، في عمليتين متضادتين ،الأولى: إبقاء الشي على ما هو عليه ،وهو:الطعام والشراب، رغم أنه ينبغي أن يتلاشى. والثانية :إعادة الحياة إلى الشيء بعد تلاشيه "الحمار"، تبين لها ما أشكل، وانتهى "بالإقرار والإيمان القائمين على علم موصول بقدرة الله تعالى ، (قال أعلم أن الله على كل شي قدير).

وفي سورة لقمان، يرد اللفظ بصيغة الجمع "الحمير" في قوله:(وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [2].

وتأخذ الصورة هنا من الحمار الجانب السلبي "نكران صوته " لأن تحقيق البعد الفكري للصورة يتطلب ذلك ،ويتمثل هذا البعد بتوجيه الذات الإنسانية إلى الصوت الهادئ الموحي بالأدب والثقة ،وتنفيرها عن السلوك المكروه في الصوت المرتفع الغليظ، فتحقق هذا بواسطة البعد الفني الذي صور هذه المعاني بصورة "حسية منفرة مضحكة، تبعث الكراهية والاشمئزاز من هذه العادة الذميمة حين تقارن بصورة الحمير بأصواتها المنكرة [3]".

المجموعة الخامسة (الوحدات الدالة على الفيل)

يمثل هذه المجموعة الوحدات الدالة على الفيل، وليس فيها غير وحدة واحدة، هي (الفيل). والفيل : مفرد يجمع في القلة على أفيال ،وفي الكثرة على فيلة [4]. وهو حيوان عظيم من ذوات الأربع ٠٠ضخم الجثة، وأعظم الحيوان قوة[5] .

يرد الفيل في بنية النص القرآني مرة واحدة، معرفا ب" ال" ومضافا إليه "أصحاب" وذلك في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)[6].فالتعريف

---

[1] ابن عاشور :التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٣١٧.
[2] لقمان: ١٩.
[3] الراغب، عبد السلام أحمد:وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص ١١٦.
[4] انظر: ابن منظور :لسان العرب ، مادة (فيل) ،أبو حيان : البحر المحيط ، ج ٨، ص ٥١١.
[5] انظر :طنطاوي جوهري :الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج ٢٥، ص ٢٧٠، ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص٥٤٥.
[6] الفيل:١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

للجنس لأن الجنس الثابت في الجيش عدد من الفيلة ،والعهد مستفاد من الإضافة[1]. وأصحاب الفيل هم أبرهة وجنده. الذين أرادوا بقوة وضخامة عنادهم هدم الكعبة. فتضاءلت هذه القوة وتلاشت أمام قوة الذات المطلقة .

والملاحظ أن البنية التركيبية "أصحاب الفيل" أبرزت الذات الحيوانية (الفيل)،واستحضرت الذات المصاحبة "أبرهة وجنده" استحضارا ذهنيا وذلك لأن الفيل في هذه البنية هو بؤرة التركيز إذ إنه كقوة سلاح مهم ،ويرمز إلى القوة والضخامة ."ويأخذ مساحة كبيرة في الصورة تتناسب مع السياق العام للصورة الموحي بالبطش والقوة وضخامة الحدث ،على مستوى البعد الأفقي المتمثل في القوة الغاشمة لإبرهة وجنده أو على مستوى البعد الرأسي المتمثل في انتقام السماء وبطشها بهم"[2].

المجموعة السادسة :(الوحدات الدالة على الكلب)

تشمل هذه المجموعة الكلمات الدالة على الكلب،المذكورة في بنية النص القرآني،هي: "كلب ،مكلبين ".

الكلب: حيوان أهلي من الفصيلة الكلبية ورتبة اللواحم ،وقد يوصف بالنابح العقور [3].

ترد مفردة(كلب) في بنية النص القرآني خمس مرات ،أربع منها مضاف في: (الكهف : ١٨-٢٢) ،ومرة محلى ب "ال"في (الأعراف :١٧٦).غير أننا سنكتفي بتناولها هنا في الحالات التي ورد فيها مضافا [4].

نلحظ أن الكلب الذي ورد في سورة الكهف ،في قوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا)[5].

هو كلب أهل الكهف "الفتية"،جعله الله معهم آية تدل على قدرته جل وعلا على الإماتة والبعث إذ إنه صحبهم ولازمهم طيلة مدة نومهم (ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا) داخل الكهف ،"وظل الفتية في حراسة هذا الكلب الذي يحسبه الناظر يقظان وهو في نوم

---

[1] ابن عاشور :التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص٥٤٧.
[2] سعد، أمير فاضل: غرائب الصورة في القرآن، ص١١٤.
[3] أنيس، ابراهيم:المعجم الوسيط : مادة (كلب)
[4] لأن سياق الأعراف ١٧٦، سيتم تناوله في المبحث الخاص بالصور البيانية مما سيأتي .
[5] سورة الكهف: آية ١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عميق ..وإذ يبعث القوم من نومهم هذا الطويل يبعث الكلب معهم وينظرون إليه ،فلا ينكرون من أمرهم شيئا،إنهم مازالوا على الحال التي دخلوا فيها إلى هذا الكهف[1]".

ويستخلص من هذا الرسم القرآني الذي ربط مصير البطل الحيواني "كلب أهل الكهف" بالبطل الإنساني "الفتية " دلالات إذ إنه قد يكون على وعي بما كان عليه البطل الإنساني من نبذ زينة الحياة، ورفض بيئة الكفر، شأنه في ذلك شأن الكثير من أبطال الحيوان الذين يرد رسمهم في القصص، فيما تسخرهم السماء للآدميين وبما نستخلص العظة منهم أيضا[2].

ثم يمضي الزمن ،ويدور الحديث عن هؤلاء الفتية عصرا بعد عصر، وتكثر حولهم الأقوال ، وتختلف الأراء في عددهم، ويظل الكلب يضاف إليهم فيصور القرآن ذلك: (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ..)[3]

وهكذا يضاف الكلب إلى أولئك الفتية ،وكأنه واحد منهم، وفي ذلك يقول الجاحظ :"دليل على أن الكلب رفيع الحال نبيه الذكر، إذ جعل رابعهم، وعطف ذكره على ذكرهم، واشتق ذكره من ذكرهم، حتى كأنه واحد منهم، ومن أكفائهم وأشباههم، أو ما يقاربهم، ولولا ذلك لقال: سيقولون ثلاثة معهم كلب لهم"[4].

مكلبين: المكلب هو الذي يحترف تدريب الكلاب [5]،واللفظ مشتق من "الكلب". ورد هذا اللفظ في قوله تعالى : (قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ)[6].

في سياق، يقرر تحليل أكل ماأصطادته الجوارح .والمقصود بالجوارح الحيوانات المعلمة كيف تصيد ."فاستغنى المقام باشتقاق مكلبين من الكلب عن تعداد الكثير من سباع البهائم والطيور[7]،يقول الجاحظ : " اشتق لكل صائد،وجارح كاسب من باز وصقر وعقاب وفهد،وشاهين، وزرق،ويؤيؤ ،وباشق، وعناق الأرض من اسم الكلب، وهذا يدل على أنه أعمها نفعا، وأبعد صيتا"[8].

---

[1] الخطيب، عبد الكريم :القصص القرآني بين العالم المنظور وغير المنظور، ط ١، دار الأصالة، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٥٨.
[2] البستاني، محمود: دراسات فنية في القصص القرآني، ص ٢٥٧.
[3] الكهف: ٢٢.
[4] الجاحظ: الحيوان، ج٢، ص ١٩٠.
[5] الشعراوي: قصص الحيوان في القرآن، ص ١٠٩.
[6] المائدة : ٤.
[7] يا سوف، أحمد: جماليات المفردة القرآنية، ص ٢٧٦.
[8] الجاحظ : الحيوان، ج ٢، ص١٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المجموعة السابعة: (الوحدات الدالة على الخنزير)

تضم هذه المجموعة الوحدات التي تشير إلى الحيوان الخنزير المعروضة في بنية النص القرآني. وهي: (خنزير ،وخنازير) .

الخنزير: بكسر الخاء جمعه خنازير ،"واسمه مشتق من الخزر، والخزر ضيق العين"[1]، وهو كذلك. وهو يشترك بين البهيمة والسبعية، فالذي فيه من السبع الناب، وأكل الجيف، والذي فيه من البهائم الظلف وأكل العشب"[2].

يرد لفظ الخنزير بصيغة المفرد أربع مرات في كل من: (البقرة: آية ١٧٣، والمائدة: آية ٣ ، والأنعام : آية ١٤٥، والنحل: آية ١١٥).

والملحوظ أنه ذكر في هذه المواضع مضافا إليه لفظ "لحم" وكل هذه المواضع تحرم أكل لحمه تحريماً قطعيا ضمن أصناف حرمها السياق، ونجد سورة الأنعام، هي التي تعلل سبب تحريمه " فإنه رجس" في قوله تعالى:(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ..)[3].

وتكرر تحريمه في بنية النص القرآني يدل على مدى الضرر الذي يسببه هذا الحيوان لأكليه من البشر. ومهما كانت أهمية تقارير العلم ونتائجه في تعليل تحريم الخنزير فالمؤمن يسوقها فقط من باب التفكر في خلق الله، فكل عقود المؤمن تقوم على عقد الإيمان بالله ، والله قد نفي الطيبة عن تلك المطاعم،وقرر بعلمه الإلهي أنها خبائث تؤذي البشر في جانب من جوانب حياتهم قد لا يبلغه علمهم وقد يفعل ..[4].

يرد اللفظ بصيغة الجمع (خنازير) مرة واحدة في قوله تعالى:(قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ..) [5].

يعرِّض باليهود الذين تنكروا لدعوة الرسول الكريم، ويجابههم بتاريخ لهم قديم، وذلك بظلال أسلافهم، فجازاهم الله بذلك أن مسخهم قردة وخنازير[6] .

يظهر مما تقدم أن مفردات الحيوان الأليفة، هي الأكثر تميزا وحضورا في بنية النص القرآني،غير أن الدوال التي تشترك في الدلالة على الإبل كانت أكثر تنوعا وتعددا

---

[1] انظر :لسان العرب مادة "خنزير" .
[2] الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٤٢٤.
[3] سورة الأنعام:آية ١٤٥.
[4] حامد، عبد الرحمن محمد: القرآن وعالم الحيوان ، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، (دت)، ص٢١٢.
[5] المائدة :آية ٦٠.
[6] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٦، ص٢٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من دوال الحيوانات الأليفة الأخرى، وذلك لأن الإبل كانت لا تفارق الإنسان العربي، وتعد قوام الحياة في تلك الصحراء . وتوظيفها في سياقاتها- بما فيها من خصائص وصفات - كان له أثر فعال في النفس، فتحقق بذلك الأبعاد التي يرمي إليها النص القرآني سواء كانت تلك الأبعاد كامنة فيها، أو من خلالها .

القسم الثاني (الوحشية)

يشمل هذا القسم وحدات دلالية تشير إلى حيوانات غير أليفة من ذوات الأربع. ويمثل هذه المجموعة وحدة دلالية عامة "الوحوش " ويتفرع منها مجموعتان: الأولى يمثلها" قرد". والثانية يمثلها "سبع" والأخيرة يتفرع منها-وحدتان هما: (قسورة ،وذئب).

الوحدة الدلالية العامة :

يمثل هذه الوحدة "الوحوش" وهي جمع وحش،وهو كل شئ من دواب الأرض مما لا يستأنس[1].

وردت مفردة (الوحوش)، مرة واحدة في بنية النص القرآني، في سياق يصور الانقلاب العنيف، الذي يصيب الأرض والسماء يوم القيامة[2]. فيشمل ضمن ذلك الوحوش،في قوله تعالى:(وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)[3].

أغنت مفردة "الوحوش"بدلالتها المعجمية في هذا التركيب ،عن تعداد أنواع غير متناهية للحيوانات غير المستأنسة.والتعريف فيها استغرق جميع أنواع هذا الجنس. فناسبت هذه الدلالة وهذا الاستغراق السياق العام للصورة والذي هو أشبه بحركة جائحة لا تمهل النظر إلى رؤية الأنواع منفردة .

كما أن دلالة البنية التركيبية (ا لوحوش حشرت) المتمثلة بجمع الوحوش بضغط وشدة [4]. إضافة إلى ما فيها من دلالة صوتية، متمثلة بتوالي صوت الشين لصوت الحاء وتكرار جرسهما في التركيب، يصور تزاحم الوحوش وحشرجتها، وتراكب بعضها فوق بعض، فتثير هذه الدلالة الفزع في النفس، وتصور شدة هول ذلك اليوم، وتجعلنا نتملى الوحوش النافرة المتآكلة المحترس بعضها من بعض مجتمعة في وحدة زمانية

---

[1] ابن سيده،:المخصص، ج ٨، ص ٢١،ابن منظور: لسان العرب، مادة (وحش).
[2] عياد، شكري: يوم الدين والحساب، ص ٨٥.
[3] التكوير: ٥،٦.
[4] عياد ، شكري: يوم الدين والحساب، ص٥٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومكانية واحدة ،"ونسيت مخاوف بعضها من بعض كما نسيت فرائسها،ومضت هائمة على وجهها لا تأوي إلى جحورها أو بيوتها كما هي عادتها، ولا تنطلق وراء فرائسها، كما هو شأنها، فالهول والرعب لا يدعان لهذه الوحوش بقية من طباعها، وخصائصها فكيف بالناس في ذلك الهول العصيب"[1].

المجموعة الأولى :(الوحدات الدالة على القرد)

القردة : هي جمع قرد، وقد يكون مشتقاً من التقرد، والتقرد تجمع في شيء مع تقطع وتجعد[2]. ذلك أن التجعد سمه في القرد.

ورد اللفظ بصيغة الجمع ثلاث مرات في بنية النص القرآني في كل من: (البقرة :آية ١٦٦،المائدة: آية ٦٠،الأعراف :آية ١٦٦).

واللفظة في هذه السياقات ترتبط بشخصية بني إسرائيل وما حل بهم من العذاب نتيجة عتوهم ومخالفة الأمر والاستعصاء عليه[3]، نذكر منها آية الأعراف:(**فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**)[4].

ويتمثل العذاب بمسخهم عن الصورة الأدمية إلى الصورة الحيوانية (القردية) "لقد تنازلوا هم عن آدميتهم، حين تنازلوا عن أخص خصائصها وهو الإرادة التي تسيطر على الرغبة، وانتكسوا إلى عالم (الحيوان) حين تخلوا عن خصائص (الإنسان) فقيل لهم أن يكونوا حيث أرادوا لأنفسهم من الانتكاس والهوان .. لقد جرت كلمة الله التي يجري بها الخلق والتكوين ابتداءً،كما يجري بها التحوير والتغير، كلمة (كن)، قلنا لهم كونوا قردة خاسئين"[5].

المجموعة الثانية (الوحدات الدالة على الحيوانات المفترسة)

وتشير هذه المجموعة إلى وحدات دالة على حيوانات مفترسة، من ذوات الأربع التي أوردها النص القرآني،وهي : دال (السبع)،وينتظم تحت دلالته دالان هما: (قسورة ، والذئب) .

---

[1] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج ٣٠، ص ٣٨٣٩.
[2] ابن فارس : مقاييس اللغة ،مادة (قرد). ابن منظور :لسان العرب، مادة (قرد) .
[3] أبو السعود :إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢٨٦.
[4] الأعراف: ١٦٦.
[5] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج ٩، ص١٣٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السبع : مفرد سباع، وهو كل ما له ناب من حيوان ،ويعدو على الناس والدواب،ليفترسها قهرا وقسرا[1]. وقد أطلق على ذوات المخالب من الطير سباع[2].

وترد مفردة (السبع) بصريح الدلالة، في بنية النص القرآني مرة واحدة، في سياق يشير إلى عدد من المحرمات، وذلك في قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ)[3].

ومن ضمن تلك المحرمات الحيوان الذي أكل منه أي من الحيوانات المفترسة [4]: (الأسد، والنمر، والذئب ..) فعبر المنظم القرآني- ببلاغته وإيجازه - عن هذه الحيوانات، وعن مثيلتها بلفظة (السبع) فتمكنت هذه اللفظة -بدلالتها-التعبير عنها، وأغنت عن تعداد أنواعها.

قسورة: القسورة هو الأسد، وجمعه قسَاور وقساورة[5]، مشتق من القسر وهو القهر والغلبة ،يقال قسَرَ قسْرا واقتسَرَهُ غلبه وقهره[6]. وسمي الأسد بذلك لأنه يقهر السباع[7].

ولفظ (قسورة) ورد في بنية النص القرآني مرة واحدة، في قوله تعالى :(كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)[8] وردت ضمن عناصر الصورة التشبيهية التي سيكون لنا معها وقفة في الموضع المخصص لها فيما سيأتي.

الذئب : مفردة ذئاب، وذؤبان والأنثى ذئبة، وهو من سباع الحيوانات، يفترس الغنم والإنسان[9]. أورد القرآن لفظ "الذئب" في بنيته النصية ثلاث مرات مرتبطا بقصة يوسف -عليه السلام-عندما كاد له أخوته بدافع الحسد وأرادوا صرفه عن وجه أبيهم، فطلبوا من أبيهم إرساله معهم يرتع ويلعب. فتخوف الأب أن يصيبه مكروه إن ذهب معهم وتصور هذا المكروه بصورة الذئب:(قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ)[10]. فرد الأبناء على اتهام أبيهم لهم بالغفلة:(قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ

---

[1] انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (سبع) . والفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (سبع) .
[2] الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ج، ٣، ص ٣٦٥.
[3] المائدة:٣.
[4] الشعراوي، محمد متولي: قصص الحيوان في القرآن الكريم، ص ٦١.
[5] أنيس، إبراهيم: المعجم الوسيط ،مادة (قسر)، ص ٧٦٨.
[6] انظر: ابن منظور : لسان العرب، مادة (قسر.
[7] الدميري : حياة الحيوان، ج ٢، ص ٣٤٠.
[8] المدثر: ٥٠، ٥١.
[9] انظر: ابن منظور :اللسان ،مادة (ذأب).
[10] يوسف: آية ١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ)[1]. وتمكنوا من إقناع أبيهم وذهبوا به ونفذوا كيدهم، بوضعه في الجب ،وافتعلوا عملية أكل الذئب له:(قَالُوا يا أبانا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)[2].

وتعريف لفظ"الذئب " في قوله:(إني أخاف أن يأكله الذئب). لا يقصد به ذئب بعينه بل واحدا من أفراد الجنس مما استقر في الذهن معرفته،وذلك لأن من أغراض التعريف الإشارة إلى واحد مما عرفت حقيقته في الذهن من دون قصد إلى التعين[3]. بينما التعريف في الثانية والثالثة فهو للعهد.

وبعد هذا التطواف في هذا الحقل الدلالي الخاص بالحيوان ذي القوائم الأربع والتي توزع إلى حيوانات أليفة وأخرى وحشية. تبين أن الدوال التي تشير إلى حيوانات أليفة كان حضورها في بنية النص القرآني أكثر من الدوال التي تشير إلى الحيوانات الوحشية. وذلك لارتباط الأليفة بالإنسان ومعرفته لأحوالها، فاستثمر القرآن ذلك، وحقق بواسطة عرضها مقاصد وغايات لمسناها أثناء تناولنا لها.

ب- المجال الدلالي الفرعي الثاني (الطير)

يشمل هذا المجال عالم الطير في النص القرآني، ومدى حضوره في بنيته النصية، من خلال الوحدات الدالة التي تشير إلى هذا النوع بأبعادها الدلالية في سياقاتها المتعددة .

ونلحظ أن هذا المجال يتمثل بوحدة دلالية عامة تمثلها لفظة" طير" ومشتقاتها . ويندرج تحت هذه الوحدة مجموعتان: الأولى طيور جارحة، والأخرى غير جارحة .

الوحدة الدلالية العامة :

يمثل هذه الوحدة لفظ "طير" ومشتقاتها :(طائر،و يطير، وأطير، وتطير، ويَطير).

طير: الطير جمع طائر وقد يقع على الواحد، وجمعه طيور وأطيار[4].

ورد لفظ "طير" في بنية النص القرآني تسع عشرة مرة، خمس عشر منها معرفة بـ "ال" وأربع بصيغة "طير" في كل من: (البقرة: ٢٦٠،آل عمران: ٤٩،المائدة :١١٠،

---

[1] يوسف: آية ١٤.
[2] يوسف: ١٧.
[3] السامرائي، فاضل صالح : معاني النحو،ج ١، ص ١٠١.
[4] الرازي: مختار الصحاح، مادة(طير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يوسف :٣٦'٤١، النحل: ٧٩،الأنبياء:٧٩، الحج :٣١، النور :٤١، النمل : ٢٠،١٧،١٦، سباء: ١٠، ص : ١٩،الواقعة : ٢١، الملك : ١٩، الفيل : ٣).

ويأتي لفظ (طائر) دالا على الحيوان مرة واحدة في قوله تعالى :(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) [الأنعام: ٣٨]. بينما نجد انزياحا دلاليا للفظة (طائر) في عدد من السياقات[١].ففي قوله تعالى:(وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا)[الإسراء:١٣]، أو قوله تعالى:(ألا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [الأعراف:١٣١]، "والمقصود "بطائر" في الآيتين الكريمتين السابقتين ما يصيب الإنسان من خير أو شر بتقدير الله سبحانه وتعالى أو كتابه"[٢]

. بعد هذه العملية الإحصائية التي أطلعتنا على المساحة التي شغلتها الوحدة الدلالية العامة (طير) نقف على بعض أبعادها في عدد من سياقاتها، بما يعطينا تصورا عاما لأبعاد هذا المجال[٣]

ونبدأ ذلك بحدث مألوف، ولكنه معجز يستدل به على وجود الصانع الحكيم إنه حدث وقوف الطير في الهواء [٤]: (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).[النحل:٧٩]

ومشهد رؤية" الطير في كبد السماء يسبح في رحابها الشاسعة تمسكها قدرة الله من السقوط ، مرفرفة بأجنحتها تارة ومستريحة أخرى منتظمة في سبحها إلى ما شاء الله لها من الأفاق والأماد، بألوانها المنسقة وحركاتها البديعة وجماعاتها المختلفة، ألوان و أحجام وأشكال،وأصوات ينسجم بعضها...إنه مشهد الرؤية والبصر يسري إلى أعماق الوجدان فيشهد بجمال الله ويقر بعظمته وقدرته "[٥].

وفي قوله تعالى:(وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ)[الأنبياء:٧٩].

تكسب الطير صفة خارقة وذلك باشتراكها في التسبيح هي والجبال مع داود -عليه السلام- ذلك أن فعل (يسبحن) الدال على التجدد،يدل على أن التسبيح المقصود من الطير

---

[١] انظر: (الأعراف:١٣١،الإسراء، النمل:٤٧، يس:١٩)

[٢] الفيومي، إبراهيم: روائع إعجاز القرآن، ص١٩.

[٣] لن نتناول جميع الأبعاد إذ إننا نمشي بنفس ما بدأنا إذ لا نتقصى إلا ما ورد من الحيوان اسمه صريحا.

[٤] وردت أيضا في كل من :(سورة النور :آية :٤١ سورة الملك: آية ١٩) تدل على وجود الصانع الحكيم بوقوفها ،وصف أجنحتها وقبضها في الهواء .انظر:الرازي، فخر الدين: أسرار التنزيل وأنوار التأويل ،تحقيق: محمود أحمد محمد ،وآخرون ،دار واسط، (د ت ،(دن) ص ٥٦٦.

[٥] حمدان، نذير: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ،دار المنار،جدة، ١٩٩١،ص ٣٦٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والجبال ليس هو ذلك التسبيح الدائم وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)[1]، بل هو تسبيح خاص يتجدد بتجدد التسبيح من داود.

وإن كان هذا الاشتراك يدل على فضل الله على نبيه فإن الظاهرة نفسها تدل على قدرة الله المطلقة المسيطرة على كل الموجودات وهي خارقة غير مألوفة "انزاحت الحواجز بين الجمادات والحيوان والإنسان ،فانساحت الحقيقة المجردة لكل منهم، واتصلت من وراء حواجز الجنس والشكل والصفة والسمة التي تميزهم وتعزلهم في مألوف الحياة"[2].

ويجول بنا النظر إلى صورة أخرى من صور الطير، وقد طوعتها الذات الإلهية لمهمة ليست من طباع الطير، وتتمثل هذه الصورة "بالطير جند محشورة مع الجن والإنس "يقول تعالى:(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)[3]. وهذه الصورة التي جاءت الطير إحدى مكوناتها تصور قوة سلطان الله وقهره المتسلط على كافة مخلوقاته. ذلك أن حشر جيش ثلاثي "جن وأنس وطير". في نفس المكان والزمان ،وامتثاله لقائد واحد رغم التباين والاختلاف في الطباع والخواص، دليل على عظمة الحاشر والحشر .

واستطاعت لفظتا "حُشِر" "ويوزعون" تصوير هذه العظمة والقدرة، ذلك أن لفظ "حشر" بدلالته وبنائه للمفعول يدل على الجمع "حتما وبقهر وسطوة وإكراه بأيسر سعي"[4]،وتصور لفظة(يوزع) انتظام هذا الحشد المتعدد إذ " يحبس أولهم ليلحق أخرهم فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد ..لترتيب الصفوف "[5] وترتيب الصفوف مترتب عن الامتثال للأوامر، وهو مارآه "ابن عاشور"، في أن الوزع، هو "الكف عما لا يراد، فشمل الأمر والنهي، أي فهم يؤمرون فيأتمرون وينهون فينتهون .."[6].

وتقابلنا عمليتان خطير حدثهما ارتبطتا بذات الطير: أولاهما معاينة الخلق ،وثانيتهما معاينة البعث.

---

[1] الإسراء:٤٤.
[2] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج١٧، ص٢٣٩٠.
[3] النمل : ١٧.
[4] البقاعي: نظم الدور في تناسب الآيات والسور : ج ٥، ص ٤١٥.
[5] الألوسي: روح المعاني، ج١٩، ص٧٤.
[6] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١٩ ، ص٢٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فعملية خلق الطير هي معجزة عيسى عليه السلام،عرضت في موضعين: الأول في قوله تعالى:(وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ)[1]. والثاني في قوله تعالى: (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي)[2].

وهذه المعاينة لعملية الخلق - التي كان عيسى عليه السلام-هو السبب الخارجي لها بينما المسبب والخالق في الحقيقة هو الله. تمدنا بدلالات إذ تدل على القدرة المطلقة للذات الإلهية على الخلق. وتلقى بظلالها،على عملية خلق عيسى غير المألوف إذ أثار خلقه من غير أب الغرابة والدهشة : (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا)[3]، رغم توفر أحد الأسباب وهي الأم، فجاء خلق الطير من دون أي من الأسباب المألوفة، حقيقة مشاهدة تدل على أن الذي أذن لعبد من عباده وأجرى على يديه خلق طير بطريقة خارقة، هين عليه خلق مولود بطريقة غير مألوفة.

وتخصيص الطير لهذه العملية الخارقة أدل على كمال القدرة إذ فيه معجزتان : معجزة تحويل تمثال من الطين إلى حيوان فيه حياة وحركه. وحدوث الطيران معجزة أخرى .

ومعاينة الإحياء التي كان الطير مادتها، أجريت على يد الخليل، يقول تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[4].

والمعاينة هنا جاءت بطلب من الخليل (رب أرني كيف تحيي الموتى) مصروف سؤاله إلى كيفية الإحياء[5]. لأن الإحياء متقرر لديه، فأراد أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين،فقوله "أرني كيف" طلب لمشاهدة الكيفية "[6].

---

[1] آل عمران : ٤٩.
[2] المائدة : ١١٠.
[3] مريم :٢٧.
[4] البقرة : ٢٥٩، ٢٦٠.
[5] خر يوش ،حسين: (م.س)، ص ١٥٦.
[6] العثمان ،بدرية بنت محمد حسن : بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث، ط ١، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٩٩٧، ص ٢٨٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في تمزيقها وخلطها وتوزيعها فترة زمنية دل على ذلك التركيب الدال على الهدم بإيقاع الأفعال المتتالية (فخذ- فصرهن -اجعل) مع ما تثيره الحروف الرابطة في البنية (الفاء) و(ثم) من فضاء زماني أطول تجسده أكثر "ثم" في "فصرهن إليك ثم اجعل.. ثم ادعهن " ،ولما فرغت الذات الإنسانية من عملية الهدم تم البناء في لمحة وجيزة موكول إجراؤها إلى القوة المطلقة القادرة في كينونة أسرع (كن فيكون) وهي لله وحده .وهو ما أفاده التركيب " ادعهن يأتينك سعيا" إذ اختفت أدوات الربط بين الدعاء والإتيان كأنهما في كينونة زمنية واحدة.

ولنا أن نسأل لماذا اشترط العدد في الطير ولم يحدد النوعية ؟ إن لمثل هذا بعداً يرمي إليه ، يقول ابن عاشور" وجيء بمن للتبعيض للدلالة على أن الأربعة مختلفة الأنواع، والظاهر أن حكمة التعدد والاختلاف زيادة في تحقيق أن الإحياء لم يكن أهون في بعض دون بعض، فلذلك عددت الأنواع، ولعل جعلها أربعة ليكون وضعها على الجهات الأربع: المشرق والمغرب والجنوب والشمال لئلا يظن لبعض الجهات مزيد اختصاص بتأتي الإحياء"[1] و " للدلالة على أن لله تعالى المشرق والمغرب وبقية الجهات لا يشاركه في ملكه أحد و لا توجد جهة من الجهات هي لغير الله"[2]. وكذلك لم نجد تحديداً لنوع الطير،أو تحديداً للجبال بل إفادة العموم لأي طير وفي أي جبل ،حتى لا يظن -أيضا- اختصاص بتأتي الإحياء لجبل بعينه أو لطائر بعينه"[3].

المجموعة الأولى (الطيور الجارحة)

تضم هذه المجموعة وحدات تشير إلى الجارح من الطير في بنية النص القرآني : (الغراب) .

الغراب: طائر معروف من الطيور ذوات الأظافر،أسود اللون ،يتشاءم به العرب ،وجمعة غربان وأغربة[4] .

---

[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٣ ،٣٩.

[2] بركات حسين: قصاصات من الإعجاز :مجلة آيات ، العدد ٣،(ذو الحجة ١٤٢٤-٢٠٠٤)، ص:٢٥،ص ص ٢٤-٢٥.

[3] .سعد، أمير فاضل: غرائب الصورة في القرآن، ص١٥٦.

[4] انظر: الد ميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢ ص٢٣٥. حسام الدين، وزكي: التحليل الدلالي ،ج١، ص:٤٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويرد لفظ " غراب "مرتين معرفة مرة ونكرة مرة أخرى، في قوله تعالى:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ .لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)[1].

تولت الذات الحيوانية (الغراب) - بتوجيه من الذات الخالقة - مهمة إرشادية تعليميّه، أرشدت الذات البشرية الحاسدة (قابيل) حين اعتدت على الذات الخيرة (هابيل) وهدمت بنيتها ،فاحتارت في التخلص من الجثة."فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه " .

وتنكير لفظ "غراب" في قوله: (فبعث الله غرابا) يدل على أنه غراب من الغربان، وفي هذا تقريع للذات الحاسدة وتصغير لها، إذ إن ما عجز عنه صاحب الفكر والإدراك قام به من هو دونه في الخصائص والصفات " وكلما كان المقرع به أسفل كانت الموعظة في ذلك أبلغ .. ولو كان موضع الغراب رجل صالح ،أو إنسان عاقل لما حسن به أن يقول :يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا العاقل الفاضل الكريم الشريف "[2] وهذا الدور لا يقوم به طائر أخر لأن سواد لون "الغراب" يتناسب مع ظلمة الحسد والظلم المعتملين في النفس ويلتقي مع ظلمة الفجيعة ووقع حدث القتل وما أعقبه من مؤثرات على النفس والحياة[3]، يقول ابن عاشور: " وإما لأن الله اختاره لذلك لمناسبة ما يعتري الناظر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسف الخاسر من انقباض النفس"[4] .

المجموعة الثانية (غير الجارحة)

تضم هذه المجموعة الوحدات الدالة على غير الجارح من الطير في بنية النص القرآني، وهي :(الهدهد ،والسلوى).

---

[1] المائدة:٢٧ــ٣١.
[2] الجاحظ : الحيوان، ج٣، ص: ٤١١.
[3] سعد،أمير فاضل : غرائب الصورة في القرآن الكريم، ص: ٤٠.
[4] . ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٦، ص١٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الهدهـد : طائر معروف، و"هو من الجوائم الرقيقات المناقير له قنزعة علـى رأسـه، جمعه هداهد ، وهداهيد"[1].

ورد لفظ "الهدهد " بصريح الدلالة،مرة واحدة في البنية القرآنيـة ،علـى لـسان سليمان – عليه السلام–، في قوله تعالى:(وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَـانَ مِـنْ الْغَائِبِينَ. لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطـتُ بِمَـا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَـيْءٍ وَلَهَـا عَـرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَـالَهُمْ فَـصَدَّهُمْ عَـنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) [النمل:٢٠-٢٤].

والمتأمل في الصورة يجد نفسه أمام هدهد أريب عجيب صاحب إدراك،وفهـم[2]. لذلك أورده القرآن معرفا " مالي لا أرى الهدهد "، ولم يقل" مـالي لا أرى هدهـدا مـن عرض الهداهد ،فلم يقع قوله على الهداهد جملة، ولا على واحد منها غير مقصود إليـه ، ولم يذهب إلى الجنس عامة،٠٠٠ فادخل في الاسم الألف واللام فجعله معرفة فدل بـذلك القصد على أنه ذلك الهدهد بعينه"[3]. الذي لم يكن " مجرد مكتشف،وعالم ،بما لـم يعلمـه سليمان وحسب، بل إنه كان داعية إلى الله ،وإلى الإيمان به ٠٠ فهو ينكر على المشركين شركهم، ويسفه أحلامهم،ويحقر آلهتم وما يعبدون من دون الله ٠٠٠"[4].إنه "حامل أمانة لم يسبق لمثله حملها، قيم فكرية عقدية، ولم يغره مظـاهر الملـك ولا أبهـة العـرش ولا المرافق المادية الجمة عن تفهم الوجود الحقيقي للخير المطلق والكمال المطلـق"[5]. " فمـا بقى للإنسان في أكمل صورة وأحسن أحواله وأعلى منازله؟[6] ماذا بقى له من فضل،على أضعف مخلوقات الله وأقلها شأنا ٠٠٠؟[7].

وينضاف إلى جمال عقيدته جمال في خلقته، و ألوان ريشه، تتناسب مع مهمته ،إذ إن "التمثيل للفكرة التي يحملها ،ومهام السفير في حاجة إلى الذوق وملمح الجمال كما أن مكونات الصورة تعج بالملك والأبهة ويتخللها ألوان النعيم في المملكتين وعنـدما نـضع

---

[1] .أنيس، إبراهيم: المعجم الوسيط ،مادة ،(هدهد).
[2] طهماز،عبد الحميد محمد: المعجزة والإعجاز في سورة النمل، دار القلم، دمشق،١٩٨٧،ص:٦٠.
[3] الجاحظ: الحيوان :ج١، ص٩٨.
[4] الخطيب، عبد الكريم:القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: ٣٠.
[5] حمدان، نذير: الظاهرة الجمالية في القرآن، ص:٣٧٣.
[6] المرجع نفسه ،ص٣٧١.
[7] الخطيب، عبد الكريم :القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: ٣٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الهدهد بين مكونات هذه الصورة، نجده يتناسق مع بقية المكونات بعكس الغراب الذي عرفنا دوره في الصورة السابقة"[1].

السلوى : طائر يشبه السماني ،أو هوا لسماني نفسه، وهو من رتبة الدجاجيات[2].

يقول الأخفش:" لم اسمع له بواحد قال ويشبه أن يكون واحده أيضا سلوى كما قالوا دلفى للواحد والجمع"[3].

ترد مفردة "السلوى" بدلالتها ثلاث مرات ،في كل من [البقرة:٥٧،الأعراف:١٦٠،طه٧٠]. لبيان نعم الله على بني إسرائيل، يقول تعالى: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى)[الأعراف:١٦٠].

ج- المجال الدلالي الفرعي الثالث (الحشرات) :

يشمل هذا المجال الوحدات الدالة على الحشرات، التي أتى بها القرآن، ليحقق بها ومن خلالها أبعادا يهدف إليها وخص لكل بعد وحدة دلالية تناسبه ،وتنقسم إلى مجموعتين دلاليتين :

المجموعة الأولى :

تشمل الوحدات الدالة على ذي الجناح من الحشرات وهي: (النحل، والجراد ، والفراش، والذباب، وبعوضة)نقف عليها ضمن سياقاتها ،على النحو الآتي :

النحل :اسم جنس للحشرات المجنحة ،التي تنحلنا العسل الواحدة نحلة، واسمها مشتق من النحل -بضم النون- وهو العطاء بغير عوض.[4]

وترد مفردة "النحل" بدلالتها مرة واحدة معرفة بـ " ال" وبصيغة الجمع في قوله تعالى: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).[النحل:٦٨-٦٩]

---

[1] سعد، أمير فاضل: غرائب الصورة في القرآن الكريم، ص: ٤٠.

[2] انظر: أنيس، إبراهيم: المعجم الوسيط، مادة (سلهب). والأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ج١، ص٣٧٥.

[3] الرازي: مختار الصحاح.، مادة (سلا).

[4] انظر : الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ص: ٦٢٣.والفيروز أبادي : القاموس المحيط، مادة (نحل).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتعريف (النحل) يدل على استغراق الجنس، وأفاد أن فعل " أوحى" يشمل جميع أفراد هذا الجنس، وتدل صيغة الجمع على أن النحل لا يحيا إلا في جماعات. و ليس بمقدور النحلة الواحدة الحياة بمفردها.[1] وهذه الحياة الجماعية يسودها النظام وحسن الأداء ،والدقة في العمل، ولا تتصادم فيها الإرادات ،لأن أفراد الخلية شعارهم مصلحة الجماعة، فتقوم كل نحلة بالمهمة المرسومة لها على أكمل وجه ،وتسير وفق ما أجْبلتْ عليه؛ من بناء بيوتها بناء هندسيا بديعا قد يعجز مهندسو البشر عن بناء مثله ، وأكلها من الثمر وعودتها إلى بيتها مهما بعدت عنه[2]. ومثل هذا لا يتأتى لحشرة صغيرة إلا بتزويد من القدرة المطلقة، وهو ما أفاده لفظ "أوحى" الذي يومئ إلى إلهام هذه الحشرة الضعيفة تدبيرا عجيبا وعملا متقنا وهندسة في الجبلة.

وإن كانت تلك التدابير تدل على أن وراء هذه الحشرة الضعيفة قدرة موجهة -إنها قدرة الله - فإن عملية إخراج "العسل" منها ،بما فيه من شفاء واختلاف في اللون أدل على كمال القدرة ،وتثير في النفس الدهشة والاستعظام ولهذا عدل إلى المضارع في التعبير عنه " يخرج" " لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله التي هي موضع العبرة بعدما أمرت بما أمرت"[3] و " للدلالة على تجدد الخروج وتكرره"[4].

الجراد: أسم جمع واحده جرادة ،تقع على الذكر والأنثى ،وهي حشرات ذات أجنحة أربعة تطير في جماعات لمسافات بعيدة[5]، "وسمى الجراد ..جَرَادا لأنه يَجْرد الأرض فيأكل ما عليها"[6].

ترد مفردة "جراد" بنفس الدلالة اللغوية في بنية النص القرآني مرتين ،إحداهما نكرة في قوله تعالى : (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)[7]. والأخرى معرفة في قوله تعالى:(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) [الأعراف:١٣٣] والأخيرة جاءت ضمن الآيات التي أيد الله بها نبيه موسى ــ عليه السلام ــ معاقبا بها فرعون وقومه. وهي: (الجراد، والقمل، والضفادع، والطوفان ،والدم) وتسليط هذه الأشياء على فرعون وقومه تبرز جانبا من

---

[1] عبد الله ، محمد محمد: عالم الحيوان بين العلم القرآن، ط١، دار الرشيد، القاهرة، ١٩٩٦،ص٦١.
[2] انظر:أحمد زكي : في سبيل موسوعة علمية،دار الشروق، بيروت،١٩٨٢،ص:١٦٦.
[3] أبو السعود : إرشاد العقل السليم ،ج٥، ص:١٢٥
[4] ابن عاشور: التحرير والتنوير ،ج١٤،ص:٢٠٩.
[5] انظر:ابن منظور : لسان العرب ، مادة (جرد) ،ابن عاشور :التحرير والتنويرن،ج٢٧،ص:١٧٩
[6] .ابن فارس : مجمل اللغة ،ج١ ، ص:٤٣٠.
[7] القمر :٧. سيكون لنا معها وقفة في الصورة البيانية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قدرة الله ،وتكشف عجز فرعون عن ردها ودفع الضرر عنه وعن قومه. وتخصيص هذا النوع من العذاب لهذه المهمة وخاصة العنصر الحيواني فيه سلب للذات الفرعونية المتعالية.التي تبدي عجزها وضعفها أمام مخلوقات ضعيفة هين شأنها.

الفراش: واحدتها فراشة ، وهي نوع من الحشرات التي تطير وتتهافت في النار.[1] ،" وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره"[2] .

وردت مفردة "الفراش" بدلالتها،مرة واحدة ،في قوله تعالى:(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) [القارعة:٤].تصور حال الناس يوم القيامة وما فيه من هول وشدة[3].

الذباب:اسم جنس لنوع من الحشرات،أسود اللون، صغير الحجم يهبط على الطعام والشراب، جمعه في القلة "أذبه" وفي الكثرة "ذبان"[4]، "وسمي ذبابا لكثرة حركته واضطرابه ...".[5].ولأنه يُذب كثيراً.

ويرد لفظ "ذباب" في بنية النص القرآني مرتين نكرة مرة ، ومرة معرفة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)[الحج:٧٣].

تصور عجز الآلهة المدعاة من دون الله ،وضعفها.

بعوضة: مفردة جمعها بعوض، وهي المؤذية العاضة في الصيف.[6]،وفي اشتقاقه قولان: الأول "أن البعوض من البعض وهو القطع ...والثاني من بعض الشي سمي به لقلة جرمه وصغره لأن بعض الشي قليل بالقياس إلى كله[7]".

وردت لفظة "بعوضة" مرة واحدة في النص القرآني: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) [البقرة:٢٦].

---

[1] انظر :ابن منظور لسان العرب ، مادة(فرش)، الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح ،مادة (فرش).

[2] الرازي ، محمد الرازي فخر الدين : التفسير الكبير، ج٣٢، ص٧١.

[3] سيتم الحديث عنها ضمن الصور الفنية في المبحث المخصص لذلك.

[4] انظر :ابن منظور : لسان العرب، مادة (ذب). حسام الدين، زكي ، التحليل الدلالي ، ج١ ،٤٩٩.

[5] الدميري : الحيوان،ج١،ص:٤٨٨.

[6] ابن منظور : لسان العرب : مادة (بعض).

[7] الرازي: أسرار التنز يل وأنوار التأويل، تحقيق :محمد أحمد محمد، دار واسط (د ن) ، (د ت)، ص: ٥٧٧_٥٧٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في معرض دحض شبهة الكافرين حين ضربوا أكفهم متعجبين ، وأشاحوا بوجوههم معرضين ، حاملين التمثيل في القرآن بالحشرات على الإنكار والتعجب فكان الرد عليهم، بقوله: "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة"ليبان أن الله لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير، ذلك" أن الشيء كلما كان أدق وأصغر استعصى بيان أجزائه وتركيبه، وكان الاطلاع على أسراره أصعب، فإذا كان في نهاية الصغر واللطافة، لم يحط به إلا علم الله تعالى، فكان التمثيل أقوى في الدلالة على كمال الحكمة من أن يكون بالشيء الكبير"[1].

المجموعة الثانية :

تشمل الوحدات الدالة على الحشرات غير المجنحة،في البنية القرآنية والمتمثلة بـ: (نملة، وعنكبوت، وقمل).

نملة :مفردة نمل ،وهي اسم جنس لحشرات صغيرة الحجم ،تسكن في شقوق الأرض[2].

وترد مفردة "نملة" في بنية النص القرآني بصيغة المفرد مرة واحدة ،ومعرفة بصيغة الجمع مرتين في قوله تعالى:(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[النمل: ١٨].

تركزت الأضواء في هذا المشهد على نملة عجيبة خارقة قامت بمهمة الإنقاذ والإبلاغ لقومها. أوردها النظم القرآني نكرة " قالت نملة " وللتنكير دلالة هنا إذ قد يفيد أنها واحدة من النمل "الموكول لها مراقبة الجو وحركة المرور"[3] . هي التي قامت بهذه المهمة ،وهذا له دلالة تتمثل بمدى تآلف هذا المجتمع ،وحرص بعضه على بعض ،إذ لا يعيش العنصر فيه لذاته وإنما يعيش لأمته. وهو ما لمسناه في هذه النملة ، التي حذرت قومها، وأمرتهم بدخول مساكنهم خشية أن يحطمهم سليمان وجنوده .ولم تكتف بإبلاغ قومها بل حرصت أيضا - رغم الخطر المحدق بها - إنصاف سليمان -عليه السلام- إذ التمست له ولجنده العذر بقولها (وهم لا يشعرون). وبهذا " علمت جميع الخلق الاجتهاد في إيصال الإحسان إلى الخلق والمبالغة في كف الأذى عن الخلق وعن الرعاع..."[4].

---

[1] حسن، محمد السيد: التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، ٢٠٠١،ص:٢٧٧.

[2] انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (نمل)، ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج١٩، ص ٢٤١.

[3] الشعراوي، محمد متولي: قصص الحيوان في القرآن الكريم ، ص:١٥٥.

[4] الرازي محمد الرازي فخر الدين: أسرار التنزيل وأنوار التأويل، ص: ٥٩٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العنكبوت: "دويبة لها أربعة أزواج من الأرجل، تنسج نسيجا رقيقا مهلهلا تصيد به طعاما[1]" وجمعها عنكبوتات، وعناكب ،وعناكيب[2].

وترد مفردة "العنكبوت" مرتين، في قوله تعالى:(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[العنكبوت:٤١]. لتصور وهن الآلهة المتخذة من دون الله[3].

القمّل: جمع قمّلة، وهي الحشرة التي تهلك النبات والحرث، وقيل هو السوس الذي يصيب الحبوب[4].

وترد مفردة "القمل" مرة واحدة ضمن الأنواع التي عذب الله بها قوم فرعون وذلك في قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ٠٠)[الأعراف: ١٣٣].

ومن خلال استعراض المجال الدلالي الخاص بالحشرات تبين أن القرآن حقق بعرض كل وحدة من المجموعتين الأبعاد والمقاصد التي هدف إليها، غير أن الوحدات الدالة على الحشرات المجنحة أكثر حضورا من غير المجنحة ..

د- المجال الدلالي الفرعي الرابع (الزواحف):

يشير هذا المجال إلى الوحدات الدالة على الزواحف،في النص القرآني وتمثلت بالأتي: (حية،وجان، وثعبان). ولفظة"حية" وردت مرة واحدة في :[طه : ٢٠]، وتكرر لفظ "جان" مرتين في :[القصص: ٣١، النمل: ١٠] وتكرر أيضا لفظ "ثعبان" مرتين في: [الأعراف: ١٠٧،الشعراء: ٣٢].

والمتأمل في هذه المفردات الثلاث (حية، وجان، وثعبان) بتكرارها يجدها تصف شيئا واحدا هو التحول المعجز لعصا موسى، آيته لفرعون. ففي بعض المواقف يذكر الحية، ثم يذكر الجان والثعبان في مواقف أخرى كما يلي :

---

[1] أنيس ، إبراهيم: المعجم الوسيط، مادة(عن).
[2] .ابن منظور : لسان العرب ، مادة،(عنكب).
[3]. سنتناولها في المبحث المخصص للصورة البيانية.
[4] . انظر: أنيس، إبراهيم: المعجم الوسيط ، مادة (قمّل)،والشعراوي: قصص الحيوان في القرآن، ص: ٢٥١. والقمّل ــ بالضم والتشديد ــ غير القمّل ــ بالفتح والسكون ــ الذي مفرده قملّة، إذ إن الأخير هي حشرة تتولد على البدن عند دفع العفونة إلى الخارج.تم تناول الأولى في صفحة ٦٦ من هذا البحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) (طه:١٧-٢١).

- (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ)(القصص: ٣٠-٣١).

- (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) (الأعراف: ١٠٤-١٠٧).

وهذا التعدد والتنوع لمسمى واحد" يؤدي وظيفة حيوية في إبراز جوانب لا يمكن أداؤها على وجه واحد من وجوه التعبير"[1]. ذلك أن التعدد يحمل "في كل مرة بعضا من مشخصات المشهد، وإن كانت كل عبارة منها تعطي صورة مقاربة للمشهد كله"[2] ، فالحية "اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير"[3] وهي "من حيث الضخامة ثعبان مبين ،والثعبان الحية الضخمة الطويلة وأصله من ثعبت الماء ثعبا إذا فجره وسمي بذلك لأنه يجري كمجري الماء عند الانفجار، ومعنى "مبين" أي بين أنه حية ،أما تشبهها بالجان :فالمراد به أنها في اهتزازها وخفة حركتها وسرعتها كالجان وهي في صورة ثعبان"[4]. والجان الصغير من الحيات، والثعبان الكبير منها، وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم ،واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته"[5].

وفي هذا نلحظ أن الأوصاف الثلاثة (حية، وجان، وثعبان) تكاملت معا وشكلت المشهد الكلي للتحول الذي أجرته القدرة الإلهية في العصا، إذ أفاد مجموع تلك اللقطات ،أنها تحولت إلى حية ضخمة طويلة شديدة الحركة .

---

[1] .الخطيب، عبد الكريم : القصص القرآني :منطوقه ومفهومه ، ص٨٦.

[2] بني دومي، خالد قاسم: التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني (رسالة غير منشورة) جامعة اليرموك، ١٩٩٩،ص٣٨.

[3] الزمخشري : الكشاف، ج٣ ، ص٥٦.

[4] . ابن ناقيا ، عبد الله بن الحسين : الجمان في تشبيهات القرآن، تح: محمد حسن أبو ناجي الشيباني، مركز الصف الإلكتروني، بيروت، ط١٩٨٧،١، ص:١٣١.

[5] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله:البرهان في علوم القرآن، ج٢ ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث، القاهرة ، (د ت)، ص:٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وينبغي أن ندرك جمالية القرآن وفنيته في توزيع تلك اللقطات إذ وظف كل لقطة بما يناسب المقام ويتسق معه ،فالسياق الذي جاءت فيه لفظتا "حيةٌ، وجانٌ" يشير إلى أن موسى كان لقاؤه بالله، فكان المراد أن "يريه عظيم ما يخترعه الله (عز وجل) في الخشبه اليابسة من قلبها حية نضناضة، ويقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبهه إلى قدرته الباهرة..."[1]، فناسبت اللفظتان بدلالتهما الجو العام الذي كان هدفه لفت انتباه موسى عليه السلام إلى القدرة الإلهية وتوطين قلبه وتدريبه على معجزته إلى فرعون.

أما السياق الذي جاءت به لفظة (ثعبان) في كل من سورتي الأعراف والشعراء، فهو يصور مواجهة موسى للسحرة وفرعون، وما حصل فيها من تحد ومنازلة ، فناسب (الثعبان) بضخامته هول الموقف وشدته،مما أثار الرعب والهلع في نفس فرعون والسحرة ، وتجلى أثر ذلك في تحويل السحرة من الكفر إلى الإيمان:(فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى).(طه:٧٠).

ويبدو أن البعد الذي رمي إليه في "اختيار الحية من بين الكائنات الأخرى لتكون معجزة لموسى،يعود إلى أن الفراعنة كانوا يقدسونها..... وكأن الباري عز وجل يريد أن يقول لهؤلاء الفراعنة الملحدين، وعلى رأسهم فرعون، إن الحية ماهي إلا من مخلوقات الله التي تمتثل لأوامره، وهي معجزة موسى عليه السلام، ولا تستحق أن تكون موضع تقديس ، والله أعلم"[2].

ه- المجال الدلالي الفرعي الخامس (بَحْرِيّة) :

يتضمن هذا المجال المفردات الدالة على الحيوان المائي الوارد ذكرها في بنية النص القرآني، وهي: (ضفادع، وحوت،والنون).

الضفادع: مفرد ضفدع، وهي حيوان برمائي ذو نقيق ،ويقال للذكر والأنثى[3].

ورد ذكرها مرة واحدة في (الأعراف:١٣٣) ضمن الآيات التي سلطها الله تعالى على قوم فرعون[4].

---

[1] الزمخشري : الكشاف، ج٣، ص٥٥.
[2] . الفيومي: روائع إعجاز القرآن، ص٢٤.
[3] .انظر: أنيس، إبراهيم: المعجم الوسيط، مادة (ضغمة) .
[4] .انظر :صفحة٦٦ من هذا البحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حـــوت: مفرد حيتان "وهو السمكة، صغيرة كانت أو كبيرة [1]" وقيل هو ما عظم منـــه[2].

وقد يكون اللفظ مشتقا من المحاوتة بمعنى المراوغة حاوت محاوتة أي راوغ[3].

ورد ذكر الحوت في بنية النص القرآني أربـــع مـــرات بـــصيغة المفـــرد فـــي: (الكهف: آيات ٦١،٦٣) و(الصافات:١٤٢) و (القلم:٤٨). وذكر مرة واحدة بصيغة الجمع في: (الأعراف:١٦٣). ففي قوله تعالى :(وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِـــرَةَ الْبَحْـــرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَـــذَلِكَ نَبْلُـــوهُمْ بِمَـــا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (الأعراف: ١٦٣). مثلت "الحيتان " عنصرا ابتلى الله به بنـــي إســـرائيل بفسقهم وانحرافهم المتكرر. وتمثل هذا الابتلاء بإتيان (الحيتان) يوم السبت، وهو اليـــوم الذي يحرم عليهم العمل فيه، فتاتي شرعا أي واضحة مثل الشراع في السفينة[4]. إذ كانت تدنوا من القرية متتابعة مصطفة[5]. بحيث يمكنهم صيدها .(ويوم لا يسبتون) وهي باقي أيام الأسبوع المباح فيها الصيد لا يأتهم حوت واحد. شكل هذا الابتلاء تعذيبا نفسيا شديد الوقع، يتناسب مع الذات الإسرائيلية الملتوية كي يؤدبهم به ويضعهم في محك الامتثـــال والطاعة غير أنهم - كما هو دأبهم - لم يصمدوا أمام هذا الامتحان ،واعتدوا على حرمـــة السبت ،واصطادوا فيه.فعبر عنه بصيغة المضارع "يعدون في السبت " للدلالة على تكرر ذلك منهم[6]. ولو أنهم صبروا لظفروا به حلالا، وذلك لأن في إضافة " الحيتان " إليهم في (حيتانهم) " للإشعار باختصاصها بهم"[7]. و " بأنها مخلوقة لهم فلو صبروا نالوها وهـــم مطيعون"[8]. وفي قوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْـــرَيْنِ أَوْ أَمْـــضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَـــالَ لِفَتَـــاهُ آتِنَـــا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَـــإِنِّي نَـــسِيتُ الْحُـــوتَ وَمَـــا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَـــا قَصَصًا) (الكهف: ٦٠-٦٤).

---

[1] .انظر: أنيس، إبراهيم: المعجم الوسيط ، مادة (حوت).
[2] انظر: الرازي: مختار الصحاح ، مادة (حوت)، ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (حوت).
[3] .انظر: ابن منظور: لسان العرب ، مادة (حوت).
[4] الشعراوي: قصص الحيوان في القرآن الكريم، ص:٢١٦.
[5] .ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٩، ص:١٤٨.
[6] المرجع نفسه، ص:١٤٨.
[7] .أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٣٠، ص٢٨٤ .
[8] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٣٠، ص١٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جاء لفظ"حوت" مضافا إلى الضمير"هما" العائد إلى موسى وفتاه فدلت الإضافة إلى

أن الحوت خاص بهما " وهو الذي أمر الله موسى باستصحابه معه"[1] ليكون له "في حالة فقدانه علامة على لقاء العبد العالم"[2]. (فلما بلغا مجمع بينهما) فقد حوتهما، بطريقة خارقة تجلت فيها قدرة الله المطلقة ،وذلك بانقلاب الحوت المشوي حيا[3]، الذي (اتخذ سبيله في البحر سربا) ودليل ذلك جواب الفتى (فإني نسيت الحوت)على طلب موسى (آتنا غداءنا) إذ يدل على أن الحوت كان معدا طعاما لهما ،وإلا لما حدث هذا الربط.

ورغم مشاهدة الفتى هذه الخارقة نسى ولم يذكر إلا وقد تجاوز المكان المطلوب (فارتدا على آثارهما قصصا)، فكان موضع حركة الحوت والعودة إلى البحر نقطة اللقاء بالعبد الصالح العالم وتم اللقاء، وصرنا"أمام بحرين في الواقع يتسقان مع رجلين يتحركان على طول مجريات الحدث ذاته، والبحر في الواقع يتسق ويلتقي ببحر العلوم وهي الفكرة الموجهة لأحداث هذه الصورة"[4].

وجاء "الحوت" معرفا ب"ال" في قوله تعالى:(وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ.لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الصافات : ١٣٩-١٤٤).

يشير إلى ذلك الحيوان البحري الهائل ، ذلك أن تعريفه أفاد " أنه المعروف من جهة أنه لا حوت أكبر منه، فكأنه لا حوت غيره"[5]. وهو الذي ابتلع يونس – عليه السلام- ونبذه حيا بأمر الله. دون أن يؤذيه ،وفي هذا دليل على قدرة الله المطلقة، الحافظ لعباده عامة ولأنبيائه خاصة.

وينبغي أن نشير إلى أن "الحوت " الذي أبتلع يونس عليه السلام ، ورد بلفظ أخر ،هو "النون" في قوله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء: ٨٧]. والنون: هو الحوت، والجمع

---

[1] .ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١٥، ص٣٦٦.

[2] النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد حسين :تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ،ج٤، ط١،دار الكتب العلمية١٩٩٦،ص٤٧٤.

[3] انظر:المرجع نفسه ،ج٤،ص:٤٤٦.والرازي: التفسير الكبير ،ج٢١، ص١٤٨.ابن عاشور:التحرير والتنوير،١٥، ص٣٦٧.

[4] .سعد، أمير فاضل : غرائب الصورة في القرآن الكريم، ص:٣٣.

[5] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٦، ص:٣٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنوان ، ونينان[1]"مثلما تجمع حوت حيتان، فهي مثلها وزنا ومعنى"[2]. و(ذا) صاحب، وهو يونس إذ نجده -عليه السلام - أضيف إلى "النون" بينما نجده قد أضيف إلى الحوت في قوله تعالى: (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) (القلم: ١٨).

والسؤال هو : لماذا تعددت تسمية (الحوت)، الظاهر أثرها في لقب يونس، فمرة لقب "ذا النون" ،وأخرى لقب " صاحب الحوت"؟

وجواب ذلك ، يأتي من النظر في السياق ،يقول الزركشي : " وسماه هنا " ذا النون " والمعنى واحد ولكن بين اللفظتين تفاوتا كبيرا في حسن الإشارة إلى الحالين وتنزيل الكلام في الموضعين ،فإنه حين ذكره في موضع الثناء عليه ، قال "ذا النون " ولم يقل " صاحب الحوت" ولفظ ذا النون أشرف لوجود هذا الاسم في حروف الهجاء"[3]. هذا بالإضافة إلى ما يشتمل عليه هذا الحرف من أسرار باهرة في علم الله تعالى[4].

كما أن "النون" أنسب من "الحوت" لأن الحوت يدل على الاضطراب والروغان ،والاضطراب والروغان دل عليهما قوله: (ذهب مغاضبا) فالذاهب على مثل هذا الحال راغ مضطرب ،ولو قال "ذا الحوت" لأفاد اضطرابا وروغانا آخرين ، وهما غير موجودين ،إذ الموجود اضطراب واحد، ويكفي في الدلالة عليه أن يقول: " ذهب مغاضبا"[5]. إضافة إلى أن لفظ النون يلمح منه السكون والهدوء بسبب حرف النون في أخره ..وهو مناسب للمقام ،إذ إن يونس عليه السلام مال إلى الهدوء والاطمئنان ،وشرع في عبادة ربه تعالى"[6].

وفي سورة القلم يعرض السياق لقصة يونس ــ عليه السلام ــ مع قومه في عدم تصبره، لإعراض قومه عن دعوته ،فاضطرب عليه السلام وراغ منهم وهرب، فهي قصة في معرض العبرة والتوجيه للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يصبر ،وينهاه أن يضطرب ويروغ كما فعل يونس ،بقوله " فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت " والصبر مضاد للاضطراب والروغان ومن لم يصبر يضطرب ويروغ، ولأن لفظ "

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة (نون)

[2] الشعراوي، محمد متولي: قصص الحيوان في القرآن ، ص:٢٢٤.

[3] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج٤، ص:٧٤.

[4] حسن، محمد السيد: روائع الإعجاز في القصص القرآني : دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية(د ت) ص:٣٥٧.

[5] البكري، محمد وسيم: البكريات في توجيه مفردات الآيات،ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٤٠

[6] . المرجع نفسه، ص:١٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحوت" يدل على الاضطراب والروغان فهو الأنسب دلالة في هذا المقام،[1] إضافة إلى ما نستشعره من قيم في إسناد الصحبة هنا للحوت[2].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] البكري ،محمد وسيم: البكريات في توجيه مفردات القرآن، ص١٣٨.
[2] سعد، أمير فاضل: غرائب الصورة في القرآن، ص:١٩٧.

الفصل الثالث

التحولات الأسلوبية في بنية الصورة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصـــل الثالث

التحولات الأسلوبية في بنية الصورة

تتعدد مظاهر التحول في بنية اللغة، وخصوصاً في النصوص الأدبية، التي تستخدم اللغة استخداماً فنياً، إذ إن أي خروج أو تحول عن الأصل المفترض فيها، يعد تحولا عن ذلك الأصل. ولا يكون إلا لدلالة مقصودة. غير أننا في هذا الفصل لن نتتبع كافة التحولات في بنية الصورة[1]، بل سنكتفي بمظهرين من مظاهر التحول هما: التحولات الصوتية، والتحولات السياقية. ومن أجل الوقوف على صور كل منهما، وأبعادهما الدلالية، يتم تناولهما في مبحثين:

المبحث الأول: التحولات الصوتية.

تفيد الدراسات الصوتية في مجال البحث الأسلوبي الدقيق،إذ تبرز الأثر الوظيفي للصوت،وخاصة إظهار قدرته التعبيرية للدلالة، عبر تشكيلها السياقي؛ ذلك أن جدلية العلاقة بين الصوت والدلالة من المباحث التي استرعت اهتمام الباحثين في القديم والحديث.

فإن أول من تنبه إلى هذه الصلة بين اللفظ ومدلوله، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) عندما ربط الألفاظ بمدلولاتها، فعمد إلى تحليل حكايات أصوات الأشياء، فقد ربط إطالة الحكاية وترجيعها بالصوت نفسه، فإذا توهم الحاكي استطالة في صوت المصوت حاكاه بمقاطع طويلة؛ وإذا توهم ترجيعاً فإنه يحاكيه بمقاطع مكررة[2].

ونجد أبا الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) يفصل القول في دقائق هذه الظاهرة، ويمنحها قيمة خاصة.[3]ويؤكد وجود هذه العلاقة بين الصوت والمعنى، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥).[4]إلى أن فصل فيها القول (جلا ل الدين السيوطي(ت ٩١١هـ)، إذ يرى أن المناسبة قائمة بين الألفاظ ومعانيها؛ " وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني؛ فجعلت الحرف الأضعف والألين والأخفى والأسهل والأهمس، لما هو أدنى وأقل وأخف عملا أو صوتا، وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا

---

[1] من هذه التحولات: تحول في الرتبة، كالتقديم والتاخير في الجملة الإسمية، وكذلك التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، وخروج البنية عن الأصل الذي وضعت له، كخروج بنية الاستفهام، وبنية الأمر، وبنية النداء، عن دلالتها الأصلية.

[2] انظر:الفراهيدي: العين، ج١، ص٤٠.

[3] انظر: ابن جني: الخصائص، ج٢، ص١٤٥.

[4] ابن فارس، أحمد: مقاييس اللغة، ص٢٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأعظم حساً، ومن ذلك المد والمط؛ فإن فعل المط أقوى لأنه مد وزيادة جذب فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال"[1]

وتزايد الاهتمام بإظهار هذه العلاقة بين الصوت والدلالة لدى الباحثين ذلك لأن" في اللغة معاني تتطلب أصواتا خاصة، وأن هناك من المدلولات ما تسارع اللغة للتعبير عنه بألفاظ معينة، وربما كان من العسير حصر تلك المحاولات اللغوية التي تلحظ فيها وثوق الصلة بين الأصوات والمدلولات"[2].

وتخصيص هذا المبحث يأتي حلقة مكملة، نبرز فيه إعجاز القرآن في التوظيف الدلالي للصوت، في الصورة مادة الدراسة، وسنكتفي بأبرزها في تشكيل الدلالة وإنتاجها، وذلك من خلال ما يمكن تسميته بالتحول الصوتي ومحاكاة الجرس للمعنى..

وأقصد بالتحول الصوتي العدول من جرس صوتي لأخر ليس لعلة نحوية أو صرفية، بل محاكاة دلالة معينة تلتقي بدلالة السياق. إذ أنه لا يمكن " فصل المنهج الصوتي للبنية العربية عن المعنى النفسي الذي يؤثر ويفيد، وهذا المعنى من مواطن علم البلاغة"[3]، لذلك فالعدول الصوتي في بنية النص القرآني يعد وجها من وجوه البلاغة والإعجاز في التنزيل، يمكن تسميته بالإعجاز الصوتي[4].

وفي مادة الدراسة نلمس تنوعا في هذا العدول، إذ نجد عدولا في **الحذف والإثبات**، وقد يكون هذا الحذف والإثبات في الرسم القرآني، فتأتي اللفظة الواحدة مرسومة برسمين مختلفين، وهذا الاختلاف والتحول يكون بحسب اختلاف أحوال المعاني، يقول الزركشي في رسم المصحف:" واعلم أن الخط جرى على وجوه منها ما زيد عليه اللفظ، ومنها ما نقص، ومنها ما كتب على لفظه، وذلك لحِكَم خَفِيّة وأسرار بهية، تصدى لها أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء في كتابه " عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل "وبين أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها"[5]. من ذلك ــ ما ورد في مادة الدراسة ــ رسم كلمة "نبغي" في قوله تعالى:(قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) [الكهف: ٦٤] محذوفة ياء الفعل "نبغ" مع عدم وجود

---

[1] السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه: محمد أحمد جاد المولى،وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت،(د.ت).

[2] أنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة، ص ١٤٥ ــ ١٤٨.

[3] أبو علي، محمد بركات: في الأدب والبيان، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٩٨٤، ص١٤.

[4] انظر: العبد،محمد سليمان: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م ٩، ع ٣٦، ١٩٨٩، ص ٧٣ ــ ١١١.

[5] الزركشي: البرهان، ج ١، ص ٣٨٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جازم للفعل. بينما نجد الكلمةُ نفسها رسمتْ في موضع أخر مثبتةً الياء على الأصل، في قولـه تعالى: (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا) [يوسف: ٦٥]

ولأن إثبات الياء في " نبغي" في سورة يوسف هو الأصل فإن حذف اليـاء منهـا فـي الكهف ــ من غير علة نحوية أو صرفية ــ يثير الانتباه ويدفعنا لنلمس أثره الدلالي. وقد جاءت تعليلات لذلك، يقول الزمخشري: "وقرئ "تبغ" بغير ياء في الوصل، وإثباتها أحسن، وهي قراءة أبي عمر، وأما الوقف، فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف"[1].

ونجد ابن عاشور يفصل في القول، إذ يقول:" وكتب"تبغ" في المصحف بدون ياء فـي آخره، فقيل أراد الكاتبون مراعاة حالة الوقف، لأن الأحسن في الوقف على يـاء المنقـوص أن يوقف بحذفها. وقيل أرادوا التنبيه على أنها رويت محذوفة في هذه الآية. والعرب يميلون إلـى التخفيف.فقرأ نافع وأبو عمر والكسائي، وأبو جعفر بحذف الياء في الوقف وإثباتها في الوصل. وقرأ عاصم وحمزة، وابن عامر بحذف الياء في الوصل والوقف. وقرأ ابن كثيـر، ويعقـوب بإثباتها في الحالين....."[2].

نستشف من نصيهما أن الحذف جاء للتخفيف، وأنه يستحسن فيـه الوقـف علـى يـاء المنقوص. و لكن يبدو أن لهذا الحذف بعدا دلاليا اقتضاه السياق.إذ إن الوقـوف علـى سـياق الحذف والإثبات يفضي بنا إلى إدراك ذلك، وهو ما أشار إليه فاضل السامرائي، الـذي رأى أن اختلاف الحدث في الموضعين وراء ذلك، فنسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى علـى وجـه الحقيقة، وإنما يبغي الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه. وأما في سورة يوسف فالطعام هو ما يبغون، وهو سبب رحلتهم ففرق بين البغيتين، فلما كان ما في يوسف هو بغيتهم ذكر الفعـل كاملا ولم يحذف منه. ولما كان ما في الكهف ليس هو ما يبغون حذف الحدث إشارة إلى عـدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام، وإنما هو علامة على الموضع الذي يجدون فيه بغيتهم[3].

ورغم وجاهة ما ذهب إليه السامرائي، فإن الحذف جاء يصور التلهف المعتمل في نفس موسى ــ عليه السلام ــ لمقابلة العبد العالم، يقول فضل عباس:" إن الياء حـذفت مـن الفعـل اختصارا لتصور لنا ما يريده موسى ــ عليه السلام ــ من العجلة في السير،ثم تأتي هذه الفـاء لتكتمل هذه الصورة " فارتدا على أثارهما قصصا"[4].

---

[1] الزمخشري: الكشاف، ج٢، ص٧٠٥.
[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٣٦٨.
[3] السامرائي ، فاضل صالح : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ط ٢، دار عمار للنـشر والتوزيـع، عمـان ، ٢٠٠١م، ص٢٣-٢٤.
[4] عباس، فضل: قصص القرآن الكريم، ص ٥٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإلى ذلك كلّه؛ فإن وراء هذا الحذف والإثبات، غاية أخرى،تتمثل في المفارقة الأسلوبية التي يسعى إليها سياق المعنى في كلتا الآيتين الكريمتين؛ فالآية الأولى " بالحذف" تتبيء باكتمال الإرادة وتمام الغاية؛ بينما جاء الإثبات في الآية الأخرى؛ إشارة دالة إلى إخفاء الاستفهام وراء حالة اندهاش أخوة يوسف عليه السلام؛ فبين اكتمال المعنى وتمام الإرادة فيه، وإخفاء أثر الاستفهام؛ أثبتت الياء في الآية الثانية وحذفت في الآية الأولى، ذلك أن هذا الحذف وراء قصد الإرادة. والإثبات وراء الندب والتفجع. وهذا يعني أن هذا الاستعمال اللغوي قد يهدر أثر الاستفهام بالاعتماد على الدلالة الصوتية التي تتحول بها الجملة من خبرية إلى استفهامية.[1]

وفي سورة القمر نجد تحولا في حذف الواو من الفعل " يدع" والياء من "الداع" في قوله تعالى: (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) [القمر: ٦ــ٧] .

وحذف حرفي المد (الياء) و(الواو) ينسجم مع النهج الموسيقي المميز لسورة القمر" ذلك أن كلمات أواخر آياتها تخلو من الحروف التي يدخلها المد وهي الألف والواو واليـاء، الأمر الذي يجعل الصوت في هذه الكلمات يمكن أن نقول عنه بأنه يخطف خطفا"[2].

يقول البقاعي" وحذف واو" يدعو" للرسم بإجماع المصاحف من غير موجب لأن المقام لبيان اقترابها[3]، فكأنه إشارة إلى كونها بأدنى دعاء وأيضا ففي حذفه تشبيه للخبر بالأمر إشارة إلى أن هذا الدعاء لابد أن يكون على أعظم وجه وأتقنه وأهوله وأمكنه..."[4]،

وهو ما أشار إليه، ابن البناء المراكشي بقوله: إن الحذف يدل" على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود.....فأفاد حذف الواو سرعة الدعاء وسرعة الإجابة"[5].

وحذف الياء من" الداع" ــ من غير علة ــ يدل على أنه داع لم يألفه المدعون، إذ إنه "داع ملكوتي"[6]، في دعوته خطف للأسماع يثير الفزع، فيستجيب المدعو له من غير أن يكون له إرادة في الاستجابة.

---

[1] خريوش، حسين يوسف: مشافهة

[2] البكري، محمد وسيم : البكريات في توجيه مفردات الآيات، ص ٥٦.

[3] يقصد اقتراب يوم القيامة لأن نصوصا قبل هذا تحدثت عنها .

[4] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٧، ص ٣٤٦.

[5] ابن البناء، أبو العباس أحمد المراكشي : عنوان الدليل من رسوم خط التنزيل، ط١، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٠م، ص ٨٨-٨٩.

[6] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويمكن أن تفضي بنا هذه التعليلات ــ من خلال ما ذكر عن الحذف ــ إلى أن أفعال الآخرة، وأحداثها لا تقاس بأفعال الأولى، فهناك تغاير وتباين بين أحداث العالمين عالم الدنيا والآخرة.

ويأتي التحول الصوتي رسما وتلاوة في المتقابلتين (تستطع، وتسطع) فورد لفظ (" تستطع" بإثبات التاء الثانية ــ تاء الاستفعال ــ في قوله تعالى: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)[1].

وورد لفظ "تسطع" ــ بحذف تاء الاستفعال ــ في قوله تعالى: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)[2]. فعدم حذف التاء من الفعل الأول والعدول إلى حذفه في الفعل الثاني " لأن المقام في الآية الأولى مقام شرح وإيضاح وتبيين فلم يحذف من الفعل، وأما الآية الأخرى، فهي مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها، بكلمة وفارقه فحذف من الفعل "[3] فكأنما فض الأمر يستوجب لفظة سريعة محذوفة منها حرف (التاء) وحرف المد(الياء): فالجزم النحوي وراء حذف (الياء). أما حذف (التاء) فوراؤها الجزم النصي! لذلك جاءت تسطع لتكون نهاية باترة للمحادثة"[4]،

ونذهب ــ وإن كان الحذف يتسع لأكثر من وجه ــ مع (صلاح الخالدي) الذي كشف بحسه اللغوي، أن وراء الإثبات والحذف ملحظاً نفسياً، فإثبات التاء في الآية الأولى: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) جاءت لتناسب الثقل النفسي الذي كان موسى ــ عليه السلام ــ يعيشه في خضم حيرته في تأويل الأحداث وتعليلها، وأن حذف التاء في الآية الثانية: (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) جاء لزوال الهم الذي سيطر عليه، والثقل النفسي الذي عاشه. فقد لاحظ السياق زوال الثقل النفسي فحذفت التاء من الفعل "تسطع" لتشارك التخفيف النفسي عند موسى، بخفه في حروف الفعل[5].

ويبرز التحول الصوتي في **زيادة صوت** في المبني، إذ نجد لفظة ترد في سياق مجردة بينما ترد في سياق مزيدة، وهذه الزيادة أتت لدلالة قصد إليها السياق

---

[1] الكهف : ٧٨.

[2] الكهف: ٨٢.

[3] السامرائي، فاضل صالح :بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٩.

[4] الطراونة، سليمان: دراسة نصية (أدبية) في القصص القرآني، ص ١٥٥.

[5] انظر: الخالدي، صلاح : لطائف قرآنية ، دار القلم ،ط١، دمشق، ١٩٩٢م، ص، ٥٣-٥٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لأنه "إذا أضيف للكلمة صوت أو حذف منها صوت فإن ذلك يؤدي إلى تغير في معناها تبعا لهذا التغير الصوتي "[1]. ومن ذلك فعل "اصبر" و" اصطبر" فلفظ "اصبر" جاء في قوله تعالى: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ)[2]وورد لفظ "اصطبر" في سورة القمر،في قوله تعالى: (إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ)[3].

نلحظ أن العدول الصوتي تمثل بزيادة "تاء " الافتعال في اصطبر إذ إن اصبر من صَبَرَ على وزن "فَعَلَ" واصطبر على وزن " افْتَعَلَ" فنجد أن افتعل فيها زيادة في المبني، والزيادة في المبني زيادة في المعنى .

وإذا ما تأملنا في السياقين أدركنا سر هذا التحول، فالسياق في سورة القلم جاء لوعظ الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتوجيهه بالصبر ، " والصبر حبس النفس عند الجزع[4].والصبر هنا لحكم ربه " والمؤمن لا يقهر نفسه على حكم ربه،بل يحبس نفسه راضيا، فناسب هذا المعنى تركيب الفعل مع حرف الاختصاص"[5]، فلا داعي للمبالغة في الصبر .

أما السياق في القمر نلحظ فيه ترقبا للعذاب، وذلك أن قوم صالح بلغوا من التعنت والصلف والإيذاء حدًا لا يطاق، فأمرالله نبيه(صالح) بالصبر عليهم،لأن العداء سيكون أشد حتى بعد إرسال الناقة (المعجزة)، والذي انتهى بعقرها. ومطلوب في مثل هذا المقام مزيد من الصبر، فعبر عنه بزيادة صوت في" اصطبر"، والاصطبار: الصبر القوي وهو أقوى دلالة من الصبر لأن تاء الافتعال تدل على المبالغة في قوة الحدث، وقد قصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في إيقاع فعل الاصطبار.

ومن صور التحول الصوتي **ظاهرة الإبدال**، التي تأتي " لعلل صوتية باهرة، تتمخض عنها معان ودلالات مدهشة تتناسب مع السياق..."[6]

وفي مادة الدراسة نوعان من الإبدال: الأول ظاهرة **الإبدال بالإدغام**، ككلمة (أدارأتم)، والثاني إبدال حرف مكان حرف أخر في مفردة، وردت في سياقات مختلفة كلفظة (دحاها ــ طحاها).

---

[1] عوض، فريد حيدر: علم الدلالة، ص ٣٠.
[2] القلم: ٤٨.
[3] القمر: ٢٧.
[4] الرازي: مختار الصحاح، مادة (صبر).
[5] داود، محمد محمد: القرآن الكريم وتفاعل المعاني: دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم، ج٢، دار غريب، ٢٠٠٢، ص٧٢
[6] بني دومي، خالد : دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص ١٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فكلمة(ادّارأتم) في قوله تعالي: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)[1].

يستبدل فيها الأسلوب صفة الصوت بصفة أخرى لأن البديل يعبر عن أثر معين، إذ إن أصل " ادّارأتم " "تدارأتم"، يقول السمين الحلبي " وأصل ادارأتم تدارأتم (تفاعلتم) من الدرء وهو الدفع، فاجتمعت التاء والدال وهي مقاربتها[2] فقلبت التاء دالا وسكنت لأجل الإدغام، ولا يمكن الابتداء بساكن فاجتلبت همزة الوصل لتبدأ بها، فبقى ادّارأتم، والأصل (ادّدارأتم)فأدغم..."[3] .

وبهذا نجد أن التحول الصوتي تمثل بالعدول عن الفك (تدارأتم) إلى الإدغام(ادّارأتم). إذ استبدل الأسلوب همس التاء بالجهر، فتحول التاء إلى دال ثم أدغمت الدال في الدال فكانت النتيجة دالا مشددة، فدل التشديد مع قوة جرس الدال على تصوير شدة الاختلاف وقوته، " وكأن الكلمة القرآنية هنا تبين أن خلاف القوم لم يكن هينا، وإنما بلغ من العنف درجة لا تفي بتصور مداها إلا كلمة (ادارأتم) بجرسها المعبر عن الغرض أدق تعبير "[4].

يقول أبو حيان: " ويحتمل هذا التدارؤ وهوالتدافع أن يكون حقيقة، وهو أن يدفع بعضهم بعضا بالأيدي لشدة الاختصام ويحتمل المجاز أن يكون بعضهم طرح قتله على بعض فدفع المطروح عليه ذلك إلى الطارح أو بأن دفع بعضهم بعضا بالتهمة والبراءة "[5].

ونأتي إلى التحول في **إبدال حرف مكان أخر** كالإبدال بين "دحاها" و"طحاها" في سياقين مختلفين ــ ضمن مادة البحث ــ إذ وردت لفظة "دحاها" في سورة النازعات:(وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)[6]. ووردت لفظة"طحاها في سورة الشمس: (وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا)[7].

ولفظ "دحا" ــ في المعجم ــ مثل "طحا" ومعناه بسط[8].قال الليث :" الطحو كالدحو وهو البسط وإبدال الطاء من الدال جائز، والمعنى وسعها"[9]. لو أننا قارنا بين السياقين، لوجدنا أن

---

[1] البقرة : ٧٢.
[2] قوله "مقاربتها " يقصد أن مخرج التاء قريب من مخرج الدال ، وهو ما قاله الطبري، ج ١، ص ٤١١. والصحيح أن التاء والدال من مخرج واحد، فهما من أطراف الثنيتين وليس بينهما من فرق إلا في كون الدال مجهورا والتاء مهموسا، انظر: سمير استيتية : رياض القرآن : تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي، عالم الكتب الحديث، اربد ، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٨٢.
[3] السمين الحلبي: الدر المصون، ج١، ص ٤٣٥.
[4] العثمان، بدرية بنت محمد بن حسن: من بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض السعودية ، ط١، ١٤١٧. ص ٢٣٤.
[5] الأندلسي، أبو حيان : البحر المحيط ، ج١،ص٤٢٤.
[6] النازعات: ٣٠-٣٣.
[7] الشمس: ٦. وردت في سياق يتحدث عن عقر ناقة صالح .
[8] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح ، مادة (طحا).
[9] الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير، ج ٣١، ص ١٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدال في "دحاها" قد تحول إلى طاء في طحاها و لا فرق بينهما إلا في التفخيم، فلو فخمت الدال لصارت طاء .

"ومعنى ذلك أن العنصر الذي طرأ على الفعل "دحاها "عندما ورد في سورة الشمس هو التفخيم، فما دلالة التفخيم هنا؟ لو نظرنا بين السياقين لوجدنا في سورة النازعات سياق "إثبات " مجرد، وما في سورة الشمس " قسم" ولا شك أن للقسم تأكيدا ليس له مثيل في الإثبات ،فإذا سلمنا بهذا الفرق بين السياقين أدركنا أن التفخيم الذي في "طحاها" جاء لمناسبة ما في القسم من تأكيد بل إنه جاء ليضيف إلى القسم فضل تأكيد أي ليدل على مبالغة في إيقاع الحدث"[1].

ويمتد العدول الصوتي فيشمل **العدول في الحركات**، إذ نجد عدولا عن صوت حركة إلى أخرى كما في قوله تعالى: (وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)[2]، فيتمثل العدول بضم (الهاء) في (أنسانيهُ) ويندر هذا في القرآن ولا مثيل له إلا موضع واحد في قوله تعالى: (ومن عاهد عليه الله)،مع أن المشهور في نحو هذا كسر الهاء. وبعيداً عن القبائل الناطقة بمثل هذا.[3] نقف على العدول وسببه، كظاهرة أسلوبية. وقبل الوقوف يجب أن نشير إلى حقيقة لغوية اتفق عليها علماء اللغة قديما وحديثا،[4]وهي أن الضمة أقوى الحركات وأثقلها، لأن النطق بها يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة.[5]

فندرة هذا التعبير، والعدول من الحركة الأخف(الكسر) إلى الحركة الأثقل (الضم) يقودنا إلى الكشف عن سر هذا العدول ،وذلك بربطه بالسياق.

فالشي المنسي في (أنسانيه) هو السمك الذي تزوده سيدنا موسى وفتاه، والظاهر من سياق الآيات أنه كان مشويا بدليل: (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) وفيه أمران كل منهما يدعو إلى العجب الأول عودة الحياة إليه، والثاني طريقة جريانه في البحر، جاء في (روح المعاني) في قوله : (فاتخذ سبيله في البحر سربا)، "أي مسلكا كالسراب، وهو النفق. فقد صح عن الشيخين والترمذي والنسائي وغيرهم، أن الله تعالى أمسك عن الحوت جريه الماء،

---

[1] حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، دراسات لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣، ص ٢٨٩-٢٩٠.

[2] الكهف : ٦٣.

[3] ورد في شرح الرضي على الكافية، ج٢، ص١١:" وحركة(هاء) المذكر ضمة إلا أن يكون قبلها ياء أو كسرة فإن كان قبلها أحدهما، فأهل الحجاز يتبعون ضمتها ويقولون(بهوْ)، وغيرهم يكسرونها" نقلاً عن: السامرائي، فاضل: بلاغة الكلمة، ص١١٤.

[4] السامرائي، فاضل صالح: بلاغة الكلمة، ص١١٤.

[5] الأزهري، خالد بن عبدالله: شرح التصريح على التوضيح، ج١، دار إحياء الكتب العربية، د ن، د ت، ص ٥٨ــ ٥٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فصار عليه مثل الطاق. والمراد به: البنـاء المقـوس كـالقنطرة"[1]، والاسـتفهام فـي قولـه: (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة)" تعجب مما وقع له من النسيان هناك مع كون ذلك الأمـر لا ينسى لأنه قد شاهد أمراً عظيمًا من قدرة الله الباهرة "[2]، ومثل هذا لا ينسى على مر الأزمـان، فكيف ينسى بهذه السرعة،" فإن هذا من أقوى مواطن النسيان وأغربها وأعجبهـا، فعـدل فـي التعبير من الكسر إلي أقوى الحركات وهي الضمة للإشارة إلى ندرة مثل هذا النسيان وقوتـه، فناسب بين قوة النسيان وقوة التعبير، وندرة مثل هذا النسيان وندرة مثل هذا التعبير"[3].

جاء في روح المعاني: "وضم حفص الهاء في (أنسانيهُ) وهو قليـل فـي مثـل هـذا التركيب قلة النسيان في مثل هذه الواقعة ... وفي إتيان أن والفعل على المصدر نـوع مبالغـة لا تخفى"[4] .

ومثل هذا التحول الصوتي، التحول عن كسر الهاء إلـى الـسكون فـي "ألقـه" فـي الآيـة: (اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)[5]،

ولهذا التحول دلالة إذ إن كسر الهاء فيه استطالة واستغراق للزمن، وهو ما لـم يـرده السياق فعدل إلي السكون لأن " فيه دلالة على السرعة .."[6] في نبذ الرسالة مع الترقب والحذر.

وأما المحور الثاني من هذا المستوى الصوتي فهو جرس الصوت، ومحاكاته للمعنـى، وهو موضع هام دقيق، تنبه إليـه العلمـاء ــ كمـا ذكرنـا ــ فـي القـديم والحـديث ذلـك " أن الأصوات تختلف قوة وضعفا، وتتباين في أجراسها ورناتها ويتبع ذلك اختلاف الألفاظ التي تتكون منها في وقعها على السمع، وفي دورها في أداء الدلالة، وفي إثارتها لانفعالات خاصة. فالأصوات القوية تناسب موقف الشدة والزجر والتعنيف، والأصوات اللينـة الهادئـة الجـرس تناسب حالات الرخاء والهدوء والارتياح.."[7].

وهذه المحاكاة، قد تأتي على مستوى الكلمة المفردة، إذا اشتملت على صوت أو أكثـر يحاكي الحدث، وتعرف باسم المحاكاة الأولية .. وربما امتدت المحاكاة إلى جزء مـن الـسياق وتوزعت على عدد من مفرداته، بحيث تصور ــ في مجموعها ــ الحدث تصويرا عاما، وتكون ــ إذ ذاك ــ كالموسيقى التصويرية المصاحبة لذلك الحدث . ويعرف هذا النوع باسم المحاكـاة

---

[1] الألوسي: روح المعاني، ج ١٥، ص ٣١٥.
[2] الشوكاني: فتح القدير، ج ٣، ص ٣٠٣.
[3] السامرائي: فاضل صالح: بلاغة الكلمة ، ص ١١٨.
[4] الألوسي: روح المعاني، ج ٢٥، ٣١٨.
[5] النمل: ٢٨.
[6] داود، محمد أحمد: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ص ٣٤.
[7] بني دومي، خالد: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، ص : ١٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثانوية، ويعد هذا النوع ــ على مستوى الأداء الفني ــ أعمق أثرا وأدل على جماليات الاستخدام لعدم مباشرته وانتشاره في وحدات السياق"[1].

وفي مادة الدراسة وقع النوعان السابقان من المحاكاة على مستوى المفردة،وعلى مستوى السياق. فمن المفردات التي تحاكي، طبيعة الحدث بتشكيلاتها الصوتية: " ننشزها" و"يحطمنكم" .

وردت " نُنشِزها " في قولة تعالى: (وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ٢٥٩]

"فننشزها" من "النشيز، وهو ما ارتفع من الأرض، ومعنى أنشز الشي جعله ناشزا، أي مرتفعا"[2]،

ونشز العظام ارتفاعها وهي تتضام بعضها إلى بعض حتى تصبح هيكلا واقفا[3]. وهذا التضام الذي تتراكب فيه تلك العظام، ينقل قعقعتها التشكيل الصوتي لبنية "ننشزها" إذ يحاكي جرسا (النونين) في المقطع "ُن" صوت تصادم العظام أثناء التقائها، وجرسا (الشين والزاي) بصفيرهما يحاكيان شد العظام بما فيها من صفير. ويأتي المقطع الأخير "ها" يصور ــ بانفتاح الفم وارتفاعه،أثناء نطق (الهاء والألف) ــ الارتفاع النهائي للهيكل العظمي واستوائه.

وفي "يحطمنكم" التي وردت في قوله تعالى: (..يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[4]. عبر القرآن عن الهلاك بلفظ "حطم" وعدل عن لفظ "مزق" .. مع أن التحطيم لا يقال إلا للشيء الذي يتكسر تكسيرا وليس تمزيقا أو ذوبانا كالزجاج مثلا[5]،يقول البقاعي : "لا يحطمنكم" أي يكسرنكم و يهشمنكم"[6].

فكشف العلم الحديث عن سر التعبير بلفظ (يحطم)، وأفاد أن النملة تنتمي إلى رتبة من الحشرات تسمى (غشائية الأجنحة) والتي يتكون جسمها مما يشبه الألواح الزجاجية، وعند

---

[1] العبد، محمد السيد سليمان: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص: ٧٧.
[2] الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ج٢، ص: ٢٩٧.
[3] استيتية سمير: رياض القرآن : تفسير في النظم القرآني نهجه النفسي والتربوي ، جدار لكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث ، ط ١، عمان + اربد ، الأردن، ٢٠٠٥، ص ٧٢٠.
[4] النمل: ١٩.
[5] اللؤلؤ المنثور: من أسرار مجتمع النمل، مجلة آيات، العدد ٣٤، السنة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ٣١.
[6] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١، ص ٤١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الضغط عليها بشدة تسمع تحطم أجسامها بوضوح[1]، والتشكيل الصوتي لـ (يحطمنكم) يحاكي حدث التحطيم الذي تصورته النملة، ففي الوهلة الأولى لوضع القدم على الأغشية الزجاجية للنملة يصدر صوتا يحاكيه جرسا الحاء والطاء، "وصوت(الميم) الذي تلتقي فيه الشفتان يحاكي ضغط القدم الذي يرافق تحطم الأغشية الزجاجية، فيتبعه جرس النون المشددة التي تلتصق اللسان ــ أثناء نطقها ــ باللثة بشدة، يحاكي شدة الوطء الواقع على أجسام النمل، حتى تلتصق بالأرض، ويأتي "الميم" الساكن في المقطع الأخير "كم" الذي فيه تلتقي الشفتان التقاء تاما، يحاكي إتمام فعل التحطيم والهلاك.

ولفظ "زقوم" في قوله تعالى: (لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ. فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ .فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ. فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ)[2]. تحاكي المعنى بواسطة الجرس، فمعنى الزقوم: " هو ما يكره تناوله،جاء في البحر المحيط أنه "شجرٌ خشن مر منكر الصورة"[3]، وقد عدد الرازي صفات كريهة اجتمعت فيه فيقول إن: "في الطعم مرا وفي اللمس حارا وفي الرائحة منتنا، وفي المنظر أسود لا يكاد آكله يسيغه فيكره على ابتلاعه"[4] .

وتلك المعاني ــ بما فيها من كره في الاستساغة وجهد في البلسع ــ يحاكيها جرس اللفظة، يقول قطب :" إن لفظ (زقوم) نفسه يصور بجرسه ملمسا خشنا شائكا مدببا يشوك الأنف بله الحلق"[5] " فالزاي "رخوة احتكاكية والقاف شديدة انحباسية " وتواليهما يوحي بتكلف إدخال اللقمة محتكة بالفم "[6].. ثم إن في الواو والميم من طول الأولى وإطباق الشفتين في الثانية" انطباقا تاما يحبس الهواء ــ عند النطق به ــ حبسا تاما في الفم "[7] يلائم اختناق آكل الطعام وانسداد حلقومه "[8].

كما أن في "تشديد القاف إطالة اتصال الأعضاء في مخرجها مما يوحي ببقاء اللقمة محتبسة في الحلقوم مدة طويلة قبل الإساغة وبخاصة إذا لحق بطول التشديد طول المد الذي في الواو من الزقوم"[9].

---

[1] اللؤلؤ المنثور: من أسرار مجتمع النمل، ص ٣١.
[2] الواقعة :٥٢-٥٥.
[3] الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ج٧ ،ص ٣٤٨.
[4] الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير، ج ٢٩، ص ١٧٥.
[5] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٤٦٥.
[6] حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٢٦.
[7] بشر، كمال: علم الأصوات، دار المعارف، ط١، القاهرة، ص ١٦٧.
[8] يا سوف، أحمد : جماليات المفردة القرآنية، ص ٢٢٦
[9] حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ص ٣٢٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويبرز في المفردة صوت أكثر من غيره يحاكي المعنى بجرسه كالطاء في كلمة (طغواها) في الآية (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا)[1]،والطغوى: "اسم مصدر يقال طغا طغوا وطغيانا"[2]،"وهو مجاوزة القدر وارتفاعه والغلو في الكفر والإسراف في المعاصي والظلم"[3]، واختير التعبير به دون اليائي لقوة الواو، فافهم أنهم بلغوا النهاية في تكذيبهم[4] .

وهذا التجاوز في الطغيان وبلوغه النهاية يرسمه الطاء بتفاعله مع بقية مقاطع الكلمة الثلاث (طغ ــ وا ــ ها)، إذ " أنه من أقوى الحروف لأنه مجهور شديد منطبق مستعل، وهذه العلامات كلها من علامات قوة الحرف ..."[5] وقوة الجرس في إطباقه مع العين " تملأ الفم،وتنزع المنطوق لشدته وثقله، وهذا يحاكي دال الطغيان وتماديه"[6].

وفي (نفشت) في قوله تعالى: (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ)[7]، نجد فيها جرس الشين يحاكي المعنى.إذ معنى نفشت: أي تفرقت وانتشرت"[8]. والنفش الانتشار ليلا بدون راع "[9]. والشين: مهموسة رخوة فيها تفش "[10] فاستطاعت بهذه الصفة أن تصور تصورا تقريبيا تفشي الغنم، وما تحدثه من صوت في انتشارها في الزرع واحتكاكها به. كما أن (التاء) الساكنة التي تشكل معها المقطع الأخير (شَتْ) تمثل ضرب أظلاف الغنم بالأرض في أثناء حركتها .

ويحاكي (الدال والميم) المعنى بجرسيهما في كلمة (دمدم) في الآية: (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)[11] و"دمدم" يراد بها صوت الصاعقة والرجفة التي أهلكوا بها وقال أكثر المفسرين: دمدم عليهم أطبق عليهم الأرض، يقال: دَمَمَ عليه القبر، إذا أطبقه ودمدم مكرر دمم للمبالغة مثل كَبْكَبَ..."[12]

---

[1] الشمس : ١١.
[2] ابن عاشور، الطاهر: التحرير التنوير، ج٣٠، ص ٣٧٢.
[3] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٨، ص ٤٤٢.
[4] المرجع نفسه، ج ٨، ص ٤٤٢.
[5] القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب : الرعاية لتجويد القراءة، تحقيق لفظ التلاوة ، تح أحمد حسن فرحات ، دار عمار، عمان ، ط٣، ١٩٩٦م، ص ١٩٨.
[6] الراغب، عبد السلام: الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص ٣٨٩.
[7] الأنبياء : ٧٨.
[8] الشوكاني : الفتح القدير، ج٢، ص٦٩٨.
[9] ابن سيده : المخصص، ج ٧، ص ٨٤.
[10] القيسي، محمد مكي: الرعاية لتجويد القراءة، ص ١٧٥.
[11] الشمس : ١٤.
[12] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٣٠، ص ٣٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والدال حرف قوي لأنه مجهور شديد كالطاء"[1] يحاكي بقوة جرسه قوة الرجفة وشدتها،و"الميم" حرف ثقيل مضغوط يشد عضلات الفم كلها"[2] يحاكي بثقله وانطباق الفم عند نطقه ضغط الأرض وإطباقها. وتكرار الدال مع الميم وتتابعهما يوحي بتكرار حدث الرجف والإطباق وتتابعه والمبالغة فيه.

ونلحظ في الحركات محاكاة على مستوى الكلمة، من ذلك الضمة تحاكي المعنى في كلمة " نُكُر" في الآية: (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ)[3]

ومعنى "نكر" أي منكر فضيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة"[4]، فتكرهه النفوس "وما يكرهه المرء يشعر بثقله عليه، وعلى نفسه، وهو هنا صفة ووزنه قليل في الصفات"[5] على وزن "فُعُل" وهو قليل في كلام القوم "[6]

فندرة التعبير ببنية "فُعُل" ناسب ندرة ذلك اليوم الذي لم يعهد بمثله. والضمة من أثقل الحركات جاءت في " نُكُر" تحاكي كراهيته وثقله وتواليها على الكاف والنون يوحي بتوالي الاستكراه وثقله .

ويمتد أثر الجرس الصوتي في الدلالة على مستوى السياق، إذ يكرر فيه صوت معين له القدرة على الإيحاء بالمعنى ومحاكاته،وهو ما نسميه بالمحاكاة الثانوية. من ذلك قوله تعالى: "(وَجِئْتُكَ مِنْ سبأ بنبأ يَقِينٍ)[7]

يظهر جرس الصوت في تكرار كل من الهمز والباء ثلاث مرات " وهذا الجرس يحاكي دلالة السياق ويناسب قوة النبأ وخطورته، الذي راع الهدهد وصدعه. فتمكنت الهمزة والباء من تصوير حالة الهدهد وموقفه

فالهمز بعيد المخرج ومن أشق الحروف وأعسرها حين النطق بها لأن مخرجها فتحة المزمار،ويحس المرء حين ينطق بها كأنه يختنق"[8]،يقول الخليل:" إنها كالتهوع"[9] وهي بهذا تحاكي ــ بتكرارها ــ الغيرة التي ملأت جوف الهدهد حتى كادت تخنقه،عندما راعه وصدعه

---

[1] القيسي، أبو محمد: الرعاية، ص ٢٠١.
[2]. الجيوسي، عبد الله: التعبير القرآني والدلالات النفسية، ص١٢٥.
[3] القمر:٦.
[4] أبو السعود: إرشاد العقل السليم،ج٨، ص١٦٨.
[5]ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٧، ص١٧٧.
[6] الهمذاني، حسين بن أبي العز: الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج٤، دار الثقافة ، الدوحة، (د ت)، ص٣٩٢.
[7] النمل:٢٢.
[8]أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨، ص٢٨.
[9] انظر: القيسي: الرعاية، ص ١٣٤.وتَهوّع، بمعنى تَقيّأ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

انحراف ملكة سبأ وقومها عن العقيدة الصحيحة. والباء شفوي شديد مجهور[1]، يحاكي بجرسه أثر الغيرة والغضب على ملامحه الخارجية، في حركة واضطراب شفتيه عند تكرار النطق بها. واجتماع الهمز والباء يوحي ببلوغ الغيرة الذروة، إذ تلبست به وشملته فتجاوب داخله مع خارجه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

نلحظ تكثيفا للقاف إذ تكرر هنا أربع عشرة مرة، وهذا الحرف كما يقول مكي بن أبي طالب: "حرف متمكن قوي لأنه من الحروف الشديدة المستعلية "[3] وهو بهذا كله يصور بجرسه المكرر شدة توتر الموقف، بين الذات المؤمنة والذات الكافرة بما فيه من ارتفاع شديد للأصوات، ومطاحنة ومشادة بلغت ذروتها وانتهت بإقدام الذات الكافرة على قتل الذات المؤمنة.

ونأتي إلى أصوات تتكرر بتكرر الصيغة كتكرر مفردة " القارعة" في الآية: ﴿الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ. يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[القارعة: ١-٤].

والقارعة في اللغة "هي أي شئ صلب تقرع به على شئ صلب محدث صوتا"[4] ومدلولها الاصطلاحي هنا "هي يوم القيامة "[5] وسميت بذلك لأنها "ستقرع الدنيا كلها"[6] والمفردة تلتقي بجرسها وظلها بدلالة السياق، يقول قطب:" لقد بدأ بإلقاء الكلمة بظلها وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب ! ثم أعقبها سؤال الترهيب: ما القارعة ؟ فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش والتساؤل ثم أجاب بسؤال التجهيل : وما أدراك ما القارعة ! فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك، وأن يلم بها التصور! ثم الإجابة بما يكون فيها، لا بماهيتها فماهيتها فوق الإدراك والتصور، كما أسلفنا : يوم يكون الناس كالفراش المبثوث"[7].

---

[1] أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص٤٣.
[2] المائدة : ٢٧-٣٠.
[3] القيسي، أبي محمد مكي : الرعاية ، ص ١٧١.
[4] الشعراوي، محمد متولي : المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، ج١، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٨٣.
[5] أبو السعود : إرشاد العقل السليم، ج٩، ص ١٩٢.
[6] الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن، ص ١٨٤.
[7] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج ٦، ص٣٩٦٠ ــ ٣٩٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي تكريرها، وهي على وزن فاعلة فيه تشنيف للأذان، وتناسب مع الإيقاعات المزلزلة، فالدقات أشبه ما تكون بالرعد، والإيقاع أشبه بالقصف[1]، ذلك أنها تحمل جرسا قويا وضربات حادة. ويتمثل قوة الجرس وثقلة بحرف القاف، إذ هو ـ كما ذكرنا ـ حرف انفجاري قوي، ومن "أثقل الحروف نطقا"[2]. يلتقي بقوة انفجار يوم القيامة وثقله. والعين صوت حاد يحاكي حدة الانفجار، وتكرار جرس القاف والعين، بتكرار صيغة (القارعة) يوحي بالمبالغة في هول القرع وثقله وحدته. والراء من الأصوات المكررة [3]، يدل بتكراره على تكرار القرع وتتابعه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] الجيوسي، عبد الله محمد: التعبير القرآني والدلالات النفسية ، ص ١٤٠.
[2] لاشين، عبدالفتاح : من أسرار التعبير في القرآن ، حروف الجر، عكاظ، للنشر والتوزيع الرياض، السعودية، ط ، ١٩٨٣م، ص ٣٧. والسبب أنه من أثقل الحروف، لأنه يستدعي في نطقه جهاز الكلام كله، الحلق واللسان، والشفتين ليشتركوا في حملها واخراجها.
[3] ستيتة، سمير : الأصوات اللغوية ، ص ١٥٦.

المبحث الثاني

تحولات سياقية

يتناول هذا المبحث التحولات الأسلوبية السياقية في الصورة مادة الدراسة، ونقصد بهذه التحولات "عدول وحدة لغوية عن المعيار الممتد في النص"[1]أو بعبارة أخرى: " انفصال وحدة لغوية ذات انتشار محدود عن القاعدة المسيطرة على النص في جملته"[2]. ويحدده البعض بأنه " نموذج لغوي ينكسر بعنصر أسلوبي غير متوقع، والتضاد الناجم عن هذا الاختلاف هو المثير الأسلوبي "[3] .

وبهذا فإن السياق "هو الأصل أو القاعدة التي يعدل عنها الأسلوب مخالفا السياق لنكتة بلاغية، أو غرض بلاغي نطابق به مقتضى الحال، وتتحقق به المعاني الفنية المطابقة التي هي غاية البلاغة"[4] ذلك أن " كل عدول من تعبير إلى تعبير لابد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى"[5] .

ولهذا التحول قيمة فنية إذ يعد "تفننا في الكلام وتصرفا فيه يكسب النص قيمة جمالية وينبه إلى أسرار بلاغية كثيرة"[6] وهو من فنون التواصل بين المبدع والمتلقي، لأنه يبرز " إمكانات المبدع في استعمال الطاقة التعبيرية الكامنة في اللغة"[7] لإيصال رسالته إلى المتلقي بكل ما فيها من قيم جمالية، فيعدل الأسلوب عن نمط الأداء المألوف المعتاد، ليحقق ما يريده من أهداف يعجز عن توصيلها التركيب العادي"[8].

كما أنه يقطع رتابة النص بما يضفيه من ثنائية ضدية تثير دهشة المتلقي وتلفت انتباهه " وذلك بكسر أفق التوقعات لدى المتلقي من خلال حركة التراكيب في موضعها"[9] " وتحورها تحورا غير مألوف يبرز دلالة فيها كثير مما لا يتوقعه المتلقي"[10] ويسهم في تفاعل المعاني وتوالد الدلالات .

---

[1] حماسة، محمد عبد اللطيف: منهج التحليل النصي للقصيدة، مجلة فصول، م١٥، ع٢،(صيف ١٩٩٦ م)، ص١١٢.
[2] (م.س)، ص١١٢.
[3] فضل، صلاح:علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته،ط١، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٥، ٢٩٣.
[4] هند اوي، عبد الحميد: الإعجاز الصرفي، ص١٥٩.
[5] السا مرائي، فاضل: معاني النحو، ج١الرعاية لتجويد القراءة، ص٩.
[6] البحيري، أسامة: تحولات البنية في البلاغة العربية، ط١، دار الحضارة، مصر، ٢٠٠٠م، ص٣٥٦.
[7] عبد المطلب، محمد: جدلية الإفراد والتراكيب في النقد العربي القديم، القاهرة، ١٩٩٥، ص١٨٨.
[8] البحيري، أسامة: تحولات البنية في البلاغة العربية، ص٢٩٣.
[9] الهتاري، عبد الله: العدول السياقي النحوي،(رسالة دكتوراه)، جامعة اليرموك،كلية الآداب، قسم اللغة العربية،٢٠٠٤،ص٣١.
[10] عبد المطلب، محمد: جدلية الإفراد والتراكيب في النقد العربي القديم، ص١٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي مادة الدراسة نلحظ صورا متعددة لهذا التحول، نقف على أبرزها لكشف أبعادها ودلالاتها.

من هذه الصور **المغايرة بين الأفعال**، المتمثلة في أزمنة الفعل، كالتحول عن الماضي إلى المضارع، وفي هذا يقول ابن الأثير: " وأعلم أن الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي"[1]

ورد هذا التحول في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ.تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل:٣ ــ ٥].

نجد السياق هنا يتحدث عن الماضي، فعبر عنه بالزمن الماضي " أرسل" وعندما وصل إلى حدث الرمي تحول إلى المضارع "ترمي" ليولد دلالتين: دلالة سياقية متمثلة في الإشارة إلى الزمن الماضي بالعطف على الماضي أو مجيئه بعده، ودلالة نحوية متمثلة في الفعل المضارع الدال على الزمن الحاضر أو الاستقبال فالدلالة السياقية تقتضي مضيه والدلالة النحوية للصيغة تقتضي"استحضار تلك الصورة البديعة"[2] "بحيث تخيل للسامع كالحادثة في زمن الحال"[3]. كما أن استمرار دال الفعل الحال "ترميهم" يوقظ الحس إلى هذه الخارقة العجيبة، ويولد شعورا بإمكانية استمرار مشهد العذاب وتحققه في المستقبل، مما يجعل المتلقي يحترس مما يدعو إلى تحقق وقوعه.

وفي قوله تعالى: (إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) [النمل: ٢٣-٢٤].

نلحظ - أيضا- تحولا من الزمن الماضي إلى الحاضر، إذ نجد الزمن الماضي يسيطر على النص بتساوق الصيغ الدالة عليه (وجدت، وجدتها،زين، فصدهم) بينما نجد تغايرا عن هذا النسق في حدث السجود بالتعبير عنه بصيغة الحاضر (يسجدون). ذلك لأن فيها استحضارا لمشهد الانحراف (السجود للشمس)، فلم يفارق ــ لفظاعته ــ ذهن الهدهد ومخيلته، إضافة إلى

---

[1] ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج٢ ، تح : أحمد الحوفي وبدوي بطانة، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٩٤.

[2] الألوسي: روح المعاني، ج ٣، ص ٢٣٧.

[3] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٥٥٠

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ما في هذه الصيغة من دلالة على استمرار انحرافهم في المستقبل " ولو تكلم بصيغة الماضي "سجدوا" لأفاد تحققه في الماضي دون الحاضر فلا يحقق مفهوم الإدانة لهؤلاء"[1] أمام النبي سليمان عليه السلام.

ويمتد التحول في الأزمنة فيشمل التحول من الماضي إلى الأمر، فيمثل الفعل الماضي في هذه الحالة (جملة خبرية) في حين يمثل الأمر (جملة إنشائية طلبية) "والعدول عن الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي يهدف إلى تحقيق أغراض بلاغية تتوزع على الوظيفة الانفعالية(المتكلم) والوظيفة الافهامية (المتلقي) كدلالة الرضا بالواقع الصياغي حتى كأنه المطلوب تحققه في الواقع بالفعل"[2].

من ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(٦٥)فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)[البقرة: ٦٥-٦٦].

نجد أحداث السياق قد حصلت في الزمن الماضي، بقرائن لفظية: (ولقد علمتم"، و"اعتدوا"،و "فقلنا"،و"فجعلناها")، فالمسيطر على السياق هو الزمن الماضي، ولكن السياق تحول عنه إلى الأمر بقوله: " كونوا قردة"، لأن في الأمر " كونوا " شداً للانتباه بالتحول الحاصل في السياق، وفيه دلالة على سرعة تحول الحدث وإظهار القدرة[3]. قال أبو حيان: "فقلنا لهم" "كونوا" أمر من الكون، وليس بأمر حقيقة، لأن صيرورتهم إلى ما ذكر ليس فيه تكسب لهم، لأنهم ليسوا قادرين على قلب أعيانهم قردة بل المراد منه سرعة الكون على هذا الوصف، كقوله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) [يس: ٨٢]. ومجازه أنه لما أراد منهم ذلك صاروا كذلك"[4]

إذ بذواتهم " قد انفعلت لهذا الأمر الإلهي على وجه السرعة فانمحت معالم البشرية والإنسانية منهم ليصبحوا مسخا حقيقيا حاصلا فيهم، ففي الأمر دلالة على قوة إيقاع الحدث وتحققه لا يكون في الماضي في ما لو كان السياق على نحو " فجعلناهم قردة خاسئين "، لأن الأمر يدل على شدة غضب الجبار عليهم، وصدور الأمر منه على وجه السرعة والقوة " [5]

---

[1] سعد، أمير فاضل: غرائب الصورة في القرآن الكريم، ص ١٦٤.
[2] البحيري، أسامة : تحولات البنية، ص ١٣٢.
[3] النيسا بوري: تفسير غرائب القرآن، ج١، ص٣٠٥.
[4] أبو حيان : البحر المحيط، ج١، ص٢٤٦.
[5] الهتاري، عبد الله : العدول السياقي النحوي، ص٧٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي قوله تعالى:(لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) [الحج: ٢٨].

حصل العدول في هذا السياق عن المضارع (ليشهدوا، ويذكروا) إلى الأمر (فكلوا، وأطعموا)، ولو جاء السياق على أسلوب واحد لقال(ليشهدوا ويذكروا ويأكلوا ويطعموا).

فأفاد العدول إلى الأمر، التنبيه؛ لإباحة الأكل من الهدي وتوكيده في نفوس المتلقين " لإزاحة ما كانت عليه الجاهلية من التحرج فيه أو للندب إلى مواساة الفقراء ومساواتهم "[1]، وحقهم فيه، ويعزز ذلك ما في السياق من تحول آخر يتمثل بتحول ضمير الغياب في المضارع إلى الخطاب في (الأمر)، وما في هذا من زيادة في التنبيه، يلتقي بدلالة التحول إلى الأمر.

وبهذا فإنه لما اقتضى التحول في المعتقد وتغيير حال المتلقين من معتقدات غير صحيحة إلى الاعتقاد الصحيح، وافق ذلك تحول في التعبير.

ويبرز في الصورة التحول عن **الفعل إلى الاسم والعكس**، وهذا له بعد دلالي، لما بين الاسم والفعل من فرق في الدلالة، إذ إن "الفعل يدل على التجدد والحدوث، والاسم يدل على الاستقرار والثبوت ولا يحسن وضع أحدهما مكان الأخر"[2]. وذلك لأن الفعل مقيد بالزمن، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب، في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة وهو أشمل وأعم وأثبت[3].

وهذا هو ما قرره الجر جاني بقوله: " فموضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شي، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شئ..."[4] .

وتظل دلالة ثبوت الاسم وتجدد الفعل دلالة عامة تتولد منها دلالة فرعية خاصة، يحددها السياق الخاص الواردة فيه.[5]

من ذلك قوله تعالى:(إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ) [ص: ١٨-١٩].

---

[1] أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج٦، ص ١٠٤.
[2] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج٤، ص٦٦.
[3] المرجع نفسه، ص٦٦.
[4] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص١٧٤.
[5] الهتاري، عبد الله:العدول السياقي النحوي، ص ١٢١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

تمثل التحول في هذا السياق بالمزاوجة بين التعبير بالفعل (يسبحن) عن الجبال، والتعبير بالاسم(محشورة) في ذكر الطير، فقال: "والطير محشورة" ولم يجر السياق على نسق واحد، فيكون(إنا سخرنا الجبال معه يسبحن.....والطير يحشرن) فيسوي بينهما في الفعلية.

يرى الزمخشري أن السر في اختيار الفعل(يسبحن) على(مسبحات) للدلالة على" حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال، وكأن السامع حاضر تلك الحالة يسمعها تسبح"[1]، ثم عدل في وصف الطير إلى الاسم، فقال: "والطير محشورة" إذ " لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شئ جئ به اسما لا فعلاً، ولو قيل: وسخرنا الطير يحشرن ،على أن الطير يوجد من حاشرها شيئا بعد شئ، والحاشر هو الله ــ عز وجل ــ لكان خلفا لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة"[2]

فغاير العدول بين فعل العبد وفعل الرب سبحانه" فالتسبيح يقع من المخلوقات شيئاً فشيئا أما الحشر فيقع من الله تعالى جملة واحدة بأمر واحد،إذ يقول للشيء كن فيكون، كما أن ذلك يدل على اجتماع الطير لداود ــ عليه السلام ــ في وقت واحد ساعة تسبيحه، لا أنها تحضر في أوان تسبيحه شيئاً فشيئاً بل تحضر معه جملة واحدة من بداية التسبيح إلى منتهاه"[3]

ويتسع العدول لدلالات أخرى، إذ يبرز نعمتين خص الله بهما نبيه داود ــ عليه السلام ــ إذ جعل الجبال تسبح معه والطير محشورة له، ومن شأن الجبال التسبيح الدائم، فهي إحدى المخلوقات التي يتضمنها قوله جل شأنه(وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)[الإسراء:٤٤] غير أن المراد هنا إبراز النعمة على داود بتسبيح الجبال معه على وجه الخصوص فأتى بالفعل المضارع (يسبحن) مع الجبال للدلالة على" أن التسبيح المقصود من الجبال ليس ذلك التسبيح الدائم، بل هو تسبيح خاص بنبي الله داود يتجدد بتجدد تسبيحه"[4]، وتلك الدلالة تدعمها فيما نحس دلالة الظرف (معه) وتقديمه على الفعل في قوله (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن).

كذلك فإن من شأن الطير الحركة وسرعة التنقل من مكان إلى مكان، ومن هنا كان لإيثار التعبير عن حشرها بالاسم دون الفعل دلالة على أنها حين تحشر تتجمع لتجاوب تسبيح داود ــ عليه السلام ــ تكاد تفارق طباعها فتثبت في مكان حشرها خاشعة لا تكاد تريم"[5]

---

[1] الزمخشري: الكشاف، ج٤، ص٧٦.
[2] المرجع نفسه، ص٧٦.
[3] هنداوي،عبد الحميد: الإعجاز الصرفي في القرآن، ص١٧٥.
[4] طبل، حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (د ت)، ١٩٩٠م، ص١٠٨.
[5] طبل ، حسن: علم المعاني في الموروث البلاغي، تأصيل وتقييم، ط ٤، مكتبة الإيمان ، المنصورة، مصر، ٢٠٠٤،ص٥٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويأتي العدول ــ عكس ما سبق ــ من الاسم إلى الفعل، من ذلك قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ)[الملك:١٩]

فأصل سياق هذه الآية هو اسم الفاعل (صافات) ولو استمر السياق على هذا النسق لقال " صافات وقابضات"، ولكن السياق خرج عن المتوقع لدى المتلقي فتحول عن الاسم إلى الفعل، ولو اتسقت خصائص اللفظتين" في بنية اشتقاقية متماثلة، لما تحقق الأصل في خصائص الطير، في الصف والقبض، ولكنه تعالى أعطى الاشتقاق في اللغة، خصائص الأصل في الطيران"[١].

ولقد أدرك الزمخشري ذلك، إذ يقول:" الأصل في الطيران هو صف الأجنحة، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجئ بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنه صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح"[٢]

وبعبارة أخرى:جيء في وصف الطير بـ" صافات" بصيغة الاسم، لأن الصف أكثر أحوالها عند الطيران، فناسبه الاسم الدال على الثبات، وجئ في وصفهن بالقبض بصيغة المضارع لدلالة الفعل على التجدد، أي: ويجددن قبض أجنحتهن في خلال الطيران للاستعانة بقبض الأجنحة على التحرك..."[٣]

كما أن طول المدين في "صافات" يمثل بسط الأجنحة، ويمثل الوقفتان في " يَقبِضْنَ" التحرك الطارئ، وزمن المد أطول من زمن التحرك في الطيران، وفي المفردتين.[٤]

ويمكن أن يندرج ــ تحت التحول عن الفعل إلى الاسم والعكس ــ التحول في **المشتقات** ، من ذلك، قوله تعالى: (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ.وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ.قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ.يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) [الشعراء:٣٢ــ٣٧]

حدث التحول عن اسم الفاعل (ساحر) إلى صيغة المبالغة (سحار) ونكتة هذا التحول يدرك من تأملنا في السياق ، فاسم الفاعل(ساحر) جاء على لسان" فرعون"وذلك حينما أراد أن يصرف الناس عن حقيقة معجزة موسى التي أذهلته فاتهمه بالسحر(إن هذا لساحر عليم) وأنه

---

[١] خريوش، حسين: بنية الخطاب الإعلامي وأبعاده الدلالية، ص٦٣.
[٢] الزمخشري: الكشاف، ج٤، ص٥٦٩.
[٣] بني دومي، خالد: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص١٨١.
[٤] ياسوف، أحمد: جماليات المفردة القرآنية، ص٢٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ضليع في السحر مداوم عليه، دل على ذلك اسم الفاعل" ساحر" الذي يفيد الثبوت والاستمرار،.وزاده ثبوتا وملازمة الصفة المشبهة "عليم" إذ تدل على أن علمه بالسحر ـ كما ادعى فرعون ـ ثابت ملازم له، في تلك اللحظة لأن اسم الفاعل - مقارنة بها- ينبيء بالتحول والتغيّر. إضافة إلى ما في العبارة من تأكيدات " إن " و "اللام" ، فيكون بهذا قد أكد أن موسى يريد أن يخرجهم من أرضهم بمهارته وعلمه بالسحر.

فناسب أن يقابلوا ذلك بالتوصية بالإتيان بكل من يفوق سحره سحر موسى، فكان التحول عن اسم الفاعل (ساحر) إلى صيغة المبالغة(سحار) الدالة على المبالغ في السحر، المداوم عليه، كثير المعانة له، مستمر على ذلك لم ينقطع، يقول الرازي: " جاؤا بكلمة الإحاطة وبصيغة المبالغة ليطيبوا قلبه، وليسكنوا بعض قلقه"[1]

وليس معنى هذا أن فرعون قد تلفظ بتلك الألفاظ ذاتها،وأن الملأ قد ردوا بتلك الألفاظ نفسها، وإنما تمكن القرآن ـ ببلاغته وبيانه ـ نقل المعاني التي تحدث بها فرعون بواسطة تلك الألفاظ، وجاء العدول لينقل بواسطته الصورة الدقيقة لتفاعل الملأ من حوله، وتعبيرهم بما يرضي غروره.

وظهر ـ في الصورة ـ التحول **في الأسماء**، في المخالفة بين الضمائر، والتحول عن الضمير إلى الاسم الظاهر، وكذا التحول في الجنس.

ونقصد بالتحول **في الضمائر**:"هو العدول عن ضمير أصلي إلى ضمير آخر يغايره في الحضور أو الغيبة ويشترك وإياه في العودة إلى مفسر واحد"[2]، وهو ناتج عن الانتقال في استعمال الضمائر من حضور إلى غيبة إلى تكلم" ولا يكون إلا لفائدة اقتضتها، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لاتحد بحد، ولا تضبط بضابط، ولكن يشار إلى مواضع منها؛فإن قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب، ثم رأينا ذلك بعينه ـ وهو ضد الأول ـ قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود"[3]

---

[1] الرازي :التفسير الكبير، ج١٢، ص١٢٠.

[2] الهيشري، الشاذلي: الالتفات في القرآن، حوليات الجامعة التونسية، ع٣٢، تونس، ١٩٩١م، ص ١٦٩ .

[3] ابن جني، أبو الفتح عثمان: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج١، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٨، ص٢٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا يعني أن للتحول في الضمائر أبعادًا، ودلالات تدرك في سياقاتها. من ذلك قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا. لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا)[الفرقان:٤٨ ــ٤٩].

ففي الآية عدول عن ضمير الغيبة في(أرسل الرياح) إلى ضمير التكلم في(أنزلنا) والسبب ــ والله أعلم ــ أن الجانب المحسوس في إنزال الماء هو محل التأمل والنظر ويؤكد ذلك وصف الماء بكونه (طهورا) ومعلوم أن طهارة الماء هي صفة محسوسة فيه.[1]

كما أن التحول يوقظ الحس لتدبر هذه النعمة التي بها تستمر الحياة، إذ لا يهم إرسال الرياح بقدر ما يهم نزول المطر، فكان التحول إلى التكلم "أليق بمقام الامتنان..."[2] ليترتب عليه شكر المنعم فتستمر هذه المنة.

وفي قوله تعالى:(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) [طه:٥٣ ــ ٥٤].

نجد التحول عن ضمير الغيبة المفرد في (وأنزل من السماء) إلى التكلم الجمعي في (فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى)، والسر فيه ــ والله أعلم ــ أنه بعد أن واجه ــ سبحانه ــ المشركين " بحجة انفراده بخلق الأرض وتسخير السماء مما لا سبيل بهم إلى نكرانه ارتقى إلى صيغة التكلم"[3] في إخراج النبات حتى يزيل توهم من يظن أن النبات ينبت بقدرات الزراع وخبراتهم، فأكد بهذا أن الزارع ما هو إلا سبب خارجي وأن المسبب في الحقيقة هو الله، فلفت بهذا الحضور الأنظار إلى حقيقة هذه العملية، التي قد تبطلها الإرادة الإلهية إذا ما قوبلت بالعصيان. وأظهر ضُعف المخاطَب، وعجزه.

و" الانتقال من الغيبة إلى الخطاب هو ارتقاء بأسلوب الكلام إلى المباشرة والمصارحة؛ لإفادة التهديد أو العقاب أو التشريف"[4]، والسياق هو الذي يحدد الدلالة المقصودة.

من ذلك ــ في مادة الدراسة ــ قوله تعالى:(أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) [النمل:٢٥)

---

[1] طبل ، حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص١٤٦.
[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٩، ص٢٣٨.
[3] المرجع نفسه، ج١٦، ص٢٣٨.
[4] الهيشري، الشاذلي: الالتفات في القرآن، ص ١٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نلحظ التحول في هذا السياق ــ الذي يتعجب فيه الهدهد من حال بلقيس وقومها وينكر عليهم السجود لغير الله ــ عن الغائب في" يسجدوا" إلى الخطاب " الحاضر" في " تخفون وما تعلنون"، يفيد التهديد والوعيد، فشمل به الحاضرين زمن التكلم، والغائبين المتحدث عنهم، الذي تصور أنه من الممكن أن يصل إلي اسماعهم.

كما أن هذا التهديد ــ بواسطة الخطاب ــ تستمر فعاليته فيشمل المتلقي في عصر الوحي وكذا الأجيال المتعاقبة، إذ تهتز به المشاعر ، فيوجه النفوس إلى التحري في خلوص العبادة للعالم بخبايا النفس فضلا عن ظاهرها.

ويأتي التحول عن الخطاب إلى الغيبة "لتحقيق مزية ما كان استئناف الخطاب في حالة الحضور، أي استمراره بضمير المخاطب ليحققها"[1]، نحو قوله تعالى:(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ) [البقرة: ٩٣].

جاء الكلام في مستهل الآية موجها إلى المخاطبين الحاضرين(إذ أخذنا ميثاقكم ــ فوقكم ــ خذوا ــ آتيناكم) ثم عدل عن الخطاب فجأة إلى الغيبة (قالوا، واشربوا، بكفرهم)، ولو اطرد نسق الخطاب لكان على النحو الآتي: (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما أتيناكم بقوة فقلتم سمعنا وعصينا وأشربتم في قلوبكم العجل بكفركم)، لكن الخطاب لم يطرد على هذا النحو بل ما لبث أن عدل عن حالة الخطاب إلى حالة الغيبة.

ولهذا بعد دلالي، إذ إنه لما كان الحديث عن الميثاق وعن أمرهم بأخذه استحضرهم وخاطبهم، وفي هذا دلالة على أهمية الطاعة، والوفاء بالميثاق إذ إن مثل هذا يقرب المخاطب من الله. ولما لم يفوا بذلك (وقالوا سمعنا وعصينا) تحول الخطاب إلى الغيبة إعراضًا عنهم وازدراءً منهم لعصيانهم. إذ إن من دلالات التحول عن لفظ الغيبة إلى لفظ الحضور، ما" يدل على مزيد التقرب والإكرام، وأما ضده وهو الانتقال من لفظ الحضور إلى لفظ الغيبة فإنه يدل على المقت والتبعيد"[2].

وإذا كان التحول بين الضمائر قد برز في الصورة، فإن التحول عن **الضمير إلى الاسم الظاهر** له حضور ــ أيضاً ــ، مع أن الأصل في مجيء الضمير أن يحل محل الاسم لكون

---

[1] فيود، بسيوني: علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني،ج١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٩٨٨، ص٢٣٥.

[2] الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير، ج١٧، ص٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الضمائر تمثل اختصارا ومجازا في التعبير[1]. وذلك لما في هذا التحول من دلالات " يرجع تأثيرها إلى الخصوصية الدلالية للاسم الظاهر الذي وضع موضع الضمير، وإلى تأثير السياق الخارجي، والمتلقي الخاص في البنية اللغوية، وإلى تفاعل المتلقي مع التشكيل اللغوي والظروف المحيطة به"[2].

جاء هذا في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(١٧٢)إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة: ١٧٢-١٧٣].

فتحول السياق عن ضمير العظمة (نا) في (ما رزقناكم) إلى الاسم الصريح (الله) في (واشكروا الله)، إذ لو اطرد السياق لجاء في هذه الصورة: (.. كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكرونا..)، والتحول إلى الاسم الصريح (الله) لما في"اسمه تعالى من قوة الدلالة،.. ، وفي إظهاره بعد الضمير إلقاء للروعة والمهابة في القلوب.."[3] لأن هذا الاسم " متضمن لجميع الأوصاف التي منها وصف الإنعام والرزق، والشكر ليس على هذا الإذن الخاص بل يشكر على سائر الإنعامات والامتنانات التي منها هذا الامتنان الخاص"[4].

والتحول في الجنس يمكن أن نضعه تحت العدول في الأسماء، جاء هذا في قوله تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) [النحل: ٦٦].

فنجد هنا التحول عن جمع التكسير المؤنث (الأنعام) إلى الضمير المفرد المذكر في (بطونه)، مع أن القياس يقتضي أن يكون الضمير العائد على (الأنعام) ضمير المفرد المؤنث (بطونها). وقد ورد ذلك في قوله تعالى: (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) [المؤمنون: ٢١-٢٢]. فلماذا كان التحول في سورة (النحل) ولم يكن في سورة (المؤمنين) ؟

حاول الرازي تعليل ذلك، يقول: "وجاء قوله: (مما في بطونه) الضمير عائد إلى الأنعام فكان الواجب أن يقال مما في بطونها، وذكر النحويون فيه وجوها: الأول: أن لفظ الأنعام لفظ مفرد وضع لإفادة جمع كالرهط والقوم والبقر والغنم، فهو بحسب اللفظ لفظ مفرد فيكون ضميره

---

[1] جبر، محمد عبد الله: الضمائر في اللغة العربية، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٠٣.
[2] البحيري، أسامة: تحولات البنية، ص٨٢.
[3] الهيشري، الشاذلي: الالتفات في القرآن، ص١٦٤.
[4] الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ج١، ص٦٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ضمير الواحد، وهو التذكير، وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع، وهو التأنيث، فلهذا السبب قال هاهنا في بطونه وقال في سورة المؤمنين (في بطونها)"[1].

ويبدو أن السياق كان وراء هذا التحول، ففي آية النحل خص من منافع الأنعام إسقاء اللبن، وهو لا يخرج من جميع الأنعام بل يخرج من قسم من الإناث لذلك كان التحول إلى ضمير القلة وهو ضمير الذكور(بطونه) للأنعام التي يستخلص منها اللبن، وهي أقل من عموم الأنعام. وأما في آية (المؤمنون) فالكلام على منافع الأنعام من لبن وغيره، وهو بهذا يشمل عموم الأنعام، فناسب هذا العموم مجيء ضمير الإناث (بطونها) الدال على الكثرة، ذلك أن المؤنث ــ حسب قاعدة التعبير في العربية ــ يؤتى به للدلالة على الكثرة بخلاف المذكر.[2]

وقد ذكر النيسابوري ذلك في تفسير غرائب القرآن، فقال:" ولعل السر فيه أن الضمير في هذه السورة[3] يعود إلى البعض، وهو الإناث لأن اللبن لا يكون للكل، فالتقدير: وإن لكم في بعض الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه، وأما في(المؤمنون) لأنه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله: (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون)[4]، لم يحتمل أن يكون المراد به البعض فأنث ليكون نصا على أن المراد بها الكل"[5]

والمغايرة بين حروف المعاني ظهر أثره في مادة الدراسة، إذ يستعمل الحرف لدلالة مقصودة في السياق ثم يعدل عنه إلى حرف آخر في السياق نفسه، ولهذا التحول دلالات لأن " لكل حرف دلالته الخاصة التي يضفيها على التركيب الداخل فيه، فتتغير الدلالة بتغير الحرف...لأن القرآن الكريم قد استعمل كل حرف لدلالة مقصودة وبدقة تكشف عن روعة الإعجاز والبيان فيه"[6]

من ذلك قوله تعالى:(وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ.وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ.وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ)[الأنبياء:٧٩ــ٨١)

---

[1] الرازي: التفسير الكبير، ج١٠، ص٦٦.
[2] السامرائي، فاضل: التعبير القرآني، ط١، دار عمار، عمان، الأردن،١٩٨٨، ص ١٧٧.
[3] يقصد بها سورة النحل.
[4] المؤمنون:٢٢.
[5] النيسابوري: تفسير غرائب القرآن، ج٤، ص٢٧٧ ــ١٧٨.
[6] الهتاري، عبد الله: العدول السياقي النحوي، ص١٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمثل العدول في هذا السياق بالتحول عن حرف المعية(مع) في (وسخرنا مع داود الجبال) إلى حرف الاختصاص والملك(اللام) في (ولسليمان الريح)، ولم يقل (ومع سليمان الريح).

ولهذا لتحول دلالة، حاول الرازي تعليله، فقال: " يحتمل أن الجبل لما اشتغل بالتسبيح حصل له نوع شرف، فما أضيف إليه بلام التمليك، أما الريح فلم يصدر عنه إلا ما يجري مجرى الخدمة فلاجرم أضيف إلى سليمان بلام التمليك"[1]

ويبدو أن العدول أفاد الفرق بين التسخيرين، إذ إن تسخير الجبال والطير مع داود تسخير معية، فهي تسبح مع تسبيحه وترد معه في حين تسخير الرياح لسليمان، تسخير تمليك؛ لذا قال" تجري بأمره"

وهو ما أشار إليه أبو حيان بقوله:" جاء بـ(اللام) حين ذكر تسخير الريح لسليمان، وحين ذكر تسخير الجبال جاء بلفظ (مع)،... وذلك أنه لما اشتركا في التسبيح ناسب ذكر (مع) الدالة على الاصطحاب، ولما كانت الريح مستخدمة لسليمان أضيفت إليه بلام التمليك؛ لأنها في طاعته وتحت أمره"[2].

وإلى ذلك –أيضاً - فإن استهلال الآية الكريمة بالفعلية، اقتضى " المعية"؛ لأن خاصية الفعل تفيد حقيقة المشاركة التي هي "المعية" في حين أن تركيب الجزء الآخر من الآية الكريمة (تقديم الخبر وتأخير المبتدأ)، أحدث شرخاً في هذا السياق، أفاد حقيقة التمليك؛ فالمفارقة في البنية السياقية، تفيد خاصيتي المشاركة والتمليك.[3]

ونجد في حروف الشرط تخالفا في الاستعمال، إذ يتحول عن حرف إلى آخر في السياق نفسه، وذلك لدلالة يهدف إليها. من ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١).

فتحول السياق عن (إذا) في (فإذا جاءتهم الحسنة) إلى (إن) في (وإن تصبهم سيئة)، ودلالة هذا التحول يدرك بمعرفة الفارق الدلالي بين الأداتين، والمتمثل بان (إن) تستعمل في الشرط المشكوك تحققه،غير المقطوع بوقوعه، و(إذا) على النقيض من ذلك فهي تستعمل في الشرط المقطوع بوقوعه والكثير حصوله.[4]

---

[1] الرازي: التفسير الكبير،ج٢٢، ص ٢٠١.
[2] الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ج٦، ص٣٣٢.
[3] خريوش، حسين يوسف: مشافهة
[4] أبو موسى، محمد: خصائص التراكيب،ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لذلك "فقد جيء فيه بلفظ (إذا) في جانب الحسنة حيث أريدت الحسنة المطلقة لا نوع منها، كما في قوله تعالى: " وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله"[1] لكون حصول الحسنة المطلقة مقطوعا به كثرة ووقوعا واتساعا، ولذلك عُرفت ذهابا إلى كونها معهودة...، وجيء بلفظ(إن) في جانب السيئة مع تنكير السيئة إذ لا تقع إلا في الندرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة، ولا يقع إلا شيء منها"[2]

فأفادت (إذا) هنا التحقيق واليقين في حصول الحسنة، وكثرتها في الوقوع والاتساع، يؤازر هذه الدلالة مجيء فعل الشرط(جاءتهم) ماضيا، يدل على تحقق الفعل وحصوله، بينما دلت(إن) على ندرة السيئة وقلة في وقوعها ،يؤازر ذلك مجيء فعل الشرط مضارعا،وهو دون الماضي في التحقق والحصول.[3]

وتحقق التحول في **حروف العطف**، إذ يعدل السياق عن حرف إلى آخر. من ذلك، قوله تعالى:(وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)[النمل: ٢٤].

نجد السياق تحول عن (الواو) في (وزين لهم الشيطان أعمالهم) إلى (الفاء) في (فصدهم عن السبيل) ، وذلك لدلالة مقصودة،إذ إن الدلالة المتولدة عن الواو تختلف عن الدلالة المتولدة عن الفاء. فالواو حرف مبهم زمنيا لا يفهم إلا من السياق، ويفيد المعية.[4]، فجيء بها في التزين لتدل على أن انحرافهم في السجود، تزامن وتلازم مع فعل التزين، ولولا هذا التزامن لما حدث الانحراف واستمر؛ لأن العقل في كمال وعيه ينكر مثل هذا الأمر.

وأفاد التحول إلى (الفاء) ــ التي تفيد التعقيب والترتيب ــ أن الصد عن طريق الحق مترتب على ما قبله ومتحقق به.

وفي قوله تعالى:(أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)[الفيل: ٣ ــ٥].

تحول السياق عن (الواو) في (وأرسل عليهم) إلى (الفاء) في (فجعلهم كعصف مأكول)، فترتب على التغاير في الحروف تغايراً في الدلالة. فالواو ــ كما ذكرنا ــ تدل على التزامن، فعطف بها بين(ألم يجعل كيدهم في تضليل ــ وأرسل عليهم)" لأن ألم يجعل كيدهم في

---

[1] النساء:٧٨.

[2] السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٤١.

[3] انظر: طبل، حسن: علم المعاني في الموروث البلاغي: تأصيل وتقييم، ص ١٠.

[4] حميدة، مصطفى: أساليب العطف في القرآن الكريم، ط ١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٩، ص٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تضليل) متحقق وملازم لدال الفعل (أرسل).. ومشارك له لأنه يتحقق به الإرسال"[1]. بينما الفاء في (فجعلهم كعصف مأكول) دلت على أن تحول أجسادهم من جنس إلى آخر مترتب على ما سبق، دون تراخ في الزمن، وهذا يعني أن المساحة الزمنية بين فعل الرمي، وحدث تحول الأجساد، أخذت حيزاً محدودًا، وفي هذا دليل على فاعلية القدرة المطلقة في سرعة تحول الأشياء.

والتحول عن (الفاء) إلى (ثم) جاء في قوله:(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...)[البقرة:٢٥٩].

فالفاء في قوله: (فأماته الله) دلت على التعقيب والسببية، إذ أفادت أن جملة فأماته الله، أعقبت قوله: (أنى يحي هذه الله)، وكانت الإماتة بسبب هذا التساؤل الذي استبعد فيه أن تقوم لهذه القرية قائمة بعد ذلك الدمار.

وناسب التحول إلى (ثم) في : (ثم بعثه الله) اتساع المساحة الزمنية (مائة عام)، بين حدث الموت وعملية الإحياء، ذلك أن(ثم) تدل "على الترتيب والتراخي في الزمن"[2].كما دلت ـايضاـ على بعد معنوي[3]، تمثل بالتفاوت بين حدث الموت ، وعملية الإحياء، فأفادت علو مرتبة الإحياء التي تجلت فيها قدرة المحيي.

ويبرز في الصورة، التحول في **حذف الحرف وذكره**، من ذلك، قوله تعالى:(سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) [الكهف:٢٢].

تحول السياق هنا عن حذف حرف العطف (الواو) في (ثلاثة رابعهم كلبهم ـ خمسة سادسهم كلبهم) إلى ذكرها في(سبعة وثامنهم كلبهم). وفائدة ذلك" تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثابت علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كغيرهم، والدليل عليه أن الله ـ سبحانه ـ أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب واتبع الثالث قوله وما يعلمهم إلا قليل".[4]

---

[1] أسعد، أمير فاضل:غرائب الصورة، ص١١٧.
[2] حميدة، مصطفى: أساليب العطف في القرآن، ص ٢.
[3] انظر: المرجع نفسه، ص١٥٧ ـ ١٧٥)، عرض فيه نماذج توضح دلالة (ثم) على البعد المعنوي.
[4] الزمخشري: الكشاف، ج٢، ص٦٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونتحول إلى ما في الصورة من تحول في التراكيب، المتمثل في التحول في الإسناد، وفي العدد من خلال المخالفة بين التثنية والجمع، وفي التقديم والتأخير، والتحول في الجمل من فعلية إلى اسمية، وكذا التحول في النسق الإعرابي. لنقف على أبعاده ونتلمس دلالاته.

يتمثل **التحول في الإسناد** في المخالفة في نسبة الفعل إلى الفاعل، من ذلك، قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[الفيل:٣ ــ٥]. نجد دال الفعل (ترمي) اسند للطير، وتحول الإسناد في (فجعلهم) إلى الله سبحانه. ولو اطرد السياق لكان(ترميهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول).

فدل بهذا على" أن الإسناد فى الرمي للسبب وهي الطير لأنه سبب لإهلاكهم، أما النتيجة(فجعلهم) فاسندها الله تعالى إلى ذاته، وهو مسبب السبب ومحققه إشارة للقوة الفاعلة لإهلاكهم لا القوة الظاهرة، ولهذا كان الإسناد هنا في بؤرة دلالة التحول والهلاك، ويمثل صورة من صور الحضور الإلهي بإسناد الفعل إليه"[1].

والتحول في **العدد** وقع في العدول عن صيغة التثنية إلى الجمع، في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

ظهر هذا التحول بعودة ضمير الجمع في قوله (لحكمهم) على المثنى "داود وسليمان"، إذ كان يقتضي السياق أن يكون على النحو الأتي: (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث.. وكنا لحكمهما شاهدين).

يعلل الزمخشري هذا بقوله: "وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين"[2]. أي أن المقصود ب "حكمهم" الحاكمين، داود، وسليمان، والمتحاكمين، صاحب الزرع و صاحب الغنم، فناسب ذلك أن يجمع الضمير.

وقد تابع أبو حيان الزمخشري، فقال:" والضمير في "لحكمهم" عائد على الحاكمين والمحكوم لهما وعليهما، وليس المصدر هنا مضافاً إلى فاعل ولا مفعول، ولا هو عامل في التقدير، فلا ينحل بحرف مصدري والفعل به هو مثل: له ذكاء ذكاء الحكماء. وذهن ذهن الأذكياء. وكان المعنى: وكنا للحكم الذي صدر في هذه القضية شاهدين، فالمصدر هنا لا يراد به وجود الحقيقة"[3].

---

[1] نقرة، التهامي: سيكولوجية القصة في القرآن، ص١٣٦.
[2] الزمخشري: الكشاف، ج٣، ص١٢٥.
[3] الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ج ٧ ، ٤٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويبدو ــ والله أعلم ــ أن في التحول عن المثنى إلى الجمع، نكتة بلاغية، إذ به أنزلهما منزلة الجمع؛ تعظيما لهما وإظهارا لكمال حكمهما، المتصلة أسبابه بالسماء.كما أنه ــ أيضاً ــ اكتسب صفة التعظيم هذه،بمجيئه بين تعظيمين: الضمير(نا) في كنا،و(نحن) في (شاهدين)،العائدين إلى عِظم الذات الإلهية.

والتحول في **التقديم والتأخير**، تمثل بالتحول عن التقديم شبه الجملة المتعلق بالمفعول به ، إلى تأخره على الأصل، في قوله تعالى: (لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)[المائدة: ٢٨).

نجد السياق يقدم شبه الجملة في:(إليّ يدك) ثم عدل عن ذلك إلى التأخير، فقال: (يدي إليك)، ولو طابقه لكان(ما أنا بباسط إليك يدي).

يفيد التقديم أن هابيل كان متيقنا من أن أخاه قابيل قاصد قتله دون غيره، فجل همه قتل أخيه لا مطلق القتل. ولما كان هابيل عكسه تماماً، إذ ليس لديه أي نية لإلحاق أدنى أذى بأخيه ، عدل في التعبير إلى تأخير (إليك) على الأصل، بقوله:(ما أنا بباسط يدي إليك)، فأكد" نفي البسط من قبله للقتل بكل المؤكدات، من ذلك مجيء الجملة اسمية، مقترناً خبرها بالباء المؤكدة (بباسط) وفي ذلك إمعان في نفي أدنى بسط لليد منه بالقتل، وأنه ليست من عادته أصلاً بسط يده بالقتل، لا لأخيه ولا لغيره، لذا جاء شبه الجملة بعد المفعول به (يدي إليك) على أصله، فلم يحتج إلى تقديمه كما هو الحال في الأولى"[1]، "وإنما ذكر(إليك) بعده لبيان الواقع".[2]

ونأتي إلى **التحول في الجُمَل**، إذ برز في الصورة التحول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية، وفي هذا التحول بعد دلالي، وذلك لما بين الجملتين من فارق دلالي، فالتعبير بالجملة الاسمية يدل على الثبات والاستقرار، والتعبير بالجملة الفعلية يدل على التجدد والحدوث والاستمرار، ويستوي في ذلك المظهر والمضمر تقديراً.[3]غير أن الجملة الاسمية لا تدل على الثبوت إلا إذا كان المسند اسما، أما إذا كان فعلاً فلا تفيد ذلك[4]، جاء في الكليات:" والجملة الاسمية موضوعة للأخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدد أو استمرار إذا كان خبرها اسما فقد يقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن، وإذا كان خبرها مضارعاً فقد يفيد استمراراً تجدديا إذ لم يوجد داع إلى الدوام...والجملة الفعلية موضوعة لإحداث الحدث

---

[1] الهتاري، عبد الله: العدول السياقي النحوي، ص٢٤٢.
[2] لاشين، عبد الفتاح: المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٧١.
[3] الزركشي: البرهان، ج٤، ص٧٠.
[4] السامرائي، فاضل: معاني الأبنية، ط١، جامعة الكويت، ١٩٨١ ص١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في الماضي أو الحال، فتدل على تجدد سابق أو حاضر وقد يستعمل للاستمرار بلا ملاحظة التجدد في مقام خطابي"[1]

من ذلك قوله تعالى: (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) [الكهف:١٨].

عبر النظم القرآني في هذا السياق عن وضعية أهل الكهف (الفتية) بالجملة الفعلية (نقلبهم)، فدلت على الحركة والتجدد، وأن" الله أجرى عليهم حال الأحياء الأيقاظ فجعلهم تتغير أوضاعهم من أيمانهم إلى شمائلهم..."[2] "حتى لا تأكل الأرض أجسادهم"[3].

وعدل عن الجملة الفعلية(نقلبهم) إلى الجملة الاسمية، في تصوير وضع كلبهم، بقوله (وكلبهم باسط ذراعيه) فدل به على أن الكلب على هيئة وصفة ثابتة، هي بسط الذراعين بالباب. فمجيء كلمة(باسط) مسند في الجملة الاسمية، هي التي أشعرت بثبوت تلك الصفة، ولو قيل (يبسط) لم يؤد الغرض لأنه لم يؤذن بمزاولة الكلب البسط وأنه يتجدد له بصورة مطردة.

يقول الجرجاني:" وانظر إلى قوله تعالى: (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) فإن أحداً لا يشك في امتناع الفعل هاهنا، وأن قولنا:(كلبهم يبسط ذراعيه) لا يؤدي الغرض، وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجددا الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة، وتزجية فعل"[4].

وبهذا فإن التحول إلى الجملة الاسمية ــ الذي أفاد ثبوت الكلب حالة واحدة ــ تناسب مع الوظيفة التي يؤديها وهي الحراسة، لتظل الصورة العامة للفتية يلفها سياج من المهابة والخشية. وفيه دلالة أخرى تتمثل بأن الله يحفظ بالأسباب وبدون أسباب، فإن كان الله قد حفظ أجساد الفتية بالتقليب، فإنه قد حفظ كلبهم بدون تقليب.

ومنه قوله تعالى:(قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْكَاذِبِينَ)[النمل:٢٧]. فبعد أن سمع سليمان ــ عليه السلام ــ من الهدهد نبأ سجود ملكة سبأ مع قومها للشمس، أراد أن يختبر صدقه، فقال" سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) وكان مقتضى المشاكلة أن يرد السياق على نحو(أصدقت أم كذبت)، لكنه عدل عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية، فقال:(أم كنت من الكاذبين).

---

[1] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح، عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢، ص٣٤١.

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١٥، ص٢٨١.

[3] الطراونة، سليمان: دراسة نصية في القصة القرآنية، ص١٢٣.

[4] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص ١٧٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهذا التحول له دلالة، غير أنه اختلف فيها، ففي البرهان:" خاطبه بمقدمة الصدق مواجهة.....ثم لم يواجهه بالكذب؛ بل دمجه في جملة الكاذبين، أدباً في الخطاب"[1]، دلالة على أنه ترجح صدق الهدد لدي سليمان.

ورأى آخرون عكس ذلك، ــ وهو ما نميل إليه ويؤيده سياق التهديد والوعيد ــ إذ يفيد العدول" عن الفعل الذي هو أم كذبت، وعن مجرد صفته في قوله: أم كنت كاذبا، إلى جعله واحداً من الفئة الموسومة بالكذب، فهو أبلغ في مقصود سياق الآية من التهديد"[2]

يقول ابن عاشور:" وإقحام كنت أدخل في نسبته إلى الكذب من صيغة (أكذبت)؛ لأن فعل(كنت من الكاذبين) يفيد الرسوخ في الوصف بأنه كائن عليه، وجملة (من الكاذبين) أشد في النسبة إلى الكذب بالانخراط في سلك الكاذبين، بأن يكون الكذب عادة له، وفي ذلك إيذان بتوضيح تهمته بالكذب ليتخلص من العقاب ،وإيذان بالتوبيخ والتهديد إدخال الروع عليه بأن كذبه أرجح عند الملك؛ ليكون الهدهد مغلبا الخوف على الرجاء، وذلك أدخل في التأديب على مثل فعلته، وفي حرصه على تصديق نفسه بأن يبلغ الكتاب الذي يرسل معه"[3]

ونختتم التحول في التراكيب **بالتحول في النسق الإعرابي**، إذ يأتي تركيب أو لفظ مخالف في حكمه الإعرابي للحكم الإعرابي الذي سبقه، مع أنهما في سياق نحوي واحد، وهذا يمثل ظاهرة نحوية لافتة تساعد في دخول الخطاب دائرة الاحتمالات، وتدفع المتلقي إلى تلمس التأويلات المختلفة لعلة هذا التحول الإعرابي الملحوظ[4].لأن هذه الظاهرة "ليست مجرد حركات إعرابية مخالفة، وإنما لها مقابلاتها المعنوية الكامنة في الضغط على مدلول الصفة المخالفة في إعرابها"[5]. من ذلك ــ في مادة الدراسة ــ قوله تعالى:(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)[هود: ٦٩][6].

تمثل العدول هنا في الحركة الإعرابية في لفظ(سلام) إذ وردت في مقولة الرسل منصوبة(سلاما) فدل النصب على جملة فعلية تقديرها: نسلم سلاما، وعدل عن النصب إلى

---

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج٤، ص ٧٥. ومن أصحاب هذا الرأي: الزمخشري في كشافه، ج٣، ١٤٥. والنيسابوري ، في تفسير غريب القرآن ، ج٥، ص٣٠٢.

[2] ابن المنير، أحمد: حاشية الانتصاف ، بهامش الكشاف، ج٣، ص٣٥١.

[3] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١٩، ص٢٥٦.

[4] البحيري، أسامة: تحولات البنية، ص٤٣١.

[5] راضي، عبد الحكيم: نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠، ص ٢٢٣.

[6] ورد مثله، في قوله تعالى:(إذ دخلوا عليه الباب فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون. فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين)[الذاريات:٢٥ ــ٢٦]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الرفع(سلامٌ) في مقولة إبراهيم ــ عليه السلام ــ فدل الرفع على جملة اسمية تقديره: (سلام عليكم) أو (عليكم سلام) أو (تحياتي سلام).[1]

وبهذا يكون التحول عن النصب إلى الرفع، هو تحول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية، وتعليل ذلك يقوم على أساس الفرق الدلالي بين الجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار، يقول الزمخشري" وأما (سلام) فمعدول به إلى الرفع على الابتداء..للدلالة على ثبات السلام ، كأنه قصد أن يحييّهم بأحسن مما حيوه"[2] إذ حيوه بالجملة الفعلية وحياهم بالجملة الاسمية، وهي أبلغ في الدلالة على الثبات والاستمرار من الجملة الفعلية.

وتتسع دلالة هذا التحول لأكثر من دلالة، يقول سمير إستيتية" وإذا نظرنا إلى المسألة من زاوية أخرى، انتهينا إلى أن الملائكة سلمت على إبراهيم عليه السلام بما يناسب طبيعة الإنسان من التجدد والتغير فهو سلام متجدد. وأن إبراهيم عليه السلام ردّ عليهم التحية بما يناسب خلق الملائكة من الثبوت والاستمرار وعدم التغير..."[3]

ويمكن أن نلمس دلالة أخرى، إذ تدل الجملة الفعلية على الندب والاستحباب، فابتداء السلام مندوب، ورده واجب، فكان الرد من النبي إبراهيم، جملة اسمية، وهي ترد في سياق الوجوب والفرض، إذ يرجح الرفع فيما سبيله الفرض الواجب، والنصب فيما له دلالة على المندوب.[4]

وهكذا تكون الحركتان الإعرابيتان في هذه الآية الكريمة قد أشارتا إلى هذه المعاني كلها، وربما غيرها مما لم نقف عليه، وهذا لا يعني أن إبراهيم قد رفع، وأن الملائكة قد نصبت، بل يعني حواراً فيه كل المعاني التي ذكرتها، ولخصتها الآية الكريمة بحركة نصب وحركة رفع. أليست هذه قمة البلاغة، وأسمى درجاتها، وأرقى منازلها"[5].

---

[1] استيتية، سمير: منازل الرؤية منهج متكامل في قراءة النص، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ص ٣٢٥.
[2] الزمخشري: الكشاف، ج٤، ص٣٩١.
[3] استيتية، سمير: منازل الرؤية، ص٣٢٥.
[4] انظر ابن عطية: المحرر الوجيز،ج٢، ص٦٤، وأبو حيان : البحر المحيط، ح٢، ص١٣ ــ١٤.
[5] استيتية ، سمير: منازل الرؤية، ص ٣٢٥ ــ ٣٢٦.

صفحة 111 مفقودة من المصدر

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع

الصورة وأبعادها البيانية والدلالية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصـــل الرابع

الصورة وأبعادها البيانية والدلالية

يتخذ القرآن الكريم الصورة وسيلة للتعبير عن المعاني؛ إذ تعـد الأداة المفـضلة فـي الأسلوب القرآني، وذلك لأنها أقوى تأثيراً في النفس من التعبير المجرد، كما أنهـا تزيـد مـن وضوح المعاني في الأذهان، حين تعرض في صورة محسوسة قريبة من الإدراك والفهم.

والتصوير القرآني له آفاق وطرائق متعددة؛ فألفاظه ليست مجموعة حروف تدل علـى المعنى فحسب بل هي" ينبوع يفيض بالصور والأحاسيس والألوان، وليست المعاني في القـرآن مجردات اعتبارية يدركها العقل، وإنما هي صورة حية تمر بخيال القارئ أو السامع، ويلمـسها إحساسه وتكاد تراها عينه"[1]، ذلك أن الخطاب في القرآن لا يتجه إلى العقل وحده بـل يخاطـب كلاً من العقل والخيال والشعور.. ويحمل إلى العقل معنى يخاطبه به، وينفـث فـي المـشاعر والخيال إحساسا بصورة ذلك وينبهنا إلى مافيه من حركة وحياة.[2]

وتعد الصورة البيانية – التي تتشكل من وسائل بلاغية(التشبيه، والاستعارة، والمجـاز، والكناية) – إحدى أهم خصائص التصوير وأبرزها، وتشكل رؤية متميـزة فـي بنيـة الـنص القرآني، وهي بمثابة" هياكل حية متحركة تعبد الطريق إلى الولوج فـي نفـس الإنـسان، لمـا اشتملت عليه من سحر بياني مقترن بناحيتين هما:نقل العواطف، وإثـارة الإحـساس، وبهمـا تتجاوب الأصداء وتلتقي الأصوات وتتحرك الكلمات"[3].

والجامع المشترك بين هذه الأساليب أو الوسائل، هو أنها تحمل إلـى الخيـال صـورة المعنى وتبث فيه الحركة والحياة، وهو ما يمكن أن نلمسه في اللفظة والجملة على حد سواء، إذ كثيراً ما نجد اللفظة تؤدي هذه المهمة.[4]

وتشكل هذه الوسائل حضوراً متميزاً في مادة الدراسة، مما فرض علينا تخصيص هـذا الفصل، للوقوف على صورها، وأبعادها الدلالية التي تزخر بها، وهي على النحو الآتي:

---

[1] البوطي، محمد سعيد رمضان: من روائع القرآن، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٩٦٨، ص١٦٩.
[2] انظر المرجع نفسه، ص١٦٨.
[3] الصغير، محمد حسين علي: الصورة الفنية في المثل القرآني، ص١٥٩.
[4] الجيوسي، عبد الله: التعبير القرآني والدلالات النفسية، ص٢٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ- التشبيه:

يعد التشبيه من أصول التصوير البياني ومصادر التعبير الفني، به يتم إثبات حكم للمشبه من أحكام المشبه به، ويدل -أيضاً - على مشاركة أمر لأخر في معنى[1]، ذلك أنه يقوم على مبدأ التشابه بين طرفين مذكورين بأداة تشبيه أو بغير أداة ليخرجا إلى دلالة خاصة تتوافر في صورة فنية متكاملة ناتجة من الدالين (الطرفين).

ويتخذ التشبيه طريقاً دقيقاً في التصوير والتعبير عن كل ما تدركه الوجدانات، أو تنفعل له المشاعر والأحاسيس، إذ " يرسم صورة للحس والشعور معا، وهو في حقيقته إدراك ما بين أمرين من صلة في وقعهما على النفس"[2]. وهو – أيضاً - اللوحة الفنية الرائعة التي تضم ألواناً شتى، وتخرجها في أبهى حلة، فتؤثر في المتلقي وينفعل لها.[3]

ويستمد قوته التصويرية من الخيال، فكما أن الرسم والتصوير يعتمدان على الأصباغ والأحجار التي تؤلف وتصقل لترمز إلى طبيعة جميلة أو فتنة ساحرة، فإن التشبيه يشاركهما في الإفصاح عن الفكرة، والتعبير عن العاطفة بما فيه من عنصر الخيال الذي يقابل تلك الأصباغ والأحجار.[4]

وقيمة التشبيه البلاغية لا تقدر بنفاسة عناصره، ولكن بقدرته على التصوير والتأثير، وهو ما تميزت به التشبيهات في القرآن" فلم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء؛ بل تجاوزتها إلى المماثلة النفسية، وتعمقها حتى أضفت عليها حياة شاخصة وحركة متجددة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة وتجسمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد، وليس هذا فحسب، بل يبرز جمال التشبيه القرآني ما فيه من إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وروعة في النظم والتأليف، وجرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها"[5]

كما أن من خصائص التشبيه القرآني" أنه يستمد عناصره من الطبيعة، وذلك هو سر خلوده فهو باق ما بقيت هذه، وسرعمومه للناس جميعا يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره، ويرونها قريبة منهم، وبين أيديهم... ويتخذ الطبيعة ميداناً يقتبس منها صور تشبيهاته من نباتها وحيوانها وجمادها"[6]

---

[1] انظر : الزركشي: البرهان، ج٣، ص٤١٤.
[2] حسين، عبد القادر: القرآن والصورة البيانية، نهضة مصر، القاهرة،١٩٧٥، ص١٠.
[3] العثمان، بدرية بنت محمد: من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث، ص٤١٥.
٤لاشين، عبد الفتاح: البيان في ضوء أساليب القرآن، ط١، دار المعارف، ١٩٨٥، ص١٠٦ ــ ١٠٧.
[5] عبد التواب، صلاح الدين: الصورة الأدبية في القرآن، ص٤٥.
[6] بدوي، أحمد أحمد: من بلاغة القرآن، ص١٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويشكل العنصر الحيواني - في مادة الدراسة - العنصر الرئيس، الذي استمد منه التشبيه مادته التصويرية، إذ برز في الاستعمال التشبيهي متقاطراً، وعمله متناسقاً " مع التصوير الفني لحقائق ... الموصوفات وأوجه الشبه المناسبة، بما يحقق الجانب البلاغي في مطابقته لمقتضى الحال، من خلال عدة نماذج موحية، ولكنها مختلفة في أدائها التعبيري، فكل نموذج يسبح في فلك ويدور على محور"[1].

والملاحظ أن البنية الأسلوبية لهذه النماذج التشبيهية، تتوزع بين خاصية الإفراد والتركيب، وتوزعت- أيضا- بين تشبيه المعقول بالمحسوس، وبين تشبيه المحسوس بالمحسوس،بينما انعدم تشبيه المحسوس بالمعقول، وذلك لأن هدف التشبيهات في القرآن إبراز المعنى وجعله قريبا من الإدراك والفهم، وهو ما يقوم به التشبيه بالمحسوس.وبالوقوف على هذه النماذج، يتحقق هذا الأمر، وتتضح الأبعاد والغايات التي ترمي إليها الصورة التشبيهية.

ونبدأ بالبنية الإفرادية، ونقصد بها بنية الطرفين من دالين، أو" ما هو معقود بين صورة واحدة مشبهة وأخرى مشبهة بها"[2]. وهي بهذا تميل إلى رسم صورة بسيطة التكوبن، سهلة الالتقاط، فهي تتحدد بدالين يلتقيان ليكونا خلقا صوريا جديدا يمكن أن نرده بسهولة ويسر إلى صورته الواقعية قبل دخول داليه في عالم الصورة"[3].

ومن ذلك قوله تعالى:(إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ).[4]

عمد الأسلوب القرآني ــ هنا ــ إلى الصورة التشبيهية؛ ليصف ضخامة النار وشدة لهيبها، وذلك لقدرتها على المبالغة في الوصف، إذ لا يصل الوصف المجرد إلى المستوى الذي تؤديه الصورة.

وتحقق ذلك بصورتين تشبيهيتين متتابعتين: الأولى، أخذت عناصرها من الجمادات، وتكونت من دالين محسوسين: مشبه(الشرر)، ومشبه به (القصر)، و(الكاف) هي أداة الربط بين الطرفين، والأداة بشكل عام محور رئيس في العملية التصورية"لأنها دال يكثف في داخله معنى التشابه والتماثل الذي يؤدي إلى تمازج صورتين واقعيتين تتوفران في دالات الطرفين ومن ثم تُكون صورة جديدة في واقع جديد"[5]

---

[1] الصغير، محمد حسين علي : الصورة الفنية في المثل القراني، ٢٨٥.

[2] عبد التواب، صلاح الدين: الصورة الأدبية في القران، ص٥٣

[3].القرعان، فايز: التشكيل البلاغي للصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص، أبحاث اليرموك، سلسلة الأدب واللغويات، م١٥، ع١، ١٩٩٧، ص٦٢.

[4]المرسلات: ٣٢ــ٣٣

[5]القرعان، فايز، التشكيل البلاغي للصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص، ص٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فتوسطت(الكاف) ــ في هذه الصورة ــ الطرفين، وجعلتهما لا يلتقيان على المستوى المكتوب، لكنها قاربت بينهما على المستوى الدلالي، إذ نتج بواسطتها دلالة تصويرية جديدة، جعلت ذهن المتلقي يمزج بين أجزاء الصورة ، فيملأ وجه الشبه المحذوف، فيتراءى له ضخامة الشرر وعظمه، ذلك أن المشبه به ــ بصورته الواقعية ــ يوحي بمعان" ذهنية لا تتولد من غيره، منها: أن تطاير القصر إلى أعلى أدخل في التعجب...لأن القصر يكون مركبا من اللبن والحجر والخشب، وهي أجسام توحي بثقل وشدة تحيل الذهن إلى عظم النار في الشدة والقوة التي ترمي بالقصر الناري، تتملاه النفس بسقوطه المؤلم الموجع"[1].

والصورة الأخرى، اتخذت العنصر الحيواني(جمالة) مشبها به، في قوله تعالى:(كأنه جمالة صفر)، وتتكون من دالين محسوسين: المشبه (الضمير الهاء) الذي يمثل الطرف الأول ويعود على القصر، والمشبه به(جمالة) المقيد بـ(صفر)، و(كأن) التي جاءت متصدرة البنية اللغوية للصورة، تمكنت ــ بتتابع الطرفين(المشبه والمشبه به) ــ من إيصال الصورة التشبيهية إلى أكبر قدر من تمازج الطرفين على الصعيدين البنائي والدلالي، مما يجعلها أداة مزج كلي، لا كما في البنية الأولى(الكاف) التي حاولت أن تمزج الطرفين على الصعيد الدلالي فحسب.

كما أن التشبيه بها أبلغ من التشبيه بالكاف، إذ" تستعمل حيث يقوي الشبه حتى يكاد الرائي يشك في أن المشبه هو المشبه به، ولذلك قالت بلقيس(كأنه هو)[2].

فمزجت في هذه الصورة بين المشبه والمشبه به وجعلتا ــ بواسطة الصورة المقابلة (جمالة صفر) ــ نملأ وجه الشبه المحذوف، فنتملى (المشهد الغيبي) الذي يزخر بكثرة شرر نارية، ضخمة، متتابعة في حركتها وسرعتها؛ ذلك أن لفظة(جمالة) على وزن فعالة، تفيد المبالغة والكثرة[3]، ولها أثر في النفس" لأن الجمالات إذا انفردت واختلط بعضها بالبعض فكل من وقع فيما بين أيديها وأرجلها في ذلك الوقت نال بلاء شديداً وألماً عظيماً، فتشبيه الشرارات بها حال تتابعها يفيد حصول كمال الضرر"[4].إضافة إلى ما يضفيه العنصر اللوني (صفر)، من إيحاء في الصورة ، إذ تغطي الصفرة المساحة المتخيلة، والصفرة ناتجة عن النارية التي في الشرر فتوحي بنار متحركة ومتتابعة مما يزيد من قوة التأثير ووقعه في النفس.

---

[1] الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج٣٠، ص٢٧٨.

[2] الزركشي، بدر الدين: البرهان، ج٢، ص٤٠٧. وانظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص٩٩٩.والسبكي، بهاء الدين: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج٢، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣. ص٧٧. وتباينوا في سبب قوتها فمنهم من يعزو ذلك إلى كونها مركبة من(الكاف) و(إن). ومنهم من يرى أنها بسيطة وليست مركبة، وقوتها تأتي من كثرة حروفها، فإن كثرة الحروف غالبا تدل على المبالغة.

[3] انظر: ابن سيدة: المخصص،ج ١٦، ص ١٠٣.

[4] الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج٣٠، ص٢٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومما تقدم عرضه، نجد أن الصورتين تصفان شرر جهنم فالأولى تصف الحجم والضخامة، والأخرى تصف الكثرة والحركة واللون. والنظرة الكلية للصورتين تجعلنا نقف على عناصر فيها، تناسقت وعملت على إبراز الصورة الكلية، فالفعل(ترمي) يشعر بدلالته الزمنية على تجدد رمي الشرر واستمراره، إضافة إلى تكرار العنصر الصوتي(الراء) وهو من الأصوات المكررة، يوحي تكراره خمس مرات، بتكرار عملية الرمي وتتابعه، كما أن تكرار أداة التشبيه بغير حرف عطف" أوكد في صفة الموصوف وأبلغ في نعته من التشبيه المعطوف ويدل على شدة التصاق الصفات بالموصوف"[1].

وبهذا تكون الصورة ــ بتشكيلاتها ــ قد تمكنت من إبراز صورة مؤثرة موحية ، جعلت المتلقي يتملى ضخامة النار، من هول ما ترمي به من شرر، فتحس النفس برهبتها وسطوتها، وتحاول الكف عما يتسبب الوقوع فيها، وهذا محور الصورة ومن أجله تشكلت.

وما زلنا في البنية الإفرادية المقيدة، ومعنى مقيدة: أن طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) مفردان، غير أنهما يرتبطان معا، أو أن أحدهما يرتبط "بقيود من متممات الجمل مما له علاقة بوجه الشبه والتقييد يكون: إما بالوصف، أو بالإضافة، أو المفعول، أو الحال، أو الظرف، ويشترط أن يكون له تأثير في وجه الشبه"[2]

ونجد في مادة الدراسة حضوراً لهذا النوع من التشبيه إلا أن التقييد ارتبط بأحدهما وهو المشبه به. فمن ذلك قوله تعالى:(خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)[3]

أراد القرآن ــ هنا ــ أن يصور المبعوثين حين خروجهم من أجداثهم يوم القيامة، وهم يتماوجون في كثرة لا تدرك العين مداها، فوجد في العنصر الحيواني(الجراد) صورة لذلك. وذلك من خلال الصورة التشبيهية المكونة من دالين محسوسين مشبه مفرد(هم) الذي يمثل الطرف الأول، ومشبه به مفرد(جراد) مقيد بالوصف(منتشر)، والوسيلة التي ربطت بين الدالين(كأن)، وهي التي مزجت بين صورتين صورة من الواقع المعيش وصورة من العالم الغيبي(خروج الناس من الأجداث).

والصورة الواقعية (الجراد)ــ بما فيها من خصائص ــ وكذا ما أضافته لفظة(منتشر) من تغيير في معنى الصورة، إذ نقلتها من معنى العموم إلى معنى الخصوص،ذلك أنها البؤرة في الصورة، أدت إلى اتساع الحدث، وأفادت التغطية الشاملة لانتشار الجراد في الأرض، ومثل

---

[1] الحسيني، سيد جعفر: أساليب البيان في القرآن، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٣، ص٣٦٦.

[2] (المرجع نفسه)، ص٩٥.

[3] القمر:٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا معهود وحاضر في ذهن المتلقي، مما يجعله ــ بواسطة المزج بين الصورتين ــ يملأ بخياله وجه الشبه المحذوف، فيتملى ذلك المشهد الغيبي، بما فيه من كثرة جموع منتشرة متفرقة يموج بعضها فوق بعض لا فرق بين "كبيرهم وصغيرهم وضعيفهم وقويهم ...الكل حيران مطاوع لمن نشره بعد ما كان فيه من سكون مختلط بعضه ببعض"[1]

فحققت الصورة ــ بهذا ــ البعد الذي ترمي إليه، وهو إثبات هول الحشر وتقريبه إلى الذهن فأحدث ذلك أثراً عميقاً في المتلقي ، هز كيانه النفسي،مما يجعله يترقب ذلك المشهد المرهوب والإعداد له.

إذاً فالصورة التشبيهية ــ هنا ــ لم تكن حلية للزينة، بل الوسيلة المناسبة للفكرة الموجهة، وتحقق بها الغرض المقصود بما فيها من غزارة وحركة وانبعاث. إذ يمكن للتعبير المجرد أن يحل محل هذه الصورة، إلا أنه لا يرقى إلى مستواها، ولا يحقق ما حققته، وكذا الأثر الذي أحدثته.

ونجد صورة تشبيهية أخرى تصور الكثرة، والانتشار يوم القيامة على غير نظام ــ كما تناولته الصورة التشبيهية السابقة ــ غير أن هذه الصورة تسلط على التخاذل والضعف والوهن، فوجدت في العنصر الحيواني (الفراش) ما يناسب ذلك. وذلك في قوله تعالى:(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)[2].

بنية الصورة التشبيهية ــ تتكون من دالين محسوسين: مشبه مفرد (الناس)، ومشبه به مفرد(الفراش) المقيد بلفظة(مبثوث)، والكاف هي التي ربطت بينهما، فجمعت بين صورتين ــ كما في الصورة السابقة ــ صورة من الواقع المعاش (الفراش المبثوث) وصورة من عالم الغيب(مشهد الناس يوم القيامة).

والصورة الواقعية(الفراش) ــ بما فيها من خاصية ضعف ووهن ــ ماثلة وحاضرة في ذهن المتلقي ، إذ هي الذباب الذي يتهافت في النار، سمي فراشاً لتفرشه وانتشاره.[3]، والتقييد بـ (مبثوث) أدى إلى تغيير في معنى الصورة، إذ نقلها من العموم إلى الخصوص، ذلك أنها البؤرة في الصورة، توحي دلالتها اللغوية بالكثرة والانتشار دون تماسك، وكذا دلالتها الصوتية، إذ إن الثاء ــ فيها ــ من أصوات التفشي، يصور ــ بتكراره ــ ذلك الانتشار والتفرق ويحاكيه.

وبهذا تكون الصورة الواقعية ــ باقترانها بالصورة الغيبية ــ قد رسمت صورة تقريبية للمشهد الغيبي جعلت المتلقي يملأ بخياله وجه الشبه المحذوف، فيتملى الخلق في كثرة

---

[1] البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٧، ٣٤٨.
[2] القارعة:٤
[3] الفخرالرازي: التفسير الكبير، ج٣٢، ص١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مستطارين بضعف وحيرة، وذلة، واضطراب، لا يملكون وجهة، ولا يعرفون هدفاً[1]. ومثل هذا ــ وهو ما ترمي إليه الصورة ــ يثير الفزع" ويطير له القلب شعاعاً، وترجف منه الأوصال ارتجافاً"[2] ويحس السامع ويستشعر، ما في ذلك اليوم من هول، إذ إن " الإنسان المتوازن الذي هو سيد الأجناس في الأرض يصبح كأتفه شيء في الوجود، فراش تافه... وهذا الهول أفقده كل شئ"[3] مما يجعله يعيد النظر في نفسه ويتأهب لمثل هذا اليوم وهوله.

ونتحول إلى التشبيه المركب، أو ما يعرف (بالتشبيه التمثيلي)، وهو كما يعرفه جمهور البلاغيين ــ ما كان وجه الشبه في صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور، ولا يشترطون فيه غير تركيب الصورة، سواءً أكانت العناصر التي تتألف منها صورته حسية أو معنوية، وكلما كانت الصورة المركبة أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ[4].

وهذا يعني أن بنيته لا تقيم تشابهاً بين عنصرين اثنين ــ كما في التشبيه الإفرادي ــ بل بين بنيتين اثنتين "فليس التمثيل بقائم إذن على علاقة تشابه، وإنما هو قائم على تشابه في العلاقة، أي أن التشابه فيه بين علاقتين: علاقة (أ) بـ (ب) من ناحية وعلاقة (ج) بـ (ب) من ناحية أخرى "[5] ، وهذا ما يجعله أحفل منظراً وأوسع مدى من التشبيه المفرد، كما أن له روعته في البيان وقوته في الإيضاح وجماله في التصوير"[6]، يقول الجر جاني: "إذا أتى التمثيل حجاجاً كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر، وإن كان افتخاراً كان شأوه أبعد، وشرفه أجد ولسانه ألد....وإذا كان التمثيل ذماً كان مسه أو جع وميسمه ألذع ووقعه أشد، وحده أحد"[7].

ونلحظ ــ في مادة الصورة ــ حضوراً لهذا النوع من التشبيه، نقف على بعض منها لنستجلي أبعادها ومراميها.

ومن ذلك الصورة التشبيهية التي تصور شدة إعراض المشركين عن الهدى ونفورهم عنه، في قوله تعالى:(فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ.فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ).[8]

---

[1] أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج٩، ص١٩٣.

[2] قطب، سيد: في ظلال القرآن،ج ٦، ٣٩٦٠.

[3] الشعراوي، محمد متولي: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ج١، ص١٩٤.

[4] عتيق، عبد العزيز: علم البيان،دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥، ص٨٦.

[5] صولة، عبد الله :الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج٢،جامعة منوبة، تونس، ٢٠٠١، ص٦٢٧.

[6] عبد التواب، صلاح الدين: الصورة الأدبية في القرآن، ص٥٣ ــ٥٤.

[7] الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تصحيح: أحمد مصطفى المراغي، ط٣، الحلبي، القاهرة، ص٨٦ ــ ٨٧.

[8] المدثر:٤٩ ــ٥١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والصورة ــ هنا ــ مركبة تركيباً مزجياً،ص إذ إن (كأن) ارتبط بها ضمير الرفع المتصل (هم) الذي يمثل الطرف الأول في الصورة(الإعراض والنفور)، ويتبعه ويمتزج به امتزاجاً كلياً الطرف الثاني(حمر مستنفرة فرّت من قسورة).

فمزجت الصورة ــ بواسطة الأداة ــ بين ما هو معنوي(الطرف الأول) وبين ما هو محسوس(الطرف الثاني)، ذلك أن تصوير المعنوي بالمحسوس يجسد ذلك المعنوي ويجعله ماثلاً للعيان وتدركه الحواس، فيكون له آثار نفسية عميقة " تبدو واضحة جلية ..... حيث تتعمق النفوس، وحيث تحيل المعاني المجردة الذهنية إلى مشاهد ملموسة محسوسة، تكاد تعيش فيها ــ إن لم تكن قد عاشتها بالفعل ــ نفوس الناس أجمعين".[1]

والصورة هنا رسمت الحالة النفسية ــ وهي المقصود أولاً ــ والمعنى الذهني مصاحبٌ لها، ذلك أنها رسمت " خوفهم وإعراضهم في حركة حمر الوحش المذعورة الخائفة، تجرى هاربة من الأسد الذي يطاردها، وهي صورة مجسمة لحالة النفوس الخائفة المضطربة، والتي فقدت السيطرة على أعصابها فولت هاربة في كل ناحية"[2]

ونجد أن الاختيار المقصود لعناصر الصورة، هو الذي أبرز تلك المعاني وجعل الصورة حية متحركة، يتملى المتلقي منظرهم هذا ، وهم معرضون عن الهدى، فلفظة(حمر) ــ إضافة إلى ما في تشبيههم بها من مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم ــ يدل جمعها ــ الذي هو على وزن فُعُل ــ على الحمر الوحشية التي تعيش في مجموعات كبيرة لا تكاد تفترق، الأمر الذي يجعل فزعها يحدث ضجة ويثير غباراً. وتتابع حركات الضم على تلك الصيغة ــ والتي في نطقها تتجه الشفتان إلى الأمام، يحاكي بها انطلاق الحمر وفرارها إلى الأمام، وهو ما لا تنهض به لفظة(حمير) وذلك لأن (الياء) فيها يوحي بتراخ وتباطؤ في الحركة.

كما أن لفظة (مستنفرة)تدل ــ إضافة إلى الغباء الذي دلت عليه(حمر) ــ على شدة النفور لأن الهدف الغباء مع شدة النفور، والتعبير بها أدق معنى من (النافرة، ذلك أن (السين والتاء) فيها "للمبالغة والوصف"[3]، كما أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، فدل بهذا على شدة النفار" أي مُوجدة للنفار بغاية الرغبة حتى كأنها تطلبه من نفسها لأنه من شأنها وطبعها"[4] فتستنفر بعضها بعضاً وتحث على الهروب والنفور، وهذا مناسب

---

[1] عبد التواب، صلاح الدين: الصورة الأدبية في القرآن، ص٥٦.
[2] الراغب، عبد السلام: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص١٤٨.
[3] انظر: الأندلسي، أبوحيان: البحر المحيط، ج٨، ص٢٣٨.
[4] البقاعي: نظم الدرر، ج٨، ص٢٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لحالة المعرضين عن الحق الذين لا يكتفون بإعراض نفوسهم، بل يتواصون فيما بينهم، ويحضون عليه.

وتزداد الصورة وضوحاً وتمكناً في النفس، عندما يلحق بها جزْءاه (فرت من قسورة)، وما يوحي به اختيار لفظ (قسورة) من معان ــ ليست في لفظ الأسد ــ إذ تدل على العزيز الغالب والقسر والقهر والغلبة[1]. إضافة إلى ما توحي به دلالة القاف الصوتية من قوة، تزيد من تصوير قوة أسد هصور فيه رعب ورهبة ، فيكون الفرار منه أشد، وتمتلئ منه النفس خوفاً.

كما أن تكثيف صوت الراء في الصورة يزيد من حركتها، إذ كُرر خمس مرات، وهو من الأصوات المكرورة ــ يحاكي بتكراره حدث الفرار بما فيه من اضطراب وتفرق.

وبهذا تكون الصورة ــ ببنيتها التركيبية ــ وكذا الدقة في اختيار مفرداتها وما فيها من قيم صوتية مقصودة ــ قد جسمت الحالة النفسية للمعرضين بصورة "مضحكة تثير السخرية والعجب... بمشهد حمر الوحش وهي مستنفرة تفر في كل اتجاه، حين تسمع زئير الأسد وتخشاه..وهو مشهد عنيف الحركة مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون...إنها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد وتسجله في صلب الكون، تتملاه النفوس، فتخجل وتستنكف أن تكون فيه، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل، ويتطامنون من الإعراض والنفار مخافة هذا التصوير الحي العنيف"[2]

ونأتي إلى الصورة التركيبية تركيباً تقابلياً" والمراد بهذا التركيب هو ما يمكن المقابلة بين أجزاء الطرفين بواسطة علاقة تجمعهما...غير أن المراد من إقامة العلاقة التشبيهية هو التركيب الكلي، سواء داخل الطرفين أو الطرفين معاً ، فالأساس إذاً هو التركيب وليست التجزئة مع صحة إقامتها في مقابلة الأجزاء بعضها بالبعض الأخر".[3]

من ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[4].

يعمد القرآن في هذه الصورة إلى الحيوان (العنكبوت) ليصور به ضعف الآلهة من دون الله، ومتخذيها، وذلك من خلال موقعها في الصورة التشبيهية التركيبية التقابلية، ذلك أن بنيتها تتكون من المشبه المركب(المشركين) وعلاقتهم بـ (الآلهة) يقابله المشبه به المركب من

---

[1] انظر: المعجم الوسيط، ماد(قسر).
[2] قطب سيد: في ظلال القرآن، ج٢٩، ص٣٧٦٢.
[3] بلخضر، أحمد الزهري : التشبيه صوره وألفاظه، دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير)، جامعة باتنة، الجزائر،ص:١٣١.
[4] العنكبوت: ٤١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(العنكبوت) واتخاذها(بيتا)، والرابط بين البنيتين(الكاف) بعلاقة جامعة هي (الوهن) في كل منهما. وفي نفس الوقت يمكن أن نقابل بين (المشركين) من الطرف الأول وبين (العنكبوت) من الطرف الثاني، وذلك في الغباء وضعف التدبر، وكذلك الأمر بين(الأولياء) و(البيت) من كلا الطرفين، غير أن المراد من إقامة العلاقة التشبيهية هو التركيب الكلي.

وإذا ما حللنا عناصرها التركيبية إلى رموز نجد أنها تتمثل بالشكل الآتي:

(أ) المشركون

(ب) الأصنام(الآلهة)

(ج) العنكبوت

(د) بيتها

وعلى هذا يكون التمثيل حاصلاً لا بين المشركين والعنكبوت فحسب، أو بين الأصنام وبيت العنكبوت فحسب، وإنما هو حاصل بين(أ) أي المشركين في علاقتهم بـ (ب) أي (الأصنام)، وبين(ج) أي العنكبوت في علاقتها بـ (د) أي بيتها الواهي.

فاستطاعت الصورة ــ بعلاقتها التركيبية ــ تجسيم وتوضيح المعاني المجردة (الولاية لغير الله، وطلب النصرة من غيره)، إذ برزت حقيقة ذلك وتجسمت في اقترانها بالصورة الحسية(احتماء العنكبوت ببيتها الواهي)، التي لا تبرح فكر المتلقي ولا تغادر شعوره، وتجعله يتملى منظر أولئك ــ وهم يتخذون آلهة من دون الله ــ عناكب، يتخذ كل منهم لنفسه بيتاً مهلهلاً يحتمي به" ليست له مقومات البيوت ولا إحكام البناء"[1]، وهو أوهن وأضأل بيت، ولكنهم لا يعلمون هذه البديهة المنظورة، فهم يضيفون إلى الضعف والوهن الجهل والغفل، حتى يعجزوا عن إدراك البديهي والمنظور.

فأضافت الصورة إلى هذا التجسيم السخرية منهم والاستهزاء بهم، مما يحدث أثراً ووقعاً في النفس لا يدانيه وقع أي معنى مجرد، إذ كيف تكون نفسية ذلك المتخذ ولياً من دون الله " حين يكتشف أن ما يحتمي به ليس إلا بيت عنكبوت؟ وكيف يكون ضحك الناظرين إليه وسخريتهم منه لو أن رساماً رسمه في رسم تعبير(كاريكاتير) وهو يحتمي من أعدائه بنسيج عنكبوت؟ ثم لو أن رساما استطاع بمهارة أن يرسم أعداء الله وقد تحصنوا ببيوت العنكبوت ليحتموا بها من مهاجمة المسلمين"[2]، فأية روعة فنية يثيره هذا التصوير القرآني التعبيري.

---

[1] الصغير، محمد حسين علي: الصورة الفنية في المثل القرآني، ص١٩٤.

[2] حفني، عبد الحليم: التصوير الساخر في القران الكريم، ص١٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإلى ذلك كله فإن الصورة ــ من خلال تصوير وإبراز حقيقة ضعف الآلهة والقوى المتصارعة ــ قد تمكنت من تقرير حقيقة ضخمة في النفوس ــ عنى القرآن بتقريرها في نفوس الفئة المؤمنة ــ وهي أن هناك قوة واحدة هي قوة الله، وما عداها من قوى، فهزيل واهن.

أراد القرآن أن ينقل إلينا حقيقة الصلة بين اليهود وتعاليم التوراة، إذ قد كلفوا نقل الأمانة، وأدركوا سر العقيدة، وتحملوا عبء التوراة، ثم نكصوا على أعقابهم، وتخلوا عن كل ذلك، فهم لا يعملون بمضمونها، ولا ينتفعون به، فعمد ــ لإبراز ذلك وتوضيحه ــ إلى الصورة التشبيهية التي اعتمدت صورة الحمار، دون غيره لما فيه من خصائص ــ كالجهل والبلادة ــ تناسب الفكرة الموجهة، وذلك في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ...)[1].

تتكون الصورة ــ هنا ــ من المشبه المركب (الذين حملوا التوراة)، والمشبه به المركب (الحمار يحمل أسفارا)، وأداة التشبيه(الكاف) وهي التي جمعت بين طرفي الصورة العارية من وجه الشبه، المنتزع من بين مجموع العناصر التركيبية للطرفين، وهو عدم الانتفاع والإفادة.

ويمكن أن نحلل عناصر الصورة على النحو الآتي:

(أ) هم اليهود

(ب) التوراة

(ج) الحمار

(د) الأسفار

فالتمثيل هو: اليهود في علاقتهم بالتوراة كلفوا علمها ولم ينتفعوا به مثل الحمار في علاقته بالأسفار يحملها ولا علم له بمحتواها ولا نفع له به، فيكون الشكل الحاصل لنا من البنيتين السابقتين، هو أب ← ← ج د، ويمكن أن نعتبرها في شكل (أ ب ← ←ج ∅)، وهي بنية طريفة على نحو ما، ووجه الطرافة فيها أن بنية المُمَثَّل، وهي التي جاءت تامة تضيء بنية الممثل به التي جاءت مشتملة على محل شاغر ∅ وتفصيله فيما يلي:

(أ) اليهود كلفوا أمر التوراة ← ← الحمار يحمل أسفارا.

(ب) ثم هم لا ينتفعون بالتوراة ← ∅ .

---

[1] الجمعة:٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقياساً على (ب) يمكن أن نملأ المحل الشاغر ∅ بقولنا" وهذا الحمار لا ينتفع بما يحمل"، وعل هذا تكون البنية(أ ب) هي التي توضح البنية (ج د) أو بالأحرى (ج ∅)، ذلك أنه لا شيء في قوله (الحمار يحمل أسفارا) يحط من قيمة الحمار فلمثل هذا جعل الحمار، ويعني هذا أنه لا يوجد أي حكم سلبي في قولنا (الحمار يحمل أسفارا)، وإنما يأتي الحكم السلبي من البنية (أ ب)، وتحديدا من قوله (ثم لم يحملوها)، الذي فسره الزمخشري ، بقوله" لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها"[1]. غير أن القيمة السلبية في قوله:(الحمار يحمل أسفارا) موجودة بالغياب في أذهان المتلقين إذ من المشهورات عدم انتفاع الحمار بمحتوى الأسفار التي يحملها وهذا هو الذي يحدد هذه الصورة في الشكل(أب ← ج د).[2]

وعلى هذا تكون الصورة ــ بمجموع علاقتها التركيبية ــ قد أبرزت الأمر المعنوي (عدم العمل بالتوراة والانتفاع بها) بقالب حسي (الحمار يحمل أسفارا) مما جعلنا نتملى اليهود قطيعا من الحمير تسير وهي تحمل على ظهورها كتب العلم، وهي لا تنتفع بها ولا تدري ما بداخلها، وهذا أبلغ تشخيص لهم، وفيه إشعار بالمهانة، وتصريح بالتحقير في صورة يائسة مزرية، تجلب السخرية، والاستهزاء، مما يجعل النفوس تنفر وتزداد عزوفاً وابتعاداً عن الصورة المتخيلة.

ب- الاستعارة:

الاستعارة محور من محاور التصوير، تعتمد مبدأ التشابه، والتعريف المبسط لها ــ كما ذهبت البلاغة ــ تشبيه حذف أحد طرفيه، يقول الجر جاني، مثلاً، :" أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول : رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسداً"[3]، أو كما عرفها(ديمرسيه)، ــ الذي أورده (فايز القرعان) ــ " الاستعارة صورة ننقل بواسطته الدلالة الخاصة إلى دلالة أخرى لا تناسبها إلا بوجه شبه موجود في الذهن"[4].

فتشارك ــ باعتمادها على مبدأ التشابه ــ التشبيه في العملية التصويرية التي تعتمد في الأساس على الخيال لطرفيها، غير أن الفرق الجوهري بينهما متأت من جدل العمق والسطحية بينهما من حيث طاقتهما الدلاليتان المتفارقتان، يقول الرباعي: " ويأتي عمق الاستعارة

---

[1] الزمخشري : الكشاف، ج٤، ص١٠٣.
[2] صولة، عبد الله: الحجاج في القرآن الكريم، ج٢، ص٦٣١.
[3] الجر جاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص٦٧.
[4] القرعان، فايز : التشكيل البلاغي للصورة الشعرية، ص٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسطحية التشبيه من أن الحدود بين طرفي التشبيه تبقى منفصلة، ويعمل كل طرف منها بذاتية وتفرد، بينما تلغي الاستعارة الحدود"[1]وتكاد تتخطى سطحية التشابه والتماثل إلى التوحد والاندماج بين الطرفين والخروج بصورة جديدة"[2]

"وتتصدر الاستعارة بشكل كبير بنية الكلام الإنساني، إذ تعد عاملاً رئيساً في الحفز والحث، وأداة تعبيرية، ومصدراً للترادف، وتعدد المعنى، ومتنفساً للعواطف والمشاعر الانفعالية الحادة،و وسيلة لملء الفراغات في المصطلحات"[3].

كما أن اللجوء للاستعارة" يحقق للغة نمواً وتطوراً، وحركة بعد أن كانت ساكنة، إذ يحررها من محبسها القاموسي، فتتفتق في التشكيل وجوه جديدة من الدلالات المتغايرة"[4].

وقد أظهر الأسلوب البنائي لطرفي الاستعارة بنيتين تركيبيتين، الأولى البنية التي يذكر فيها المشبه به، ويحذف المشبه، وهي ما سميت في البلاغة العربية بالاستعارة التصريحية. والثانية البنية التي يذكر فيها المشبه ويحذف المشبه به، وهي ما سميت في البلاغة العربية بالاستعارة المكنية.[5]

والقرآن الكريم يتخذ من الاستعارة، وسيلة تعبيرية يحقق ــ بما بها من خصائص ــ الأغراض والأبعاد التي يرمي إليها، وهو ما لمسناه في بنية الصورة مادة الدراسة، ومن أجل الكشف عن ذلك نقف على نماذج منها.

ونبدأ بالاستعارة التصريحية، في قوله تعالى:(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ)[6].

تتمثل الاستعارة في (المخبتين) ، إذ إنه في الأصل مشتق من الخبت وهو المكان المنخفض،واستعير هنا للمتواضعين[7]؛ ذلك أنه شبههم بمن سلك نفسه في المكان المنخفض فغيب المشبه، وأحضر المشبه به، فنتج عن ذلك استعارة تصريحية ، تجسدت بها الصفات المعنوية (التواضع)، بصورة محسوسة مؤثرة، ذلك أنها أبرزت صورة الذين استحقوا البشرى من الله،

---

[1] الرباعي، عبد القادر: الصورة في الفنية في النقد الشعري: دراسة في النظرية والتطبيق، ط٢، مكتبة الكتاني، إربد، الأردن، ١٩٩٥، ص٩٦.

[2] القرعان، فايز: التشكيل البلاغي للصورة الشعرية، ص٧٩.

[3] أبو العدوس، يوسف: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأبعاد المعرفية والجمالية، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، عمان، الأردن،ص١١.

[4] قوقزة، نواف: نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد، مع دراسة تطبيقية في شعر عمر النص، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ص١٤٦.

[5] انظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص٣٧٣.

[6] الحج:٣٤.

[7] ابن عاشور التحرير: التحرير والتنوير، ج١٧، ص٢٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنهم أولئك المبالغون في التواضع، الذين تجردوا لله، في تصرفاتهم لا يبغون أدنى شهرة، فأوحت الاستعارة بهذه المعاني ، التي ملأت نفس المتلقي إحساساً عميقاً بمعانيها، فتتجاوب أصداؤها في نفسه، فينفعل بها ويستجيب لمعانيها. ولو وضعنا لفظة أخرى محلها، كالقول (وبشر المتواضعين)، لما استطاعت أن تعبر عن كل تلك المعاني التي كثفتها الاستعارة، وما أوحت به.

وإلى ذلك كله، فإنها تتناسب مع السياق، إذ "إن أفعال الحج من نزع ثياب والتجرد من المخيط، وكشف الرأس، والتردد في تلك المواضع الغبرة المحجرة، والتلبس بأفعال شاقة لا يعلم معناها إلا الله تعالى مؤذن بالاستسلام المحض والتواضع المفرط، حيث يخرج الإنسان عن مألوفه إلى أفعال غريبة، ولذلك وصفهم بالإخبات"[1].

وفي قوله تعالى:(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا)[2]. نلحظ تعبيراً استعارياً في" الموريات" ذلك أن الموريات هي التي توري أي توقد، والقدح حك جسم على آخر ليقدح ناراً، يقال: قدح فأورى، فاستعير ــ هنا ــ (للخيل) حينما تصك بحوافرها ــ أثناء العدو ــ الحجارة، فتقدح فينبعث منها الشرر.

فصورت الاستعارة الخيل تطلب النار عن قصد، وإرادة، والقاصد للنار يقدح بضربات متتابعة بشدة وإصرار لحاجته إلى النار، وهو ما دل عليه اسم الفاعل (الموريات). وبهذا تكون الاستعارة قد أسهمت في تصوير عنف العدو وشدته وسرعته، وإبرازه بشكل موح ومعبر، يتناسق مع عناصر الصورة الكلية ــ التي تحدثنا عنها سابقاً [3] ــ والتي أبرزت صورة عنيفة لغارة مفاجئة، تحقيقاً للغرض الذي من أجله تشكلت الصورة.

ومن ذلك ــ أيضاً ــ قوله تعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ .... يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ . قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ).[4] والاستعارة ــ هنا ــ (أضغاث) إذ إن الأضغاث مفرده ضِغث، وهو الخليط من الحشيش المضموم بعضه إلى بعض كالحزمة أو ما يجري مجراه[5].غير أن القرآن وضعها في غير ما وضعت له، إذ شبه ــ القرآن ــ اختلاط الأحلام وما مر به الإنسان في منامه، من المحبوب والمكروه، الخير والشر باختلاط الحشيش المجموع من أصناف كثيرة بجامع الاختلاط

---

[1] الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ج٦، ص٣٤٢.
[2] العاديات:١ ــ ٢.
[3] انظر: ص ٤٩ من هذا البحث.
[4] يوسف٤٣ــ٤٤.
[5] القرطبي: تفسير القرطبي، ج١، ص٢٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من غير تمييز بين الجيد والرديء، فحذف المشبه ،وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية وقرينة الاستعارة ، إضافة الأضغاث إلى الأحلام.[1]

فتمكنت الاستعارة من تصوير حيرة الملأ وعجزهم عن تأويل الرؤيا، إذ إن التعبير بـــ (أضغاث) توحي بذلك التحير، ذلك أنها أظهرت اختلاط الرؤيا بصورة محسوسة (اختلاط الحشيش)، فجعلت المتلقي يحس بذلك التداخل، ويشعر بمدى الإرباك الذي حل بالملأ تجاه هذا التداخل. كما أنها تلقي بظلالها على يوسف ــ عليه السلام ــوما وهبته السماء من كمال في هذا العلم، وتبحر فيه، إذ اهتدى ــ بذلك ــ إلى تأويل وتوضيح، ما أشكل على الملأ وحيرهم.

ونأتي إلى الاستعارة المكنية التي ــ كما ذكرنا ــ غيب فيها المشبه بــه مــن التشبيه، واستبقي لازم من لوازمه، وإضافة هذا اللازم إلى المشبه في التعبير الأدبي، عملية لغوية فنية ــ ترسم لنا صورة مجسمة يتمثل فيها المحسوس غير العاقل شخصاً، ويتجسد من خلالها المشبه المعنوي محسوساً.[2]

وفي ضوء هذا الفهم نرى للاستعارة المكنية غرضين:أولهما ــ تشترك فيه مع التصريحية ــ تجسيد الأمور المعنوية وإبرازها للحواس في كيان مسادي ملمــوس. والثــاني، تــشخيص الجمادات وبث الحياة فيها ومنحها الحركة بشتى مظاهرها، يقول الجرجاني:" فإنك لتــرى بهــا الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جليــة..."[3]. ومن الاستعارة المكنية التجسيدية، ما نجده في قوله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّــذِي آتَيْنَــاهُ آيَاتِنَــا فَانسَلَخَ مِنْهَا ... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ).[4]

فالاستعارة تتمثل في (انسلخ)، حيث استعير الانسلاخ بدلاً من الترك أو التخلي أو الكفــر، ذلك أن الآيات في إدراك المعرفة أمر عقلي، وأن السلخ أمر مادي، فشبه الآيات بشاة، أوأديــم، فحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه(الانسلاخ)، فيكون بهذا قد جــسد المعقــول وجعلــه محسوساً.

والتعبير بـــ(انسلخ) بدلالته الحسية، يفوح بمعان ودلالات، إذ ينبئ عن مدى ما وصــل إليه المنسلخ من اتصال والتصاق بالآيات، وتنبئ ــ أيضاً ــ عن استحالة العلاقة بينهمــا أبــداً

---

[1] الحسيني، سيد جعفر: أساليب البيان في القرآن، ص٥٥٨.
[2] البصير، كامل حسين: بناء الصورة الفنية، ص٣٣٩.
[3] الجرجاني ، عبد القاهر: أسرار البلاغة،قراءة وتعليق محمود محمد شــاكر، ط١، مطبعــة المــدني، ١٩٩١، ١٥٧.
[4] الأعراف: ١٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"للإيذان بكمال مباينته للآيات بعد أن كان بينهما كمال الاتصال"[1].كما أن لها دلالة نفسية عميقة، إذ تصور المعاناة النفسية للمنسلخ، والمشقة التي كابدها في انسلاخه ؛ذلك أن الانسلاخ حركة حسية قوية.

وعلى هذا تكون اللفظة المستعارة، قد رسمت ــ مستقلة ــ المشهد التصويري لحالة هذا المنسلخ" في تلاشي عناصر الخير عنده جملة، وتجرده منها تجرداً كاملاً يوحي بكيفية تجرد الشاة عن إهابها، ونزعها لردائها أثناء السلخ في بطء، وتدرج وشدة حتى عادت سنحاً آخر في الهيكل والصورة والتحول وكذلك أمر هذا الرجل إذ استحال إلى حقيقة أخرى جوفاء مترهلة"[2].

ولو كان التعبير بالحقيقة(كفربها، أو تركها، أو أعرض عنها) فإنه لا يدل على ما دلت عليه تلك الاستعارة، وما رسمت من صور موحية، ومعبرة، اخترقت بشعاعها نفسية المتلقي، وأثرت فيه تأثيرا عميقا. ويزداد تأثيرها ويتعمق في إيراد الصورة القرآنية كاملة، وذلك بإبراز الصورة التشبيهية(فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)، إذ مهدت الصورة الاستعارية (أنسلخ) لهذه الصورة التشبيهية " لإخراجها بهذه الصورة التي تثير الاشمئزاز والتقزز في المتلقي والنفور، لأن صورة الكلب هي التي تبعث هذه الاحساسات النفسية، فقد شخص ذلك المنسلخ عن آيات الله في صورة كلب وهو يدلع لسانه ويسيل لعابه، وتخفق أضلاعه في الحالتين (إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث) أي في حالتي التعب أوالراحة، وهذه أنسب صورة لإثارة الشعور المنفر في السامع، وأنسب صورة معبرة عن حالة الذي انسلخ من آيات الله، فهي صورة محذرة وموقظة للنفوس وهي تسمع إليها، وتنصت، لأن الكلب هو الكائن الحي الذي يناسب مقتضى الحال"[3].

وفي قوله تعالى:(وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ).[4] يذهب كثير من الدارسين إلى أن في جملة(واشربوا في قلوبهم العجل) مجازاً بالنقصان، إذ إن فيها مضافاً محذوفاً لدلالة المعنى عليه، وهو لفظ(حب) والتقدير: حب العجل، وأن هذا الحذف ــ حسب ما رأوا ــ يدل على المبالغة في حب العجل وتمكنه في قلوبهم.[5]

---

[1] أبو السعود : (إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢٩٢.

[2] الصغير، محمد حسين علي: الصورة الفنية في المثل القرآني، ص٢١٧.

[3] قاسم، محمد محمود صالح: التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٢، ص١٧٢.

[4] البقرة:٩٣.

[5] انظر الزركشي: البرهان، ج٣، ص١٤٨. البغوي: تفسير البغوي، ج١، ص٩٥.ابن الهائم، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد: التبيان في تفسير غريب القرآن،ج١، تحقيق فتحي أنور، دار الصحابة للتراث، طنطا،١٩٩٢، ص٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويبدو أن عدم الحذف ــ على سبيل أن في الجملة استعارة مكنية ــ أبلغ من الحذف، وقد وجدت إشارات تقول بعدم الحذف، جاء في روح المعاني:" وجوز أن يكون العجل مجازاً عن صورته فلا يحتاج إلى الحذف"[1].

وذلك لأن في التصوير الاستعاري مبالغة لا تتحقق بتقدير محذوف، إذ إن لفظة(أشرب) المستعارة تتسلط فاعليتها وثقلها الدلالي على ذات العجل،ــ وهذا مالا يحدثه التصوير بالحذف إذ يحيل الذهن إلى متعلقه (الحب) ــ مما يجعل للصورة الاستعارية قوة في التأثير ومبالغة في نقل الحالة النفسية، ذلك أنها ترسم حركة تخيلية للعجل يدخل في قلوبهم إدخالاً عنيفاً بطريقة غير مألوفة، "ولكن هذه الصور غير المألوفة تتناسق مع حب اليهود للعجل وعبادتهم له فهي تجسم هذا الحب الشديد غير المألوف في صورة حسية غير مألوفة أيضا فيها شدة وغلاظة، تناسب حبهم الغليظ لعبادة العجل وتتلاءم مع غلاظة طباعهم أو مشاعرهم التي تحولت بسرعة من الإيمان إلى الكفر، كما أنها تنقل دقائق نفوسهم وما فيها من مشاعر وأحاسيس، إذ تجعل عبادة العجل مشروبا لذيذا أشربوه بفاعل فاعل دفعة واحدة، وأشربوه في القلوب دون غيرها لأنها مواضع العواطف"[2].وما موقع(في قلوبهم) إذ تتقدم(العجل) من حيث هي تمثيل خطي؟ فهذا يفيد مدى التعلق والالتصاق من خلال دلالة(الظرفية) في تقدمها على المفعول فضلاً عن توثيق ذلك والمبالغة في توكيده.

ومن الاستعارة المكنية(التشخيصية) ــ والتي من خصائصها خلع الصفات الإنسانية على الحسي والمادي ــ في مادة الدراسة، قوله تعالى: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ)[3].

تتحدد الاستعارة في (طوع) ؛ ذلك أنها تستخدم في الحقيقة على تطويع شخص لشيء محسوس كتطويع الحديد أو ما شابهه غير أن التطويع هنا اسند للنفس، يقول الشعراوي" لا يقال طوعت الشيء إلا إذا كان الشيء متأبيًا على الفعل، فلا تقل أنا طوعت الماء، وإنما تقل طوعت الحديد... فهل نفسه هي التي ستقتل ؟ وهل نفسه التي طوعت؟"[4]. فاكتسبت النفس ــ بواسطة هذه الاستعارة التشخيصية ــ إنسانية الإنسان وأفعاله ــ ذلك أنها جردت من نفسه شخصاً يذلل له القتل ويدفعه إليه، فدل هذا التشخيص على قوة داعي الشر في نفس (قابيل) وتمكنه منه، إذ برز شخصاً يدفعه ويحثه على القتل.

---

[1] الألوسي: روح المعاني، ج١، ص٣٢٦.
[2] الراغب، عبد السلام: وظيفة الصورة الفنية، ص١٤١.
[3] المائدة: ٣٠.
[4] الشعراوي، محمد متولي: قصص الحيوان في القرآن، ص١٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما نلمس في تطويع القتل ، استعارة ــ أخرى ــ مكنيةً تجسيديةً ، إذ إنه جعل القتل شيئا محسوساً متعاصياً، فدل بهذه الاستعارة، على حدوث تردد في نفس قابيل ومغالبة وتجاذب وتصارع وتدافع بين دافع الحسد ودافع الخشية، فتغلب دافع الحسد على دافع الخشية.

نصل من هذا إلى أن التصوير(التشخيص، والتجسيد) هنا قد أبرز فظاعة حال القاتل، وتصوير خواطره الشريرة وقساوة قلبه.

ومن التشخيص ــ أيضاً ــ (يا ويلتا) في قوله تعالى: (قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ)[1].

فكشفت الاستعارة ــ هنا ــ عن الحالة النفسية التي عليها (قابيل) ، وذلك عندما دهش ، حينما رأى أن ما حيره، وأعجزه (مواراة جسد أخيه) ، قد قام به من هو دونه في الخصائص والصفات (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ)[2].فشعر بالصغر والانكسار، فامتلأت نفسه الكالحة حسرة وخيبة.فعبرعن تلك الحالة وفاح بها ذلك الانزياح، في قوله (يا ويلتا)، إذ نادى ما لا يعقل ليكون ذلك النداء المنحرف عن المألوف كلمة تعبر عن جزع وتحسر، ذلك أن الويلة ــ كالويل ــ تعني الهلكة، وكأن المتحسر ينادي هلاكه وموته، ويطلب حضوره بعد تنزيله منزلة من ينادى، ولا يمكن أن يطلب الموت إلا ممن كان في حال أشد منه.[3]

والانزياح من ياء المتكلم ــ ياويلتي ــ إلى الألف في(يا ويلتا) يحاكي ذلك الصوت الذي يخرج من أعماق قلب منكسر مثقل بالضيق، للتنفيس والحصول على شئ من الانشراح يلطف ما به من كرب.

ونتحول إلى الاستعارة في الحروف، وهي كثيرة في القرآن ،وأول من تنبه إلى هذا النوع من الاستعارة، هو الزمخشري[4]. ومن هذه الاستعارة في ــ مادة الدراسة ــ ما نجده في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ)[5].

تتمثل الاستعارة في الحرف(في) في قوله تعالى:(ألم يجعل كيدهم في تضليل)، و(في) للوعاء، لا يدخل إلا على الحسي، ولكنه هنا استعير وأدخل على المعنوي (تضليل)

---

[1] المائدة:٣١.

[2] المائدة: ٣١.

[3] الألوسي: روح المعاني، ج٦، ص١١٦.

[4] أبو موسى،محمد: التصوير البياني: دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتضليل" جعل الغير ضالاً، أي لا يهتدي لمراده وهو هنا مجاز في الإبطال وعدم نوال المقصود لأن ضلال الطريق عدم وصول السائر"[1].

فدل التعبير بـ (في) على أن كيدهم داخل ظرف من الضياع والضلال، إذ إن الضلال قد استغرق كيدهم واحتواه من كل جانب، وأصبح الكيد غارقاً فيه، فلم ينتفعوا بقوتهم مع ضعف أهل مكة وقلة عددهم..وقد شمل كيدهم جميع ما حلّ بهم من أسباب الخيبة وسوء المنقلب"[2].

ونحط الرحال في الاستعارة التمثيلية(المركبة)، وهي تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[3].وهي بهذا تخالف مجاز الإفراد لأن التجوز فيه يقع في الكلمة المفردة..أما التمثيل، فالمفردات فيه حقائق،والتجوز يقع في مجموعها[4].

ومن هذه الاستعارة ـ في مادة الدراسة ـ قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[5].

تتمثل الاستعارة في مجموع مفردات (وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها)، إذ صور قدرة الله على الخلق ، وتمكنه منهم، وهم أسراء تحت تصرفه وقهره كحال من أخذ بناصيته" وهي صورة محسوسة للقهر والقدرة تصور القدرة آخذة بناصية كل دابة على هذه الأرض، بما فيها الدواب من الناس. والناصية أعلى الجبهة. فهو القهر والغلبة والهيمنة في صورة حسية تناسب الموقف"[6].

وهذه الصورة الحسية(الأخذ بالنواصي)، توقظ شعور المتلقي وتثير فيه إحساساً بالرهبة، وتجعله يحس بقدرة الله وتصرفه، وتسلطه، وقهره، وقربه، وتمكنه ،وعلمه بكافة خلقه، ذلك أن الأخذ بالنواصي يوحي بذلك ويزيد.

ولو جاز لنا أن نبدل التعبير المجازي بالتعبير الحقيقي كقولنا (وما من دابة إلا هو متصرف بها) لا يوحي بما أوحته تلك الاستعارة، وما أثارته فينا من إحساس ورهبة.

---

[1] ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج٣٠، ص٥٤٨.
[2] المرجع نفسه، ج٣٠، ص٥٤٨.
[3] الحسيني، سيد جعفر: أساليب البيان، ص٦٣٦.
[4] عبد المطلب، محمد: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص١٨٦.
[5] هود:٥٦.
[6] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج٤، ص١٨٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ج- المجاز المرسل:

هو من أهم تقنيات التصوير ينتمي ــ كالاستعارة ــ إلى المجاز اللغوي، غير أن علاقته في استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي، لا تقوم على المشابهة؛ لذلك سمي مرسلاً، لأنه لم يقيد بعلاقة مخصوصة، بل ردد بين علاقات كثيرة.[1]

ويعد من الوسائل التي تساعد على بلاغة التعبير، وعلى جمال وقعه نفوس المتذوقين، ذلك أن المعنى ينقل من مدلول اللفظة الأصلي أو الوضعي إلى مدلول جديد هو اكثر اتساعاً، وأبعد أفقاً، وادعى إلى التأمل، فيه نخلص من قيد العبارة وضيقها[2]. فتثرى اللغة وتنمى، وتزيل عنها الرتابة التعبيرية، كما أنها طريقة مثيرة لخيال المتلقي، ومؤثرة في نفسه فهي تلفت المتلقي إلى خروج التعبير عن المألوف فتحرك خياله، وتنشط ذهنه ليدرك العلاقات الجديدة في التعبير المجازي[3].

وتناوله ــ في مادة الدراسة ــ لن ننشغل بتفريعاته وتقسيماته، بل نتوجه ــ من خلال بعض النماذج ــ إلى إبراز ما في التعبير به من دلالات وإيحاءات، تناسب السياق وتتفاعل معه، لأبرا ز الفكرة المستهدفة. من ذلك قوله تعالى: (وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)[4].

ففي هذه الآية مجازان : الأول في (واسأل القرية)، والثاني في(العير)، التي يعمل فيها ــ بالعطف ــ فعل (اسأل). فالدال في الآية الأولى القرية والمدلول أهلها، وبين الدال والمدلول علاقة ارتباط وتفاعل، لأن ذكر القرية يذكِر بالمدلول مباشرة (أهلها)، وكذلك العير وأصحابها. فعلاقة المجاز ــ إذن ــ في القرية، هي المحلية، وقد تكون مكانية، والعلاقة في(العير) المجاورة.

والانزياح عن (أهل) إلى القرية، وعن (أصحاب)، إلى العير، يكشف عن معان نفسية، إذ إن أخوة يوسف هذه المرة ــ وقد كانوا صادقين ــ أرادوا أن يبرهنوا لأبيهم بأنهم صادقون فيما أخبروه، ولكن ماضيهم يقف عقبة أمام هذا الإثبات فكيف إذن لهم أن يعبروا عن صدقهم النفسي؛ هذا التعبير(واسأل(القرية)، و(العير) تكفل بكشف تلك المعاني النفسية التي أرادوا ايصالها إلى أبيهم، إذ كان الخبر لشهرته وشيوعه قد علمت به القرية بكاملها بحجارتها وتربتها وأهلها، ولم يعد أدنى شك فيها، فهي من الوضوح بحيث لو سأل الجماد والحيوان عنه لنطقت

---

[1] انظر: الزركشي: البرهان، ج٢، ص٢٩٩. الحسيني، سيد جعفر: أساليب البيان، ص٣٩١

[2] أبو العدوس، يوسف: المجاز المرسل والكناية ، الأبعاد المعرفية والجمالية، ص١٠٣.

[3] الراغب، عبد السلام: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص١٠٢.

[4] يوسف:٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

به، وهذا بلا شك يكشف عن البعد النفسي الحقيقي للمتهم، فهو يستثمر كل وسيلة ممكنة، يوظفها للتعبير والإفصاح عن براءته[1]. وإضافة إلى ذلك ، فقد حقق هذا التعبير المجازي ايجازا في تكثيف المعاني بأسلوب بلاغي رائع، ومصور.

كما أن في (أهل) مجازاً مرسلاً علاقته الكلية؛ إذ إن السؤال لم يوجه إلى كل أبناء القرية ، وإنما إلى بعضهم أو أحدهم، فيدل بهذا على المبالغة في تعميم الخبر وشمولية[2].

وفي قوله تعالى:(خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)[3]. نلحظ تمثل المجاز في(أبصارهم)، إذ أبرز الذلة فيها، فالمدلول(أبصار)، والدال الأبدان، فأتاح لنا هذا الإنزياح الانتقال من الجزئي (الأبصار) في سبيل الوصول، إلى الكلي (الأبدان)، من خلال نظام العلاقة بين الجزئي والكلي؛ ذلك أن الذل يعم البدن بأكمله إلا أنه في البصر أظهر منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في نفس الإنسان من رجاء أو صلف أو خوف ونحوه، إنما يظهر في البصر[4]. فدل التعبير المجازي على تناه الذل في المبعوثين، إذ" ينظرون من طرف خفي لا تثبت أحدا قهم في وجوه الناس، وهي نظرة الخائف المفتضح"[5]. وفيه ــ أيضا ــ إيجاز وإيحاء وتأثير على نفس المتلقي، تجعله يترقب ذلك اليوم، ويتحاشاه، بإصلاح ذاته، وهو ما تهدف إليه الصورة الكلية.

ويأتي الانزياح ــ في مادة الدراسة ــ علاقته المسببية، من ذلك قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[6].

فالتعبير بالدال (قوة)، على المدلول (الوسائل التي تصنع القوة) انزياح من السبب إلى المَسبَبْ (النتيجة)، وهذا يدل على أهمية القوة، وما تشكله من مرتكز في حياة الأمة. كما أنها اختزلت معاني كثيرة، ذلك أن العناصر التي توصل إلى القوة متعددة، فأفسح هذا التعبير المجال للذهن التحرك في مجالات واسعة توصل إلى القوة، فيشمل السلاح، والعلم والاقتصاد، وحسن التخطيط، والتدريب، والإدارة .....

---

[1] انظر: الجيوسي: التعبير القرآني والدلالات النفسية، ص٢٩٣، والراغب ، عبد السلام: وظيفة الصورة الفنية، ص٧٧.

[2] أبو العدوس، يوسف: المجاز المرسل، ص١١٦.

[3] القمر:٧

[4] الطبري: تفسير الطبري، ج٧،ص١٥٠.

[5] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٧، ص١٧٨.

[6] الأنفال: ٦٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن المجاز ــ في مادة الدراسة ــ إطلاق اسم المطلق على المقيد[1]، كما في قوله تعالى: (فعقروا الناقة)[2]. فالدال ضمير الجمع في (عقروا)، والمدلول (قُدار) هو القاتل الحقيقي لها، إلا أن الإنزياح من المفرد(المقيد) إلى الجمع (المطلق) يجعل الذهن ينشط ، ويتمحور بين بنية المفرد الغائبة، وبنية الجمع الحاضرة،فيصل بدلالة الجمع (صيغة الالتفات) البارزة، أن قوم صالح قد اشتركوا في التخطيط والترصد لعقر الناقة، يقول الزمخشري:" واسند العقر لجميعهم، لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم"[3]، فنزلهم منزلة الفاعل".[4] وفي هذا إيجاز وتكثيف للمعاني والصور ببلاغة رائعة، عن طريق أسلوب الالتفات.

ومثل ذلك قوله تعالى:(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا)[5]. إذ نجد في(قتلتم) تجوز بإسناد القتل إلى ضمير الجمع، مع أن القاتل واحد[6]، فنزلهم هذا التجوز منزلة القاتل، وذلك لان بني إسرائيل لم يمتثلوا لأمر نبيهم بذبح البقرة للكشف والتحري عن القاتل، وكأن المماطلة في معرفة القاتل والكشف عن هويته مشاركة في القتل.

ويأتي المجاز المرسل ــ في مادة الدراسة ــ على صورة إقامة صيغة مقام أخرى[7]. من ذلك قوله تعالى: (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ.وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)[8].

نلحظ في قوله" بدم كذب" تجوز، إذ عبر عن اسم المفعول(مكذوب) بالمصدر (كذب)[9]. "وإلا لو كان على ظاهرة لأشكل، لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام"[10]إذ إن المصدر هو الحدث المجرد فلا يخبر به، عن اسم الذات، إلا تجوزا لنكتة بلاغية. ودل هنا على المبالغة في الكذب، وكأن الدم نفس الكذب وعينه. كما أن (كذب) صفة مشبهة على وزن فعِل، أفادت ثبوت تلك الصفة واستمراريتها، وفي هذا تنبيه على فظاعة كيد أخوة يوسف وافتضاح أمرهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] انظر: الزركشي، البرهان، ج٢، ص٢٧٠.
[2] الأعراف:٧٧.
[3] الزمخشري: الكشاف، ج٢ ، ص١١٩.
[4] الزركشي: البرهان، ج٢، ص٢٧٠.
[5] البقرة:٧٢.
[6] السيوطي : معترك الأقران،ج١، ص٢٥٧.
[7] انظر: الزركشي، البرهان، ج١، ص٢٨٨. السيوطي: معترك الأقران، ج١، ص٢٥٥. الحسيني، سيد جعفر: أساليب البيان، ص٤١٥.
[8] يوسف:١٧ ــ ١٨.
[9] السيوطي: معترك الأقران، ج١، ص٢٥٢.
[10] الزركشي: البرهان، ج٢، ص٢٨٨.

ومن ذلك ــ أيضاً ــ قوله تعالى:(فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا)[1].

ففي قوله: (يأتينك سعيا) انزياح في التعبير بـــ (سعيا)، ، فإذا قلت® أقبل أخوك سعياً) كان المعنى أن أخاك تحول إلى سعي، ولم يبق فيه شيء من عنصر الذات، ولم يبق ما يشغله من عنصر المادة، بل تحول إلى حدث مجرد وهذه مبالغة.

وهذه الطيور الممزقة إعادة الحياة إليها أعسر وأعسر، فهذه الحالة في أقصى حالات الهمود والسكون، وأناها عن الحياة والحركة، وإذا بدعوتهن يأتين سعياً، أي تحولن إلى سعي، يتحولن من أقصى الهمود إلى أقصى الحركة، ولم يقل:(ساعيات) أي لم يكن فيهن ما يثقلهن من عنصر المادة، ففي التجوز إلى نائب المفعول المطلق مبالغة لا تكون في الوصف[2]. وهذه المبالغة فيها إظهار لقدرة الله المطلقة، إذ إن عملية الذبح لم تؤثر فيها، بل أضيفت إليها طاقة وقدرة على السرعة والحركة أكثر مما كانت عليه قبل الذبح.

د- الكناية:

والكناية من الصور الأدبية اللطيفة، وهي عبارة صورية عرضية مباشرة تشير إلى معنى غير معناها الأصلي[3]. يقول الجرجاني:" أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه"[4].

وينطلق الفكر البلاغي في الكشف عن بنية الكناية من كونها بنية محايدة بين الحقيقة والمجاز، ذلك أن حدودها المعرفية تعتمد على ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، واستهداف اللازم لا يمنع من إرادة المعنى الأصلي معه. فهي بنية ثنائية الإنتاج حيث تكون في مواجهة إنتاج صياغي له إنتاج دلالي مواز له تماماً بحكم المواضعة، لكن يتم تجاوزه بالنظر في المستوى العميق لحركة الذهن التي تمتلك قدرة الربط بين اللوازم والملزومات، فإذا لم يتحقق هذا التجاوز،فإن المنتج الصياغي يظل في دائرة الحقيقة[5].

---

[1] البقرة: ٢٦٠.
[2] السامرائي، فاضل: معاني النحو، ج٢، ص٢٨٨.
[3] الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص٢٠٠.
[4] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص٦٦.
[5] عبد المطلب، محمد: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص١٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولها من أسباب البلاغة في ميدان التصوير، ما يجعلها دائمة الإشراق، واضحة المعالم دقيقة التعبير والتصوير، فهي تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها، والقضية في طياتها برهانها، ومما لاشك فيه أن ذكر الشيء يصحبه برهانه أوقع في النفس وآكد لإثباته[1]. كما أنها تمنح المتلقي "حالة نفسية ووجدانية وعقلية أكثر توازنا وتكيفاً وانسجاماً بما يحقق له الجمال الفني والصدق النفسي".[2]

وتقوم الكناية القرآنية بنصيبها كاملاً في أداء المعاني، وتصويرها خير أداء، وهي حيناً راسمة مصورة موحية، وحيناً مؤدبة مهذبة، تتجنب ما ينبو عن الأذن سماعه، وحيناً موجزة تنقل المعنى الكبير في اللفظ القليل، وكثيرا ما تعجز الحقيقة أن تؤدي المعنى كما أدته الكناية، في المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية[3].

ونلحظ ــ في مادة الدراسة ــ حضورا للتعبير الكنائي، من ذلك، قوله تعالى: (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ).[4]

ففي قوله: (سقط في أيديهم) كناية عن الندم والحسرة على عبادة العجل" لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته على شيء أن يعض يده فتصير يده مسقوطاً فيها، لأن فاه قد وقع فيها[5].فسقوط الأيدي لازم للندم.

فنجد أن جملة(سقط في أيديهم) تحمل معنيين معنى مباشرا يفهم من دوال التركيب ويتمثل بعض اليد، ومعنى نصل إليه بتجاوز البنية السطحية للجملة إلى البنية العميقة، والتوصل إليه يحتاج إلى ثقافة، وإعمال الفكر، وفيه" من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليلة، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه"[6]، ذلك أنه يجعل المتلقي متحفزا ومتشوقاً لمعرفة ذلك المعنى البعيد، فيتعمق في نفسه عند الحصول عليه.

فتمكنت الكناية ــ إضافة إلى ذلك ــ من إبراز الأثر النفسي، وشدة الانفعال ، الذي اعترى النادم، وهو ما لا يتأتى للتركيب الحقيقي(فلما اشتد ندمهم) ذلك أن التعبير الكنائي ــ فضلاً عن دلالته على المعنيين ومجئ المعنى مثبتاً بدليله ــ فقد أظهر حال من اعتراه الندم في صورة المحسوس، إذ يصوره مسقوطة يده في فمه، وفي هذا دليل على أن النادم قد أحس بأنه

---

[1] العثمان،بدرية: من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث، ص٤٦٠.
[2] الجيوسي: التعبير القرآني والدلالات النفسية، ص٢٩١.
[3] أمين، بكري الشيخ: التعبير الفني في القرآن الكريم،دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٠٧.
[4] الأعراف: ١٤٩.
[5] الزمخشري: الكشاف، ج٢، ص١٥٤.
[6] الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص٣٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قد هبط في مهاوي الضلال؛ وأن الندم قد برح به، مما يجعله ذلك السقوط دليل إثمه ولا يجد مناصاً من التخلص من جرمه.

ومن الكناية ما جاء عل لسان موسى ــ عليه السلام ــ حينما نفى عن نفسه صفة الهزء، التي نسبها إليه قومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

ففي نفيه ــ عليه السلام ــ أن يكون من الجاهلين، في قوله: (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) كناية عن نفي الهزء، لأن الهزء، لا يليق بالعقلاء، فإنه أخص من المزح لأن في الهزء مزحاً مع استخفاف، واحتقاراً للممزوح معه[2]. ومثل هذا لا يليق بالرسول، في مثل هذا المقام.

فلجأ ــ لفظاعة ذلك الاتهام(الهزء) ــ إلى نفي ملزومه (الجهل)، إذ إن تلك الصفة لا تصدر إلا ممن تأصل فيه الجهل. وفي نفي الملزوم(الجهل) مبالغة في نفي لازمه (الهزء)، وتنزيها له من ذلك، ولو عبر بالتركيب الحقيقي كالقول ــ مثلاً ــ(أعوذ بالله أن أكون من المستهزئين)، فإنه لا يوحي بما أوحى به التركيب الكنائي، من مبالغة في التنزه، وكذا ما ينطوي من شدة وحزم وردع عمن صدر عنهم تلك الصفة.يقول ابن عاشور:"نفي أن يكون من الجاهلين كناية عن نفي المزح بنفي ملزومه، وبالغ في التنزه بقوله أعوذ بالله أي منه لأن العياذ بالله أبلغ كلمات النفي، فإن المرء لا يعوذ بالله إلا إذا أراد التغلب على أمر عظيم لا يغلبه إلا الله تعالى، وصيغة أن أكون من الجاهلين أبلغ في انتفاء الجهالة من أن لو قال أعوذ بالله أن أجهل"[3]

وفي قوله تعالى:(لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[4].

نجد أن في(يذكروا اسم الله) كناية، ذلك أن الدوال فيها تشير إلى معنى يفهم من دلالة المواضعة، غير أن السياق الذي ورد هذا التركيب فيه يجعل المتلقي يتجاوز البنى السطحية إلى البنى العميقة، فيصل إلى المعنى الكنائي، الذي أدركه أبو حيان، حين قال:" وكني عن النحر والذبح بذكر اسم الله، لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا"[5]، وإيثار التعبير الكنائي(ذكر اسم الله) المصاحب والملازم لنحر الذبائح" لأن الجو جو عبادة، ولأن

---

[1] البقرة:٦٧.
[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١، ص٥٤٨.
[3] المرجع نفسه، ص٥٤٨.
[4] الحج:٢٨.
[5] الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ج٦، ص٣٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقصود من النحر هو التقرب إلى الله. ومن ثم فإن أظهر ما يبرز...هو ذكر اسم الله على الذبيحة، وكأنما هو الهدف المقصود من النحر لا النحر ذاته"[1].ويقول الزمخشري:" وقد حسن الكلام تحسينا بينا: أن جمع بين قوله(ليذكروا اسم الله، وقوله:(على ما رزقهم من بهيمة الأنعام...ولو قيل: لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام، لم تر شيئاً من ذلك الحسن والروعة".[2]

ومن الكنايات ــ أيضاً ــ قوله تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا).[3]

تمثل الكناية ، في(وهي خاوية على عروشها). والخاوية هي" الفارغة من السكان والبناء، والعروش جمع عرش، وهو السقف، والمعنى أنها ساقطة على سقفها، وذلك أشد الخراب.."[4] فكنى عن صورة تلك القرية وقد سقطت بيوتها، وخلت طرقها فلا تسمع إلا صفير الرياح يعصف بباقيها، ولو بحثت عن كلمة تنقل ذلك المشهد بكل دقائقه تفاصيله، فلن تجد أبلغ وآكد من كلمة(خاوية)، إذ " كنى بهذه الكلمة عما حل بتلك القرية من خراب، ودمار، وهي كناية عن موصوف، وهي القرية، ونجد أن هذا التلميح أبلغ من التصريح، فلو كان في غير القرآن الكريم، وقيل وهي(خراب ودمار)، لما أدى تلك الإيقاعات الخاصة والوحشة والسكون التي أوحت به كلمة(خاوية)"[5]. فتكون الكناية بهذا قد أوجزت كل ما حل بالموصوف بصورة مثيرة وموحية ومعبرة.

وفي قوله تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)[6].

نلحظ في هذه الآية كناية، وذلك في(أولئك شر مكاناً)، إذ ذكر الصفة(شر)، وذكر الموصوف(أولئك)، ولكنه نسب الشر إلى المكان[7]، يقول الزمخشري: "جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله، وفيه مبالغة ليست في قولك: أولئك شر وأضل، لدخوله في باب الكناية"[8] وتدل هذه

---

[1] قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج ٤ ، ص٢٤٢٠.
[2] الزمخشري: الكشاف، ج٣، ص١٤٩.
[3] البقرة:٢٥٩.
[4] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٣، ص٣٦.
[5] العثمان، بدرية: من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث، ص٤٦.
[6] المائدة:٦٠.
[7] تسمى هذه (الكناية عن نسبة) يفيد أبو العدوس، ــ في كتابه المجاز المرسل والكناية، ص١٨٩ ــ ١٩٠ــ بانه يمكن أن نعد الكناية عن نسبة مجازا مرسلا لأنها لا تختلف عنه بشيء؛ إذ فيها انحراف في التركيب، وتكون الكناية في لفظة مفردة، وعلاقتها المجاورة.
[8] الزمخشري: الكشاف، ج١، ص٦٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبالغة على أن الشر قد بلغ بهم مرحلة متناهية، إذ لم ينحصر في الذوات بل فاض حتى مـــلأ المكان، ومثل هذه المبالغة لا تتأتى للقول(أولئك شر وأضل).

وإذا تأملنا التعبيرالكنائي في النماذج التي تناولناها، نجد أنه جاء لضرورة فنيـــة وفكريـــة ذلك أنه أبرز حقائق نفسية، كما أنه أوجز معاني كثيرة، وبالغ في التعبير عنها ــ حسبما يقتضيه السياق ــ بصورة موحية ومعبرة. وفي العموم فإن مصدر تأثير التعبير الكنائي وفنيته" يرجـــع إلى أنه يشبه أن يكون تقديماً للمعنى مقروناً بدليله الذي غالباً ما يكون دليلاً حسياً"[1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] السيد، شفيع: التعبير البياني: رؤية بلاغية نقدية، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥، ص١١٧.

الخـــاتمة

وفي نهاية المطاف أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

ـ تشكلت صورة الحيوان في ذهن الإنسان مليئة بالتصورات والمعتقدات الخرافية، فكان القاسم المشترك الأعظم بين معتقدات القبائل البدائية وشعوب الحضارات القديمة، والعرب في الجاهلية، أنهم جميعا عبدوا أنواعاً من الحيوانات وأحاطوها بهالة من التقديس والاحترام. فهدم القرآن تلك التصورات، وعمل على إحلال التصور القرآني بدلا عنها،فوضعها في دائرة المخلوقات تخضع كغيرها لسلطان خالقها وتدل عليه.

ـ أظهرت المجالات الدلالية:

*أن صورة الحيوان تنتظم تحت مجال دلالي عام تمثله لفظة(دابة) ويتفرع عنه خمسة حقـــول دلالية(ذوات الأربع، والطير، والحشرات، والزواحف، والمائية) بأبعاد ودلالات متعددة.

* أن المجال الدلالي لذوات الأربع كان الأكثر حضورا وتميزاً، وخاصة الأليفة منها؛ لما لها من أثر فعال في النفس،في تحقيق الأبعاد والغايات التي يرمي إليها السياق.

*أن السياق كان وراء تنوع المفردات التي تنتمي إلى فضاء دلالي واحد، وأنها وظفت توظيفـــا فنيا مقصوداً يناسب السياق ويتفاعل معه.

* أن تعدد دوال المدلول الواحد، عملية فنية، تبرز في كل مرة بعضاً من مشخـــصاته، حـــسبما يقتضي السياق، وفي مجموعها تصوره تصويراً كاملاً.

ـ التحولات الأسلوبية ظاهرة بارزة في بنية الصورة:

فبرز ـ أولاً ـ التحول الصوتي من خلال متقابلات صوتية تمثلت في (الحذف والإثبات، والإبدال وترك الإبدال، والفك والإدغام، والزيادة)، فبينت الدراسة أن لهذه الظاهرة دلالة تناسب السياق ومقتضى الحال. كما برزت المحاكاة الصوتية كخاصية تعبيرية، على مستوى المفردة ، فجاءت أصواتها متناسبة مع أصدائها، وجاءت على مستوى السياق تصور في مجموعها الحدث تصويراً دقيقاً.

وبرز ـ ثانياً ـ التحول السياقي في صور متعددة: المغايرة بين الأفعال ، وبين الأفعال والأسماء،وبين الأسماء، وبين حروف المعاني، وبين التراكيب. فبينـــت الدراســـة أبعـــاد هـــذه التحولات ودلالاتها، وأن كل عدول في المبنى يصاحبه عدول في المعنى.

ـ شكلت الصورة البيانية(التشبيه، والاســتعارة، والمجـــاز، والكنايـــة) عنـــصراً تـــصويرياً للمعنى،وأن التعبير بها لم يكن حلية للزينة وحسب، بل كان له أبعاد دلالية، يؤثر بشكل واضـــح وفعال في تشكيل رؤية النص.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم.
- ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي بطانة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- ابن الأجدابي الطرابلسي، أبو إسحاق إبراهيم ابن إسماعيل: المتحفظ وغاية المتلفظ، بغداد، ١٩٨٦.
- إرمان، أد ولف: ديانة مصر القديمة: نشأتها وتطورها، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.
- الأزهري، خالد بن عبدالله: شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، (د ن)،(د ت) .
- استيتة، سمير: الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٣م .
- ـــــــــــ: رياض القرآن: تفسير في النظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي، عالم الكتب الحديث، اربد، ط١، ٢٠٠٥م.
- ـــــــــــ: منازل الرؤية منهج متكامل في قراءة النص، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠.
- إسماعيل، عز الدين: الفن والإنسان، دار القلم، بيروت، ١٩٧٤.
- الأصفهاني، علي بن الحسين: الأغاني، دار الكتب المصرية، (د ن)، (د ت).
- أطيفش، محمد بن يوسف: تيسير التفسير للقرآن الكريم ، ج١٤، وزارة التراث القومي والثقافي، سلطنة عمان، ١٩٨٩.
- الألوسي، محمود: بلوغ الأرب، تحقيق: محمد بهجت، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر ،١٩٢٣.
- ـــــــــــ: روح المعاني، دار إحياء التراث، بيروت، (د ت) .
- أمين، بكري الشيخ: التعبير الفني في القرآن الكريم،دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤.
- الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، تح: عمر الأسعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.
- الأندلسي، ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمي بفارس، ١٩٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨.
- ـــــــــــ: المعجم الوسيط، ط٢، ١٩٧٢م.
- ـــــــــــ: من أسرار اللغة، ط٤، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٨م.
- ـــــــــــ: موسيقى الشعر، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨،.
- البحيري، أسامة: تحولات البنية في البلاغة العربية، ط١، دار الحضارة، مصر، ٢٠٠٠م.
- بدوي، أحمد أحمد: من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٥٠.
- البستاني، محمد: دراسة فنية في القصص القرآني، ط ١، دار البلاغة، بيروت ،١٩٨٩.
- بشر، كمال: علم اللغة – الأصوات، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م.
- البصير، كامل حسن: بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق)، مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٨٧.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: تفسير البغوي، تح: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
- البكري، محمد وسيم: البكريات في توجيه مفردات الآيات، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠ابن البناء، أبو العبا س أحمد المراكشي: عنوان الدليل من رسوم خط التنزيل، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٠م٠.
- بنت الشاطئ، عائشة عبدا لرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ط ٤، دار المعارف، مصر، ١٩٧٤.
- البوطي، محمد سعيد رمضان: من روائع القرآن، مكتبة الفاربي، دمشق، ١٩٦٨.
- البيضاوي، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٨.
- التهامي، نقرة: سيكولوجية القصة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤.
- التهانوي، محمد علي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت،١٩٩٦.
- جاسم، يونس: الوصف في القرآن الكريم، دار المكتبي، دمشق، ١٩٩٥.
- جبر، محمد عبد الله: الضمائر في اللغة العربية، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٨٣.
- الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تصحيح: أحمد مصطفى المراغي، ط٣، الحلبي، القاهرة.
- ـــــــــــــ: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢.
- جمال، أحمد محمد : القصص الرمزي في القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٨٥.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).
- ـــــــــــــ: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- جواهري، طنطاوي: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي، ١٣٥٠هـ.
- الجوزي، أبو الفرج كمال الدين عبد الرحمن بن علي: زاد المسير، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت،١٩٨٤.
- حاطوم ،نور الدين ورفاقه :موجز تاريخ الحضارة ،(د ن)، د مشق ، ١٩٦٤.
- حامد، عبد الرحمن محمد: القرآن وعالم الحيوان، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، (د ت).
- الحديدي، علي: أدب الأطفال، ط١، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ،١٩٨٢.
- حسام الدين، زكي: التحليل الدلالي، دار غريب، القاهرة ، ٢٠٠٠.
- حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، دراسات لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣.
- حسن، حسين الحاج، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م.
- حسن، محمد السيد: التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، المكتب الجامعي، الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ـــــــــــــــ: روائع الإعجاز في القصص القرآني: دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،(د ت) .
- حسين، عبد القادر: القرآن والصورة البيانية، نهضة مصر، القاهرة،١٩٧٥.
- الحسيني، سيد جعفر: أساليب البيان في القرآن، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٣هـ.
- حفني، عبد الحليم: التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٢.
- حمدان، نذير: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنار، جدة، ١٩٩١.
- حميدة، مصطفى:أساليب العطف في القران الكريم، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، لبنان، ١٩٩٩م.
- حنكات، محمد خير: المفصل في أسماء وصفات الإبل، ط١، جمعية عمال مطابع التعاونية، عمان، الأردن،٢٠٠٢.
- حوت، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٣.
- حيدر، فريد عوض: علم الدلالة: دراسة نظرية وتطبيقية، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٩ .
- الخالدي، صلاح: القصص القرآني، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨.
- ـــــــــــــــ: لطائف قرآنية، دار القلم ،ط١، دمشق، ١٩٩٢م .
- خان، محمد عبد المعين: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠.
- الخطيب، عبد الكريم: القصص القرآني بين العالم المنظور وغير المنظور، ط ١، دار الأصالة، بيروت، ١٩٨٤.
- ـــــــــــــــ: القصص القرآني: منطوقه ومفهومه، ط٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.
- الخطيب، عماد علي سليم: الصورة الفنية في المنهج الأسطوري لدراسة الشعر الجاهلي دراسة تحليلية نقدية، مكتبة الكتاني، عمان، الأردن، ٢٠٠٢.
- الخفاجي، محمد عبد المنعم،(وآخرون): الأسلوبية والبيان العربي، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- داود، محمد محمد: القرآن الكريم وتفاعل المعاني: دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم، دار غريب، ٢٠٠٢.
- الدميري، كمال محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٥.
- دهان، أحمد علي: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦.
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله بن عمر: أسرار التنزيل وأنوار التأويل، تح: محمود أحمد محمد وآخرون ، دار واسط، (د ت)، (د ن).
- _____: التفسير الكبير، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٨١.
- الرازي، محمد ابن أبي بكر عبد القادر: مختار الصحاح، ط ٩، دار عمان، الأردن، ٢٠٠٥ .
- الراغب أصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد: معجم مفردات أحكام القرآن الكريم، تح: نديم مرعشلي ،دار الكتاب العربي (د ن) ،(د ت).
- _____: المفردات في غريب ألفاظ القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت،(د ت).
- الراغب، عبد السلام أحمد: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم،ط١، فصلت للنشر، حلب، سوريا،٢٠٠١.
- راضي، عبد الحكيم: نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠.
- الرباعي،عبد القادر: الطير في الشعر الجاهلي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.
- _____: الصورة الفنية في شعر أبي تمام،ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.
- : الصورة الفنية في النقد الشعري: دراسة في النظرية والتطبيق، ط٢، مكتبة الكتاني، اربد، الأردن،١٩٩٥م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د ت).
- زكي، أحمد: في سبيل موسوعة علمية، دار الشروق، بيروت،١٩٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الزمخشري، جار الله محمود: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.
- ـــــــــــــــــــ: الكشاف، رتبه وصححه، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٥.
- أبو زيد، محمد أحمد: الطير في الأدب العربي، ط٢، مطبعة الروزانا، اربد، الأردن ،١٩٩٨م.
- السامرائي ، فاضل صالح: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط ٢، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان ، ٢٠٠١م.
- ـــــــــــــــــــ: التعبير القرآني، ط١، دار عمار، عمان، الأردن،١٩٨٨ .
- ـــــــــــــــــــ: معاني الأبنية في العربية، ط١، جامعة الكويت،١٩٨١م.
- ـــــــــــــــــــ: معاني النحو،ج٤،ط٢، دار الفكر ،عمان ، الأردن ، ٢٠٠٣.
- السبكي، بهاء الدين: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣.
- أبو السعود، محمد بن محمد العماد: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- سليم، أمينة محمد عبده: من أسرار التعبير القرآني: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، (د ن)، القاهرة، ١٩٩٨م.
- السمين الحلبي، أحمد ابن يوسف: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧.
- ـــــــــــــــــــ: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.
- أبو سويلم ، أنور: الإبل في الشعر الجاهلي: دراسة في ضوء علم المثيولوجيا والنقد الحديث،ط ١، دار العلوم، الرياض،١٩٩٣.
- السيد، شفيع: التعبير البياني: رؤية بلاغية نقدية، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥.
- ابن سيده، أبو الحسن، علي بن إسماعيل: المخصص، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ت).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر: تفسير الجلالين، راجعه محمد فهمي أبو عينه، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت ،١٩٨٤.
- ـــــــــــــــــــــــــــــ: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه: محمد أحمد جاد المولى، وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت،(د.ت).
- ـــــــــــــــــــــــــــــ: معترك الأقران في إعجاز القران، دار الفكر العربي،(د ت).
- شراد، شلتاغ عبود: مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، ط١، دار مجدلاوي، عمان، الأردن،١٩٩٨.
- الشعراوي، محمد متولي: قصص الحيوان في القرآن، ط١، مطبوعات أخبار اليوم، القاهرة ،١٩٩٩ .
- ـــــــــــــــــــ: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧.
- شكر، شاكر هادي: الحيوان في الأدب العربي، مكتبة النهضة العربية، بيروت ،١٩٨٥.
- الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، حققه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١.
- صالح، بشرى موسى: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بيروت، ١٩٩٤.
- الصغير، محمد حسين علي: الصورة الفنية في المثل القرآني، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢.
- صولة، عبد الله :الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، تونس، ٢٠٠١.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ط٣، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، مصر،١٩٦٨.
- طبل، حسن : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (د ت)، ١٩٩٠م.
- ـــــــــــ: علم المعاني في الموروث البلاغي، تأصيل وتقييم، ط ٤، مكتبة الإيمان ، المنصورة، مصر، ٢٠٠٤.
- الطرابلسي، محمد الهادي: تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٢.
- الطراونة، سليمان: دراسة نصية (أدبية) في القصة القرآنية، ١٩٩٢م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- طهماز،عبد الحميد محمد: المعجزة والإعجاز في سورة النمل، دار القلم، دمشق،١٩٨٧م.
- ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.
- العاني، فلاح: موسوعة الإبل، ط٢، المكتبة الوطنية، بغداد، ٢٠٠٣.
- عباس، فضل: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٥.
- عبد الله ، محمد محمد: عالم الحيوان بين العلم القرآن، ط١، دار الرشيد، القاهرة، ١٩٩٦.
- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، دار الفكر ، بيروت ،٢٠٠٠ .
- عبد الصمد، محمد كامل: الإعجاز العلمي في الإسلام والقرآن الكريم، ط٣، الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٣.
- عبد المطلب، محمد: البلاغة العربية قراءة أخرى،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٧م.
- ـــــــــــــــ: جدلية الإفراد والتراكيب في النقد العربي القديم، القاهرة، ١٩٩٥.
- عتيق، عبد العزيز: علم البيان،دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥.
- عثمان، أحمد: الشعر الإغريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤.
- العثمان ،بدرية بنت محمد حسن: بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث، ط ١، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض، ١٩٩٧.
- عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب"عن الجاهلية ودلالتها " ط١، دار الفارابي، بيروت،١٩٩٤ .
- أبو العدوس، يوسف: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأبعاد المعرفية والجمالية، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ١٩٩٧.
- ـــــــــــــــ: المجاز المرسل والكناية ، الأبعاد المعرفية والجمالية، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٨ .
- أبو علي، محمد بركات: في الأدب والبيان، دار الفكر،عمان، الأردن،(د ت).
- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣.
- عياد، شكري محمد: يوم الدين والحساب، (د ن)، (د م)، ١٩٨٠م.
- الغرناطي، أبو القاسم محمد ابن جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، الدار العربية للكتاب،(د ن)، (د ت).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ـــ: كتاب الخيل، تح: محمد العربـــي الخطـــاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن فارس، أبو الحسن بن أحمد: مجمل اللغة ،تحقيق هادي حسن حمودي، ط١، المنظمـــة العربية للثقافة والعلوم، الكويت، ١٩٨٥.
- ـــ: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين ،تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،٢٠٠٣.
- فضل ، صلاح: علم الأسلوب، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٥.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد يعقوب: القاموس المحيط، ط٤ مؤسسة الرسالة، بيـــروت، ١٩٩٤.
- فيروللو، شارل: أساطير بابل وكنعان، ترجمة ماجد خير بك، (د ط)، دمشق،١٩٩٠م.
- فيود، بسيوني: علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، مؤسسة المختـــار، القاهرة، ١٩٨٨.
- القالي، أبو علي إسماعيل: الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).
- القبرة، مهند: العماد في علوم الخيل، ط١، دمشق، ١٩٩٣.
- القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفـــان، بيروت،١٩٩٣م.
- قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن الكريم، (د ن)،(د م)، ١٩٩٦.
- ـــــــــــ: في ظلال القرآن، ط١٧، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢ .
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى، تح: محمد حسن شـــمس الـــدين، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.
- القنيبي، حامد صادق: المشاهد في القرآن الكريم،ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٤.
- قوقزة، نواف: نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد، مع دراسة تطبيقية في شـــعر عمر النص، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠٠٠.
- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب : الرعاية لتجويد القراءة، تحقيق لفظ التلاوة، تح أحمد حسن فرحات ، دار عمار، عمان ، ط٣، ١٩٩٦م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابن كثير، اسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، مطبعة السعادة، ١٣٥١هـ.
- ـــــــــــــــــ: تفسير القرآن العظيم،ج٤، دار المعرفة بيروت،١٩٨٤.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح، عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢.
- ابن الكلبي، هشام بن محمد: الأصنام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
- الكواز، محمد كريم: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ط١، مكتب الإعلام بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، (د ت).
- لاشين، عبد الفتاح:البيان في ضوء أساليب القرآن،ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
- :المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربية، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ـــــــــــــــــ: من أسرار التعبير في القرآن، حروف الجر، عكاظ، للنشر والتوزيع الرياض، السعودية، ١٩٨٣م.
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة : المنتخب في تفسير القرآن، دار الثقافة، الدوحة، قطر،(د ت).
- ابن مصطفى، إسماعيل حقي: روح البيان في تفسير القرآن العظيم، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- مصلوح، سعد: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠.
- مغنية، محمد جواد: الحج على المذاهب الخمسة، دار العلم للملايين، (د ت).
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن المنير، أحمد: حاشية الانتصاف، بهامش الكشاف، (د ن)،(د م)،(د ت).
- أبو موسى،محمد: التصوير البياني: دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠.
- ـــــــــــــــــ: خصائص التراكيب،ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠.
- ناديا سلطان: التصوير بالكلمات: مشروع دراسة للصورة الفنية في القرآن، ط١، إشبيلية للدراسة والنشر والتوزيع، دمشق ،١٩٩٧.
- ناصف ،مصطفى: قراءة ثانية لشعرنا القديم، ط١، دار الأندلس،١٩٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابن ناقيا، عبد الله بن الحسين: الجمان في تشبيهات القرآن، ط١، تح: محمد حسن أبو ناجي الشيباني، مركز الصف الإلكتروني، بيروت،١٩٨٧.
- نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت،١٩٩٤.
- النويهي، محمد: محاضرات في عنصر الصدق والأدب، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد حسين: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.
- ابن الهائم، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد: التبيان في تفسير غريب القرآن، تح: فتحي أنور، دار الصحابة للتراث، طنطا،١٩٩٢.

- الهمذاني، حسين بن أبي العز: الفريد في إعراب القرآن المجيد، دار الثقافة، الدوحة، (د ت).
- هند اوي، عبد الحميد: الإعجاز الصرفي: دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، المكتبة العصرية بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
- يا سوف، أحمد: جماليات المفردة القرآنية،ط ١، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق، سورية ،١٩٩٤.
- الياسين، جاسم بن مهلهل: المنهاج للمعتمر والحج ، ط١، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت ،١٩٨٧.
- ياسين، عاصم أحمد: المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩١م.
- اليافي، نعيم: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٢.
- يونس، عبد الحميد: الحكايات الشعبية، دار الشؤون الثقافية، بغداد،(د ت) .

الدوريات:

- أبو الأنوار: محمد :التراث الشعري، ودوره في مراحل تطور الشعر العربي، مجلة جذور،ع ١٤٤ "رجب ١٤٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- بركات، حسين: قصاصات من الإعجاز: مجلة آيات، العدد ٣، ذو الحجة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤.
- حسن، سيد برتي: الحقول الدلالية في عالم الأحياء في القرآن الكريم، مجلة مؤته للبحوث والدراسات سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ١٨، العدد ٨، ٢٠٠٣ .
- حماسة، محمد عبد اللطيف: منهج التحليل النصي للقصيدة، مجلة فصول، م١٥، ع٢، (صيف ١٩٩٦ م)
- خريوش، حسين يوسف: بنية الخطاب الإعلامي وأبعاده الدلالية، المؤتمر العلمي الثالث: الإعجاز في القرآن الكريم، مجلد١، صفر ١٤٢١هـ مايو/٢٠٠٠م، جامعة الأقصى ــ غزة ــ فلسطين.
- ربابعة، موسى: من نماذج رثاء الحيوان في الشعر العباسي، أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللغويات، المجلد ٧، العدد ٢، ١٩٨٩.
- السامرائي، إبراهيم: الأصول البدوية للمصطلح الحضاري، دراسات يمنية، ع ٣٣، (يوليو ، أغسطس، سبتمبر) ، ١٩٨٨.
- عبد الرحمن، عفيف: الحيوان في الأمثال العربية القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد ٥ ، العدد١٩٨٥،١٩.
- عبد الرحمن، محمد إبراهيم: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، فصول، المجلد٣ ،١٩٨١ .
- العبد، محمد سليمان: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م ٩، ع ٣٦، ١٩٨٩م.
- عبود، عبده: لماذا عاد الحيوان إلى القصة العربية المعاصرة، الموقف الأدبي، ع ٣٠٧، (تشرين الثاني، ١٩٩٦).
- غزول ،فريال جبوري: قصص الحيوان بين مورثنا الشعبي وتراثنا الفلسفي ، مجلة فصول، ع٣ ، م ١٣،(خريف ١٩٩٤).
- الفيومي ، إبراهيم حسين: روائع إعجاز القرآن في قصص الطير والحيوان: دراسة فنية في البنية العميقة، المؤتمر العلمي الثالث: الإعجاز في القرآن الكريم، مجلد ١، صفر ١٤٢١هـ ،٢٠٠٠م، جامعة الأقصى ــ غزة ــ فلسطين.
- القرعان، فايز: التشكيل البلاغي للصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص، أبحاث اليرموك، سلسلة الأدب واللغويات، م١٥، ع١، ١٩٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الكيلاني، إيمان: ظواهر أسلوبية في سورة الرحمن، أبحاث اليرموك، سلسلة الأدب واللغويات، المجلد ٢١، ع١، ٢٠٠٣.
- اللؤلؤ المنثور: من أسرار مجتمع النمل، مجلة آيات، ع٣، السنة الاولى، ١٤٢٤هـ- شباط٢٠٠٤ م .
- الهيشري، الشاذلي: الالتفات في القرآن، حوليات الجامعة التونسية، ع٣٢، تونس، ١٩٩١م.

الرسائل العلمية:

- إسماعيل، محمد كامل: ألفاظ الحيوان في الشعر الجاهلي "دراسة دلالية " رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، ١٩٩٥.
- بني دومي، خالد قاسم: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، اربد ، الأردن،٢٠٠٤م.
-_____: التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الاردن، ١٩٩٩.
- بلخضر، أحمد الزهري : التشبيه صوره وألفاظه: دراسة تطبيقية في القران الكريم، رسالة ماجستير، جامعة دانتة، معهد الآداب واللغة، الجزائر، ١٩٩٢م.
- الجيوسي، عبد الله: التعبير القراني والدلالة النفسية، أطروحة دكتوراه، الجامعة الاسلامية العالمية، كلية معارف الوحي، ماليزيا،٢٠٠١م.
- سعد، أمير فاضل: غرائب الصورة في القرآن الكريم، دراسة فنية أسلوبية، رسالة ماجستير، غير منشورة،جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٤.
- قاسم، محمد محمود صالح: التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٢.
- الهتاري، عبد الله: العدول السياقي النحوي،(رسالة دكتوراه)، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية،٢٠٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الآيات

الآية	السورة	الصفحة
٢٦	البـــقرة	٦٦
٢٦		١٣١
٦٥-٦٦		٩٢
٦٧-٧١		٣٦
٦٧		١٣٣
٧٢		٨٠
٧٢		١٣١
٩٣		٩٨
٩٣		١٢٥
١٧٢-١٧٣		٩٩
٢٥٩		٤٩
٢٥٩		٨٤
٢٥٩		١٠٣
٢٥٩		١٣٥
٢٦٠		٦٠
١٤	آل عمران	٤٤
٤٩		٥٩
٣	المائدة	٥٦
٤		٥٣
٢٧-٣١		٦٢
٢٧-٣١		٨٨
٢٨		١٠٥
٣٠		١٢٦
٣٠		١٢٧
٣١		١٢٧
٦٠		٥٤
٣٨	الأنعام	٢٤
١٣٨-١٣٩		٢٧
١٤٣-١٤٤		٢٦
١٤٣		٢٨
١٤٣		٤٢
١٤٤		٢٩

الآية	السورة	الصفحة
١٤٥	الأنعام	٥٣
١٤٩		٤١
٤٠	الأعراف	٣٤
١٠٤-١٠٧		٦٩
١٣١		٥٨
١٣١		١٠١
١٣٣		٦٥
١٤٩		٤٠
١٤٩		١٣٣
١٦٠		٦٤
١٦٣		٧١
١٦٦		٥٥
١٧٥-١٧٦		١٢٤
٦٠	الأنفال	٤٥
٦٠		١٣١
٥٦	هود	١٢٨
٦٤		٣٥
٦٩		٣٩
٦٩		١٠٧
١٣	يوسف	٥٧
١٤		٥٧
١٧		٥٧
١٧-١٨		١٣١
٤٣		٣٨
٤٣		١٢٤
٦٥		٣٣
٦٥		٧٧
٧٠		٢٩
٧٢		٣٣
٨٢		٢٩
٨٢		١٢٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الآية	السورة	الصفحة
٩	النـــحل	٤٩
٦٦		٢٦
٦٦		٩٩
٦٨-٦٩		٦٤
٧٩		٥٨
٨٠		٢٧
١٣	الإسراء	٥٨
٤٤		٥٩
٦٤		٤٦
١٨	الكهـف	٥٢
١٨		١٠٦
٢٢		٥٢
٢٢		١٠٣
٦٠-٦٤		٧١
٦٣		٨٢
٦٤		٧٦
٧٨		٧٩
٨٢		٧٩
٢٧	مـــريم	٥٨
١٧-٢١	طـــه	٦٨
٥٣-٥٤		٩٧
٧٠		٧٠
٨٨-٨٩		٤٠
٧٨	الأنبياء	٤١
٧٨		٨٦
٧٨		١٠٤
٧٩-٨١		١٠٤
٨٧		٧٢
٢٤	الحج	١٢٣
٢٨		٩٢
٢٨		١٣٤
٣٦		٣٠
٧٣		٦٦

الآية	السورة	الصفحة
٤٥	النور	٢٤
٤٨-٤٩	الفرقان	٩٦
٣٢-٣٧	الشعراء	٩٥
١٨	الـنمل	٦٧
١٩		٨٤
٢٠-٢٤		٥٩
٢٢		٨٧
٢٣-٢٤		٩١
٢٤		١٠٢
٢٥		٩٧
٢٧		١٠٦
٢٨		٨٣
٨٢		٢٥
٣٠-٣١	القصص	٦٩
٤١	العنكبوت	٦٨
٤١		١١٨
١٩	لقمان	٥٠
١٤	سبـأ	٢٤
١٣٩-١٤٤	الصافات	٧٢
١٨-١٩	ص	٩٣
٢٠-٢٤		٤٣
٣١-٣٣		٤٦
٦	الزمر	٢٥
٦٤	غافـر	٤
٢٤-٢٦	الذاريات	٣٩
٦	القمـر	٨٧
٦-٧		٧٨
٧		٦٥
٧		١١٤
٧		١٣٠
٢٧		٨٠
٥٢-٥٥	الواقعة	٨٥
٥٥		٣١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الآية	السورة	الصفحة
٦	الحشر	٣١
٥	الجمعة	١٢٠
١٩	الملك	٩٤
٤٨	القلم	٨٠
٤٩-٥١	المدثر	١١٧
٥٠-٥١		٥٦
٣٢	المرسلات	٣٤
٣٢-٣٣		١١٢
٣٠-٣٣	النازعات	٨١
١٧	الغاشية	٢٨
٦	الشمس	٨١
١١		٨٦
١٤		٨٥
١-٢	العاديات	١٢٤
١-٣		٤٧
٤	القارعة	٦٦
١-٤		٨٨
١	الفيل	٥١
١-٢		١٢٧
٣-٥		٩١
٣-٥		١٠٢
٣-٥		١٠٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Animal Image in the Holy Qura'an
A Stylistic And Artistic Study

Prepared by :
Taher Qasem Abdoh Saleh Al-Ashari

Supervised by :
Prof. Dr: Hussein Yousef Khriwesh

The animal image in the Holy Qura'an comes in several dimensions and symbols, the study aimed to emphasize that, so it has taken from the stylistics a method (methodology), to show Qura'an Style uniqueness in expressing that dimensions and symbols, and justifying the most distinguished stylistic phenomenon, and showing its expressive value, that is within three main subjects formed the second, third and fourth semester of the research, they are orderly:

Semantical fields for animal image in the Holy Qura'an; I brought out in it the general semantical field of the image, representing it a word of (sumpter), and five semantical fields ramified out of it : quadrupeds, birds, insects and water animal. and it determined the area of every field with its semantical dimensions. In addition to show the aestheticism of Holy Qura'an style in variety of the units that belongs to one semantical field, and employing it to be suitable with the context and interacting with it to show the targeted idea.

And stylistic conversion; I focused in it on two aspects: first, voiced(sonic)conversion, I showed in it the aspects of voiced(sonic) conversion, and imitating the voice for the meaning , and that affected on the semantical forming. Second, context conversions, I showed in it the multiplicity of images of this conversion in the structure of the image. , and its rhetorical and semantical dimension, every structured conversion followed by conversions of meaning.

The dimensions of rhetorical images; I focused on technical images: simile, metaphor, synecdoche and metonymy. And I showed in it its semantical dimensions and the characteristic expressive for both, and it wasn't a

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ornament(jewel) embellishment, but it came as a artistic and intellectual necessity.

And I have found that is appropriate to perform chapter to search the animal image in the heritage, because it is important in understanding the depth structure of Holy Qura'an concept of the animal image, so I showed in this chapter animal image formed in humans mind filled up with mythical beliefs, the matter attained to hallowing the animal and taking it as a god, so the Holy Qura'an devastated these images and placed Holy Qura'an image rather than it.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University